جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
الدراسات العليا
شعبة التفسير

المكتبة
كلية أصول الدين

العز بن عبد السلام وتفسيره

دراسة وتحقيق

١٩٤٠

اعداد

عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله الوهيبي

لنيل درجة العالمية (الدكتوراه)
في التفسير وعلومه

اشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومي
رئيس قسم التفسير سابقًا

القسم الأول
الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالـــة

الحمد لله حمدا موافيا لنعمه ، مكافئا لمزيده ، والصلاة والسلام علـــى خاتم رسله الذى أرسله للعالمين بشيرا ونذيرا ، ونزل عليه القرآن بحســـب المصالح منجما ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى الصـراط المستقيم .

أنزله معجزة ناطقة خالدة الى يوم الدين ، وتكفل بحفظه (انا نحـــن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) [الحجر / ٩] وتيسيره للدارسين الذاكريـن (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) [القمر / ١٧] .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

واستعين بالله وأستغفره من شرور نفسى وسيئات أعمالى ، وأسالـــــه التوفيق والهداية وحسن الخاتمة والتثبيت على الايمان حتى ألقاه به ، انـــه سميع مجيب .

وبعـــد ..

حينما أردت البحث عن موضوع للدكتوراه ذهبت الى قسم المخطوطـــات فى دار الكتب المصرية ، وأخذت أفتش عن مخطوط قيم فى التفسير جديـــر بالتحقيق والنشر ، فبعد بحث طويل وجهد كبير عثرت على اختصار العـــز لتفسير الماوردى (النكت والعيون) فقرأت فيه فاعجبنى ما احتواه مـــن معلومات قيمة مفيدة جديرة بالتحقيق والنشر فاخترته موضوعا للدكتوراه متأثـرا بالأسباب الآتية :

١ ـ أنه امتاز بجمع أقوال السلف والخلف الكثيرة التى قيلت فى تفسير ما خفى من آيات القرآن الكريم فهو يركز على الخفى من الآيات أما الواضح الجلى فيتركه لفهم القارىء .

٢ ـ أنه امتاز بالتحليلات اللغوية الدقيقة لمعانى كلمات الآية وتوضيحهـــا بالأمثلة التى تجعل المعنى فى صورة المحس بعبارة موجزة مفيدة واضحة .

٣ ــ أنه قد حظى بعناية عالمين كبيرين مجتهدين متبحرين فى فنون علـــوم الشريعة واللغة فوضعه الماوردى أولا واختصره وهذبه العز ثانيا فزاده دقة وتحريرا .

٤ ــ أن فى اخراجه ودراسته ابرازا لجانب علمى مغمور من شخصية هذيـــن العالمين الجليلين وهو التفسير ، لأن المشهور عند الباحثيـــن أن الماوردى والعز فقيهان مجتهدان أما كونهما مفسرين فغير مشهـــور ، وسبب ذلك أن تفسيريهما لا زالا مكدسين فى خزائن المخطوطـــات فلم يحضيا بالنشر والدراسة .

٥ ــ أن فى اخراجه حفظا له من الضياع وبث الارضة ومشاركة متواضعة منـــى بتزويد المكتبة الاسلامية بتراث اسلامى قيم مفيد .

وقد تناول البحث عصر العز ونسبه ومولده ، وطلبه للعلم وحياته العمليـــة فى دمشق ومصر وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته فى مقدمة وقسمين واليك تفصيل ذلك :

منهج البحـــث :

يتكون من مقدمة وقسمين :

القســـم الأول

دراسة حياة العـــز وتفسيـــره

يتكون من بابين وخاتمة :

البـــاب الأول

دراسة حيـــاة العـــز

يتكون من خمسة فصول :

الفصـــل الأول

عصـــره

يتكون من ثلاثة مباحـــث :

١ ــ الحالة السياسية فى عصره .

٢ ـ الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى عصره .
٣ ـ الحالة العلمية فى عصره .

١ ـ بين البحث أن العز عاش ما بين سنة (٥٧٧ هـ) وسنة (٦٦٠ هـ) فعاصر دولة الأيوبيين وأوائل دولة المماليك .

وقد حفلت هذه الفترة بأوضاع سياسية مضطربة منها الحروب الصليبية ، وقد سجل المسلمون فيها انتصارا عظيما على الصليبيين فى معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبى واسترد منهم بيت المقدس سنة ٥٨٣ بعد أن بقى فى أيديهم مائة سنة تقريبا .

ومنها الغزو المغولى لبلاد الاسلام وسقوط بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية فى أيديهم سنة ٦٥٦ هـ . وقد حقق المسلمون انتصارا عظيما على المغول فى معركة عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز والظاهر بيبرس سنة ٦٥٨ هـ .

ومنها الفتن والحروب الداخلية بين حكام المسلمين وقد اضعفتهم وكانت سببا فى انهزامهم أمام عدوهم الخارجى فى بعض المعارك .

وقد كان لهذه الاحداث السياسية المضطربة أثر كبير فى حياة العز ابن عبد السلام فلم يكن سلبيا اتجاهها بل كان ايجابيا متفاعلا معها متأثرا بها ومؤثرا فيها ، ومن تأثره بها أن كشفت عن معدنه الأصيل وأبرزت معالم شخصيته الفذة من التمسك بالعقيدة ونصرة الحق والشجاعة الأدبية والمخاطرة بالنفس فى سبيل اعزاز الدين ، وأثر فى هذه الاحداث بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتغييره ، ويتجلى ذلك فى مواقفه من الحكام وضربهم كانكاره على الملك الصالح اسماعيل تحالفه مع الصليبيين وتسليمه لهم بعض حصون المسلمين .

٢ ـ بين البحث الطبقات الاجتماعية فى عصر العز فتكلم عن طبقة الحاكم وأعوانه وطبقة العلماء والفقهاء وطبقة العامة وأهل الذمة .

فبين أوصاف هذه الطبقات التى تميزها ووظائفها التى تختص بها والدور الهام الذى تقوم به فى بناء المجتمع .

كما بين البحث أن تجارة الاسلحة والرقيق كانت رائجة فى ذلك العصر بسبب الحروب الكثيرة ، وكانت التجارة نشطة فى مصر والشام لتوسطهما بين الشرق والغرب وقد قامت فيهما صناعات كصناعة الزيوت والسكر والمنسوجات والورق والصناعات الحربية .

٣ ــ بين البحث أن الحالة العلمية كانت نشطة فى عصر العز وساعد على نشاطها أن حكام ذلك العصر كانوا على مستوى من الثقافة العالية ، وكانوا غيورين على الاسلام الذى يحاربه التتار فى الشرق ويقتلون علمائه ، ويتلفون كتبه كما كان يفعل به ذلك الصليبيون فى الغرب فشجع الحكام العلماء وأجزلوا لهم المكافآت واكثروا من بناء المدارس وخزائن الكتب ووقفوا عليها الاوقاف الكثيرة .

وبين البحث أن العلم ترعرع فى هذا العصر ووجد طبقة من جهابذة العلماء وذكر أهم هؤلاء العلماء وأهم مؤلفاتهم ، كما بين أن المختصرات قد كثرت وأصبحت سمة من سمات هذا العصر لان العلوم قد كملت ونضجت وافعمت بمؤلفات السابقين ، وجانب هذه المختصرات مؤلفات قائمة بنفسها .

وقد استفاد العز من هذه الحركة العلمية النشطة فى طلب العلم ونشره . فانصقلت مواهبه وتكونت شخصيته الجامعة بين الفقه والاصول واللغة والتفسير والتصوف .

الفصل الثانى

نسبه ومولده وطلبه للعلم وأعماله

يتكون من أربعة مباحث :

١ ــ نسبه ومولده .

٢ ــ نشأته وطلبه للعلم .

٣ ــ اعماله ومواقفه .

٤ ــ وفاته وعمره .

١ ــ بين البحث اسم العز الكامل ، وخلاف الباحثين فى سنة ولادته بين عام (٥٧٧ هـ) و (٥٧٨ هـ) . وبين أن هذا الخلاف لا يترتب عليه كبير فائدة .

٢ ــ بين البحث أن العز نشأ فى أسرة فقيرة مغمورة وأنه لم يطلب العلم الا على كبر وقد جدّ واجتهد فى حفظ المتون ودراسة الكتب والتردد على كبار شيوخ عصره ليعوض ما فاته فى صغره ، كما أن كبر سنه وذكاءه أعاناه على تحصيل العلم وادراك مسائله العويصة ، ولم يكتف العز بعلماء بلده بل سافر الى بغداد لطلب العلم ولم يمكث بها طويلا .

٣ ــ بعد أن تعلم العز ونضج بدأ يزاول حياته العملية فى التدريس والافتاء والقضاء والخطابة ، وقد زاول هذه الاعمال فى دمشق التى قضى فيها الشطر الاكبر من حياته ثم عزله الملك الصالح اسماعيل عن الخطابة واعتقله لانكاره عليه تحالفه مع الصليبيين ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب حاكم مصر ثم أفرج عنه فرحل الى مصر فرحب به حاكمها نجم الدين أيوب وولاه الخطابة بجامع عمرو بن العاص والقضاء وامتنع مفتى مصر الحافظ المنذرى من الافتاء لما حضر العز لانه يرى أن العز أجدر منه بذلك ، وقد قام العز بعمله على أحسن وجه آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، كما اتسم فى قضائه بالعدل بين الناس والصرامة فى تطبيق الشرع والتسوية بين القوى والضعيف وبسبب ذلك لاقى صعوبات فقد وقعت له حادثتان جعلته يعزل نفسه عن القضاء مرتين . الأولى كانت بسبب حكمه ببيع مماليك الملك نجم الدين أيوب الذين استعان بهم فى تصريف أمور الدولة وكان منهم نائب السلطنة ــ الرجل الثانى فى الدولة ــ لانهم مماليك لبيت مال المسلمين وقد ظلموا الناس وتعالوا عليهم .

والحادثة الثانية : كانت على أثر حكمه باسقاط عدالة معين الدين بن شيخ الشيوخ وزير الملك نجم الدين لبنائه دارا للغناء على أحد المساجد بمصر وقد هدم العز هذه الدار وعزل نفسه عن القضاء وكان ذلك سنة (٦٤٠هـ)

وقد فصل البحث القول فى هاتين الحادثتين لان فيهما ابراز جانب عظيم من شخصية العز كما أن لهما أثرا كبيرا فى مجتمعه وقد تفرغ العز بعد ذلك للتدريس والافتاء والتأليف حتى اختاره الله لجواره .

٤ ـ بين البحث أن العز توفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى ودفن فى اليوم التالى سنة ٦٦٠ هـ وقد شيعه الملك الظاهر بيبرس وحاشيته وخلق كثير وحزنوا عليه .

الفصل الثالث

اتجاهاته الفكرية

بين البحث أن العز نبغ فى علوم الشريعة واللغة العربية ، وترك فيها مؤلفات كثيرة فالبها رسائل صغيرة ، فهو من الذين قيل فيهم : علمهم أكثر من تصانيفهم . كما ذكر البحث نقولا عن علماء معاصرين له وعلماء ترجموا له أشادوا بعلمه ونبوغه ، وقال أكثرهم : انه بلغ رتبة الاجتهاد .

ثم أبرز البحث اتجاهاته الفكرية فى العلوم التى ألف فيها فى خمسة مباحث :

١ ـ اتجاهاته الفكرية فى التفسير وعلومه .
٢ ـ اتجاهاته الفكرية فى الحديث .
٣ ـ اتجاهاته الفكرية فى العقيدة .
٤ ـ اتجاهاته الفكرية فى الفقه وأصوله .
٥ ـ اتجاهاته الفكرية فى التصوف .

الفصل الرابع

التعريف بشيوخه وتلاميذه

عرف البحث بأهم شيوخ العز وذكر أثرهم فيه كما عرف بالماوردى الذى تأثر العز بكتبه فاختصر تفسيره وجمع بين كتابه الحاوى وكتاب النهاية لامام الحرمين الجوينى وعرف بأهم تلاميذ العز وذكر أثره فيهم.

الفصل الخامس

يتكون من مبحثين :

١ ـ مؤلفاته .
٢ ـ كتب نسبت اليه .

١ ــ ذكر البحث مؤلفاته على سبيل الاجمال فبلغت (٣٨) مؤلفا قالبها رسائل صغيرة .

ثم ذكرها على سبيل التفصيل فعرف بها وبين المطبوع منها والمخطوط ومكان وجوده معتمدا فى ذلك على بعض هذه المؤلفات نفسها وطبقات الشافعية لابن السبكى وتاريخ الادب العربى لبروكلمان وذيله وكشف الظنون من أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة كما قام الباحث برحلة علمية لاستنبول وأنقره ودمشق وقطر للاطلاع على مؤلفات العز فاطلع عليها وصور قسما منها واستشهد فى هذا البحث بنصوص منها لايضاح منهج العز وطريقة معالجته للموضوع .

وتعقب الباحثين الذين كتبوا عنها فيما وقعوا فيه من أوهام .

كما قام البحث بدراسة مختصرة لكتابى العز " قواعد الأحكام " و " الاشارة الى الايجاز " لتحقق من قول ابن السبكى : " انهما شاهدان بامامة العز وعظيم منزلته فى علوم الشريعة " . (١)

فوجد أن العز فى كتابه " الاشارة الى الايجاز " بلغ مبلغا عظيما وحقق نتائج جليلة وابرز ما اشتمل عليه كتاب الله من فنون البيان والمعانى وحقق مافيه من اعجاز لم يستطع العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله رغم ما كانوا يجيدون من فنون القول .

أما كتابه " قواعد الأحكام " فقد بحث فيه مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد فى تحصيلها ومقاصد المخالفات ليسعى العباد فى درئها باسلوب سهل واضح خالى من التعقيدات التى نراها فى كتب الفقه والاصول كما يلحظ القارئ له سعة علم العز وقوة جدله فى بيان ما ترجح له ، وفكره الثاقب الذى يلحظ دقائق الأمور .

---

(١) راجع : كتابه " طبقات الشافعية " (٨/ ٢٤٧) .

٢ ـ بين البحث أن هناك كتبا ستة نسبت الى العز خطأ وسبب ذلك هو اشتراك العز فى جزء من اسمه باسم علماء آخرين وأحد هذه الكتب مطبوع مرتين ومكتوب عليه ترجمة العز وهو : " حل الرموز ومفاتيح الكنوز " ومؤلفه الحقيقى "عز الدين بن عبد السلام بن الشيخ أحمد المقدسى " المتوفى سنة (٦٧٨ هـ) ، وقد صورت له من استنبول ثلاث نسخ خطية مكتوب عليها اسم المؤلف الحقيقى . وهذا الخطأ قد أوقع بعض المترجمين للعز فى الوهم فذكروه من بين مؤلفاته فى التصوف وعلى أنه يمثل اتجاهه الفكرى وسلكه فى التصوف وقد ذكرت من وقع فى ذلك وأشرت الى كتبهم .

الباب الثانى

دراسة تفسير العز

يتكون من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة :

ففى التمهيد عرف البحث بتفسير الماوردى (النكت والعيون) ، لأن تفسير العز اختصار له ، ثم عرف باختصار العز مقارنا ذلك بتفسير الماوردى ، كما ذكر سبب اختصار العز له .

الفصل الأول

مصادر تفسير الماوردى وتأثر المفسرين به

يتكون من ثلاثة مباحث :

١ ـ مصادره .

٢ ـ اتهامه بالاعتزال وموقف العز منه .

٣ ـ تأثر المفسرين به .

١ ـ بين البحث مصادر الماوردى التى استمد منها تفسيره ، وهى مصادر تفسير العز ـ أيضا ـ لانه اختصار لتفسير الماوردى ، فالعز نقل عنها بواسطته ، لذا كان من الضرورى بيانها باعتبارها مقدمة لابد منها لدراسة المنهج الذى سار عليه العز فى تفسيره .

فبين البحث أن الماوردى استمد مادة تفسيره من مصادر كثيرة ومتنوعة ، منها مصادر فى القراءات ومصادر فى التفسير بالمأثور ومصادر فى اللغة والنحو ومصادر جمعت بين التفسير بالمأثور والمعقول .

ثم ذكر أهم هذه المصادر ، وبين طريقة استفادته منها بالامثلة مقارنا ذلك باختصار العز .

٢ ـ بين البحث اتهام ابن الصلاح للماوردى بالاعتزال لانه ينقل فى تفسيره تفسير أهل السنة والمعتزلة ويوافقهم فى مسألة القدر ، وان تفسيره عظيم الضرر .

وقد وافق الباحث ابن الصلاح فى أن الماوردى ينقل أقوال المعتزلة ، ولكنه تعقبه فى قوله : إن تفسيره عظيم الضرر ، كما تعقب الدكتور عدنان زرزور الذى عد تفسير الماوردى من تفاسير المعتزلة ، وفند الأدلة التى استدل بها .

وبين البحث موقف العز من أقوال المعتزلة التى أوردها الماوردى ، فالعز يذكرها ولا يناقشها ، ولا يردها بل إنه يترك نسبة كثير من الأقوال التى نسبها الماوردى الى أصحابها من المعتزلة ، وكان الاولى به أن ينسب الأقوال تنبيها لها ودفعا للبس . وقد ذكر البحث أمثلة على ذلك .

٣ ـ بين البحث أن تفسير الماوردى امتاز بجمعه لأقوال السلف والخلف التى قيلت فى تفسير الآية ، وتحليلاته اللغوية الدقيقة وحصره للأقوال فى عدد ثم تفصيلها الاول فالثانى ... الخ .

ثم ذكر البحث مفسرين من الذين تأثروا به :

أحدهما : ابن الجوزى فى تفسيره " زاد المسير فى علم التفسير " حيث تأثر بمنهج الماوردى فى حصر الأقوال ، ونقل كثيرا من أقوال له وترجيحاته .

والثانى : القرطبى فى تفسيره " الجامع لاحكام القرآن " فقد نقل بعض أقواله وترجيحاته وشرح بعضها .

وقد ذكر البحث أمثلة على ذلك .

الفصـــل الثانـــى

منهج العز فى تفسيره المختصـــــر

أقام العز منهجه فى تفسيره على بحث الموضوعات الآتية : ــ

١ ــ القـــراءة .

٢ ــ تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة .

٣ ــ أسباب النزول .

٤ ــ اللغة والنحو .

٥ ــ الأحكام الفقهية .

٦ ــ الاسرائيليـــات .

٧ ــ الترجيح والتوجيه .

وقد أفرد البحث كل موضوع بمبحث بين فيه منهج العز فى عرضه وبيانـــه موضحا ذلك بالأمثلة .

الفصـــل الثالـــث

مقارنة بين تفسيرى العـــــز

بين البحث أن للعز تفسيرين ، أحدهما : اختصار تفسير الماوردى وهو موضوع الدراسة السابقة ، والآخر من تأليفه ابتداء وهو تفسير مختصر من حيـــث المادة العلمية ولكنه أطول من تفسيره المختصر ، وقد عقد البحث مقارنة سريعـــة بينهما اشتملت على نماذج من سور متعددة من تفسيرى العز هى سورة البقـــرة وآل عمران ومريم والحج والشعراء وخلص من هذه المقارنة الى أن التفسيريـــن يتفقان فى أمور ويختلفان فى أمور أخرى ثم ذكرها .

الخاتمـــة

وقد اشتملت على تقويم تفسير العز المختصر بذكر ماله وما عليه وخلاصة القول فى ذلك :

ان تفسير العز يمتاز : بأنه يستوعب أقوال السلف والخلف غالبـــا ، ويعنى بالتفسيرات اللغوية ، ويوجه بعض القراءات المخالفة للغة المشهورة ، وقد

يعقب بالرد على بعض المطاعن الموجه اليها ، ويختصر أسباب النزول التى أطال فيها الماوردى ، ويعنى بآيات الأحكام ، ولا يستطرد فى الفروع الفقهية ، كما أنه لا يكثر من الاخبار الاسرائيلية ، وقد يعقب على بعضها بالرد ، وينبه على المكى والمدنى ، وقد نزه تفسيره من أحاديث فضائل السور الموضوعة .

ويؤخذ عليه : قلة عنايته بالقراءة ، وعدم تخريجه للاحاديث ، وأنه يذكر احاديث وأسباب نزول ضعيفة ولا ينبه على ذلك ، كما أنه يذكر حوادث مدنية أسبابا لنزول آيات مكية ، ويذكر أخبارا اسرائيلية بدون تعقيب غالبا ، ولم تبرز شخصيته فى هذا المختصر ، لأنه يسرد الاقوال بدون مناقشة أو ترجيح الا فى حالات قليلة ، وقد ذكر أقوالا اعتزالية بدون تعقيب ، وحذف نسبة كثير من الأقوال الى قائليها .

ويستطيع الباحث بعد هذه الدراسة أن يضع هذا التفسير فى مجموعة "التفسير الأثرى اللغوى" .

القسم الثانى
التحقيق

قام البحث بتحقيق تفسير العز المختصر من أوله الى آخر سورة الكهف متبعا فى ذلك أدق الطرق المتبعة فى تحقيق المخطوطات ، فتناول فى تحقيقه الأمور الآتية : —

١ — وصف مفصل للنسخ الخطية التى اعتمد عليها وبيان أماكن وجودها فى مكتبات العالم.

٢ — أدلة ثبوت هذا التفسير للعز .

٣ — مقابلة تفسير العز ، وهو الأصل بنسخ ثلاث خطية من تفسير الماوردى ، وقد رمز بحرف " ق " لنسخة مكتبة قليج ، وبحرف " ك " لنسخة مكتبة كوبريللى وبحرف " د " لنسخة دار الكتب المصرية . وقد تحرى الدقة فى تحقيق النص — ما استطاع الى ذلك سبيلا — محاولا اخراج النص فى صورة أقرب ما تكون من الصورة التى وضعه عليها مؤلفه .

٤ ــ التعليق على بعض القراءات والأقوال الضعيفة والتعقيب على بعض الاسرائيليات الغريبة .

٥ ــ تخريج الاحاديث وقد بلغت (٣٦٠) حديثا منها أسباب نـــزول وآثار.

٦ ــ عزو الأبيات الشعرية الى مصادرها من دواوين الشعر وكتب اللغة .

٧ ــ توضيح معانى المفردات الغريبة .

٨ ــ التعريف بالاعلام .

٩ ــ وضع الفهارس الفنية .

هذا قصارى جهدى ونتيجة بحثى الطويل المضنى الذى استمر أربـــع سنوات ونصف ، رجعت فى أثنائها الى (٢٤٩) مرجعا متنوعة فى التفسيـــر والحديث وعلومهما والتوحيد والفقه والاصول واللغة العربية والنحو والتاريـــخ والتراجم ، كما كلفنى الموضوع الرجوع الى الكتب المخطوطة ، فقمت برحلة علميـة الى تركيا وسوريا وقطر بحثا عن المخطوطات فنسخت بعضا منها وصورت بعضـا آخـر .

وقد لاقيت صعوبة كبيرة فى تحقيق نص التفسير لانه لا يوجد منه الا نسخة واحدة خطها سىء جدا وغير مشكول وأكثره غير معجم وأحيانا يوجد به أخطاء وقد تغلبت على ذلك بمقابلته على ثلاث نسخ خطية من تفسير الماوردى ، وقـد تكون بعض الكلمات محرفة فى هذه النسخ أو غير واضحة فاضطر الى مراجعتهـا فى كتب التفسير الاخرى . وكنت أتوقف عند بعض الكلمات المحرفة وقتا طويـــلا فأحققها حرفا حرفا فيكلفنى ذلك الرجوع الى مجموعة من التفاسير ، وقد لا أصل الى تحقيقها الا بعد أيام .

والتحقيق عمل شاق جدا لا يعرفه الا من مارسه فيحتاج الى صبر وجلـــد وقديما قال الجاحظ : " ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفا ،أو كلمـــة ساقطة ، فيكون انشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعانى أيسر عليه مـــن اتمام ذلك النقص حتى يرده الى موضعه من اتصال الكلام". (١)

---

(١) راجع : كتابه "الحيوان" (١/٧٩) .

كما أن تخريج الاحاديث قد أجهد نى كثيرا ـ أيضا ـ فتخريج بعض الاحاديث كان يأخذ منى أياما حتى أجمع المعلومات المتعلقة به ، وأحيانا يكون فيه تعارض فى الظاهر فاضطر الى التوفيق بينه وبين ما يعارضه ، وقد اضطرنى بعض الاحاديث الى أن أكتب عنه بحثا طويلا كما هو واضح فى هوامش الرسالة .

وقد وفقنى الله الى حل كثير من مشاكل هذا البحث وأفرغ على من الصبر ما جعلنى أتغلب على صعوباته فما فيه من صواب فمن الله وما فيه من خطأ فمن نفسى ومن الشيطان فأشكر الله على نعمه التى لا تحصى وأسأله دوام التوفيق والهداية وأن يجنبنى الخطأ والزلل .

كما لا يفوتنى أن أشيد بالجهود الكبيرة التى بذلها لى فضيلة الاستاذ الشرف الدكتور أحمد السيد الكومى أستاذ الجيل فقد فتح لى قلبه وبيته فكنت أتردد عليه كثيرا واستعين به فى حل مشكلات البحث فأجد عنده التوجيه والنصح ، فكان يجود لى بوقته وراحته ـ كما هى عادته مع طلابه ـ وقد قرأت عليه هذا الموضوع كلمة كلمة واستفدت كثيرا من توجيهاته ونصحه مما سهل مهمتى ووسع أفقى . وله بعض التعليقات القيمة النافعة فى حل مشكلات التفسير ، وقد أثبتها منسوبة اليه .

وانى لعاجز عن شكره ورد الجميل اليه ، فلا يسعنى فى هذا الا أن أدعو الله له بالسلامة وطول العمر وان يبقيه الله ذخرا للعلم وطلابه .

كما أشكر جامعة الأزهر الشريف والقائمين عليها على ما يبذلونه فى سبيل نشر العلم وتشجيع طلابه واتاحة الفرص الكثيرة لهم وانه لمن دواعى سرورى وسعادتى أن أنتمى الى هذه الجامعة العتيدة وأن أكون أحد طلابها . وأدعو الله أن يوفق القائمين عليها لخدمة الاسلام والمسلمين ، وأن يبقيها حصنا منيعا شامخا أمام من أراد أن ينال من القرآن ولغته ، كما أشكر جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية التى فرغتنى للبحث وانفقت على طوال هذه المدة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

عبد الله بن ابراهيم الوهيبى

القسم الأول

دراسة حياة المفسر وتفسيره

يتكون من بابين وخاتمة :-

الباب الأول : دراسة حياته .

الباب الثانى : دراسة تفسيره .

الخاتمة : القيمة العلمية لتفسيره .

البـــاب الأول

دراسة حيـــــــاة العـــز

يتكون من خمسة فصـــول :

١ ــ عصـــــــره .

٢ ــ نسبه ومولده وطلبه للعلم وأعماله .

٣ ــ اتجاهاته الفكريـــة .

٤ ــ التعريف بشيوخه وتلاميذه .

٥ ــ مؤلفاته وما نسب اليه .

الفصـــل الأول

عصـــره

يتكون من ثلاث مباحـث :

١ ـ الحالة السياسية فى عصـره .

٢ ـ الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى عصره .

٣ ـ الحالة العلمية فى عصـره .

المبحث الأول

الحالة السياسية فى عصـــره

عاصر العز الدولة الايوبية وأوائل دولة المماليك ، وقد بسطـــت هاتان الدولتان نفوذهما على الشام التى ولد فيها العز سنة (٥٧٧هـ) وقضى أكثر عمره بها ، ومصر التى قضى فيها بقية عمره ، وتوفى بها سنة (٦٦٠هـ) .

وحيث أن العز عاصر هاتين الدولتين فسوف أتحدث عـــن أوضاعهما السياسية ـ بايجاز ـ تمهيدا لدراسة حياة العز . فأقول وبالله التوفيق : ـ

الدولة الأيوبيـــة

مؤسس الدولة الايوبية القائد الاسلامى الكبير صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان الكردى .كان أحد قواد نـــور الدين زنكى حاكم الشام . ولما استنجد الخليفة الفاطمى "العاضـــد" بنور الدين سنة (٥٦٤ هـ) ضد الفرنج الذين جاءوا الى مصر بجيـــش كبير ، وحاصروا القاهرة ـ جهز نور الدين جيشا بقيادة أسد الديـــن شيركوه بن شادى وابن أخيه صلاح الدين . فلما سمع الفرنج بوصولهم الـى القاهرة هربوا .

واستوزر "العاضد" أسد الدين ، فبقى فى الوزارة أكثر مـــن شهرين ثم توفى ، فاستوزر العاضدُ صلاحَ الدين ، ولقبه بالملك الناصر . فلما توفى العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فى المحرم سنة (٥٦٧ هـ) ، استقل صلاح الدين بحكم مصر نيابة عن نور الدين ، فأخذ فى اصـــلاح البلاد ، ورفع الظلم عن العباد ، فأبطل المكوس وأظهر العدل فاحبـــه الناس وضجوا له بالدعاء . (١)

---

(١) راجع : النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٦/ ٧ ، ٨) وحســـن المحاضرة للسيوطى (٢/ ٤) .

ولما توفى نور الدين انفرد صلاح الدين بحكم مصر والشام [١]، وكان خاضعا اسميا للخلافة العباسية ببغداد .

وواصل صلاح الدين الفتوحات التى بدأها نور الدين زنكى ، فانتصر على الصليبيين انتصارا عظيما فى معركة حطين فى ربيع الاخر سنة (٥٨٣ هـ) ، كما انتصر عليهم فى معارك كثيرة ، واسترد منهم بيت المقدس فى رجب من هذه السنة بعد أن بقى فى أيدهم نيفا وتسعين سنة ، كما استرد منهم مدن وقلاع كثيرة . [٢]

وبعد هذه الانتصارات العظيمة التى أعزت الاسلام والمسلمين ، وخلدت اسمه فى التاريخ توفى فى صفر سنة (٥٨٩ هـ) [٣] .

وبعد وفاته انفرد كل واحد من أبنائه واخوانه بحكم البلاد التى كان واليا عليها .

فكان ابنه العزيز على مصر ، وابنه الافضل على دمشق ، وابنه الظاهر غازى على حلب ، وأخوه العادل بالكرك والشوبك ، والبلاد الشرقية ، وأخوه سيف الاسلام طغتكين باليمن . [٤]

وبهذا انقسمت دولة صلاح الدين الى دويلات فأخذ كل حاكم يتربص بالاخر ليسقطه ويأخذ بلاده ، فنشبت بينهم الفتن والحروب حتى استقر الامر لأخيه الملك العادل ، وكان قويا مستقيما صبورا سديد الرأى فاستطاع أن يبسط نفوذه على مصر والشام .

فلما استقر له الأمر قسم البلاد بين أولاده ، فأعطى المعظم عيسى دمشق ، وأعطى الاشرف موسى الشرق ، وأعطى الكامل محمد مصر ،

---

(١) راجع : بدائع الزهور لابن اياس (١/ ٢٤٠ ، ٢٤١) .
(٢) راجع : السلوك للمقريزى (١/ ٩٣ ، ٩٦) .
(٣) راجع : المصدر السابق (١/ ١١٢) .
(٤) راجع : المختصر فى أخبار البشر لابى الفداء (٣/ ٨٧ ، ٩٣) .

وصار هو يتنقل فى ممالك أولاده ، والعمدة فى كل الممالك عليه الى أن توفى فى جمادى الاخر سنة (٦١٥ هـ) [1] فدب النزاع بين أولاده على الملك فتحاربوا كما تحارب أولاد صلاح الدين واخوانه مما اضعفهم ، وأطمع فيهم أعداءهم من الصليبيين والتتار ، بل بلغ الأمر ببعضهم أنه يتحالف مع الصليبيين العدو المشترك ، ويستعين بهم على الاخر ، كما فعل الملك الكامل اذ أعطى ملك الفرنج " فردريك " القدس صلحا سنة (٦٢٦ هـ) كى يجد الكامل فرصة لينتزع دمشق من ابن أخيه الملك داود بن المعظم عيسى . [2]

وكما فعل حاكم دمشق اسماعيل بن العادل اذ أعطى مدينة صيدا وقلعة الشقيف للفرنج سنة (٦٣٨ هـ) ليساعدوه على حاكم مصر ابن أخيه نجم الدين أيوب . فأنكر عليه شيخنا العز ، وكان يومئذ خطيب جامع دمشق ، كما أنكر عليه أبو عمرو بن الحاجب المالكى ، فغضب عليهما ، وحبسهما بالقلعة ، ثم أفرج عنهما فذهبا الى مصر . فاستقبل حاكمها نجم الدين أيوب ـ العزَ وأكرمه وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص ، ثم ولاه قضاء القضاة [3] .

وبلغ من نزاع بنى أيوب أن حاول بعضهم قتل الاخر ، وذلك أن العادل بن الكامل استقل بحكم مصر بعد موت أبيه ، فحاول قتل أخيه نجم الدين أيوب لئلا ينازعه على الحكم ، فلم يتمكن من ذلك . فلما ساء تصرفه ، وقسى على مماليكه قبضوا عليه وخلعوه فى شوال سنة (٦٣٧ هـ) ، واستدعوا أخاه نجم الدين ، وبايعوه ، فاعتقل أخاه العادل فى القلعة ، ثم قتله سنة (٦٤٥ هـ) .

---

(١) راجع : المختصر فى أخبار البشر (٣/ ١١٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٢٧) وبدائع الزهور (١/ ٢٥٧) .

(٢) راجع : السلوك (١/ ٢٣٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٢٧١) .

(٣) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢١٠) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٣٨) .

وهكذا استمر الخلاف والنزاع بين ملوك بنى أيوب مما كان سببا فى ضعفهم وذهاب دولتهم حيث انقض عليهم مماليكهم ، وانتزعوا الملك منهم[1]، وذلك أن الفرنج هجموا على دمياط ، واستولوا عليها بدون قتال حيث هرب أهلها ، وكان السلطان نجم الدين أيوب بالمنصورة وهى قريبة من دمياط ، فغضب وشنق من أعيانها خمسين نفسا ، ففزع العسكر من سطوته وخافوا فاندفعوا للقتال ، وكان مريضا فتوفى فى شعبان سنة (٦٤٧ هـ) فاخفت زوجته شجرة الدر موته ، واستدعت ولده المعظم توران شاه من حصن كيفا بالموصل ، فلما وصل استولى على الحكم . وكانت الحرب قائمة فخاض غمارها وقاتل ببسالة ، وأبلى بلاء حسنا فى قتال الفرنج ، فانتصر عليهم ، وأسر قائدهم الفرنسيس ، وقتل منهم ثلاثين ألفا ، وكان ذلك فى أول يوم من سنة (٦٤٨ هـ) .

وبعد أن استتب له الامر أخذ يقرب جماعة ممن حضروا معه من حصن كيفا ، ويوليهم المناصب العالية . وأساء معاملة زوجة أبيه التى احتفظت له بالملك ، وأبعد مماليك أبيه . فكان ذلك سببا فى اتفاقهم مع زوجة أبيه على قتله ، فقتل فى الثامن والعشرين من محرم سنة (٦٤٨ هـ) ، وبذلك انتهت دولة بنى أيوب [2] .

---

(١) راجع : السلوك للمقريزى (١/ ٣٢٧) .
(٢) راجع : بدائع الزهور لابن اياس (١/ ٢٧٨ — ٢٨٥) .

دولة المماليـــك

لما قتل توران شاه اتفق المماليك على تولية شجرة الدر الحكـــم وعلى اشتراك الامير أيبك التركمانى معها فى إدارة الحكم .

قال ابن إياس : " فلما وقع الاتفاق على سلطنتها حضر القاضـــى تاج الدين بن بنت الأعز ، وبايعها بالسلطنة على كره منه . قال الشيـــخ عزالدين بن عبد السلام : لما تولت شجرة الدر على الديار المصريـــة ، عملت فى ذلك مقامة ، وذكرت فيها بماذا ابتلى الله به المسلمين بولايـــة امرأة عليهم . وكانت سلطنتها يوم الخميس ثانى صفر سنة ثمان وأربعيـــن وستمائة(١)" أ هـ.

مما سبق يتضح أن القاضى تاج الدين ، والشيخ عزالدين بـــن عبد السلام قد عارضا تولية امرأة أمر المسلمين .

وفى هذا ردٌ على الاخ الباحث على صافى حسين الذى زعـــم أن أحدا من علماء الدين لم يبدِ اعتراضا على ذلك .

فلو أن الباحث كلف نفسه عناء البحث فى كتب التاريخ لما وقـــع فى هذا الخطأ التاريخى نتيجة التعجل فى إصدار الحكم حيث قـال : " وهى وان كانت من المماليك الا أن بعض المؤرخين يعدون مدة حكمهـــا استمرارا لدولة الايوبيين ، والبعض الاخر يعدها بداية عصر المماليـــك . وسواء كانت استمرارا للايوبيين أو بداية للمماليك فان الطريف فى ذلـــك هو أن امرأة كانت مملوكة حكمت المسلمين وتولت أمرهم مدة ثلاثة أشهـــر على وجه التقريب . وفى مصر من كان فيها من أئمة الدين وعلماء الفقـــه وحفاظ الحديث ، ولم يبدِ أحد منهم أىَ اِعتراض على تولية شجرة الـــدر أمر المسلمين" (٢) .

---

(١) راجع : تاريخه " بدائع الزهور " (١/ ٢٨٦) .
(٢) انظر : كتابه " ابن دقيق العيد حياته وديوانه " ص ١٤ ، ١٥ .

ولما علم الخليفة العباسى ببغداد المستعصم بالله بتولية امـرأة حكم المسلمين أنكر ذلك غاية الانكار ، فلما بلغ ذلك شجرة الدر خلعـت نفسها ، وتولى الحكم مكانها الامير أيبك التركمانى ،وتزوج بها ، ثـم دبرت مؤامرة لقتله ، لانه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصـل . فقتل فى ربيع الاول سنة (٦٥٥ هـ) ، وتولى الحكم بعده ابنه علـى وتلقب بالملك المنصور . (١)

وفى سنة (٦٥٦ هـ) استولى هولاكو على بغداد وقتل الخليفة العباسى المستعصم بالله ، فسقطت الخلافة العباسية ، وعاث هولاكو فى بغداد فسادا فسفك دماء آلاف الناس ، وأتلف الكتب الكثيرة التى كانت تملأ مكتبات بغداد ، وخرب البلاد .ثم زحف على الشام واستولـى عليها وعاث فيها فسادا ثم أخذ يهدد مصر . فجمع نائب السلطنة قطـز القضاة والعلماء فاستشارهم فى أخذ أموال من الشعب ليستعين بها على جهاد التتار.

قال ابن تَغْرِى بَرْدِى : " فكان الاعتماد على ما يقوله ابـن عبد السلام "(٢) فأفتى بأنه لا يجوز ذلك الا بشرط أن يؤخذ ما عنـد الامراء من الحوائص المذهبة والالات النفيسة ، ويقتصر كل واحد علـى سلاحه ومركوبه ، فاذا لم يكف ذلك جاز أخذ أموال من الشعب بقـدر الحاجة .

ونُوقش فى هذا الاجتماع خلعُ الملك المنصور على ، لأنه لا يستطيع ادارة الحكم فى هذه الظروف الحرجة التى تتطلب حاكما قويا محنكـا ، فوقع الاتفاق على تولية الأمير قطز الحكم ، فبايعوه ، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة (٦٥٧ هـ) ولما تولى الحكم تلقب بالملك المظفر ، وأخـذ

---

(١) راجع : بدائع الزهور (١ / ٢٨٧)
(٢) راجع : تاريخه " النجوم الزاهرة " (٧ / ٧٢) وبدائع الزهور لابن اياس (١ / ٣٠١) .

يُعد العدةَ لحرب التتار ، فجمع ما عند الامراء من الذهب والالات النفيسة كما أشار عليه شيخنا العز ، واستعان بها فى شراء السلاح وتدريب الجنود ، واستعان بالعلماء فى إلهاب حماس الجند وحثهم على الجهاد فى سبيل الله ، وقام العز بدور كبير فى ذلك ، فكون قطز جيشا قويا روحيا وماديا ثم التقى بالتتار فى عين جالوت ، فقاتلهم ببسالة وأبلى بلاء حسنا ، فانتصر عليهم انتصارا عظيما ، وقتل قائدهم "كتبغا" وكسر جيشهم الذى قيل عنه : إنه لا يغلب ، وكان ذلك فى رمضان سنة (٦٥٨ هـ) .

وتبع الامير بيبرس فلولهم المنهزمة حتى أجلاهم من الشام .

ثم قدم المظفر قطز دمشق فرتب أمورها واستناب بها الامير علم الدين سنجر الحلبى ، واستناب علاء الدين بن لؤلؤ بحلب ، وكان قد وعد بها الامير بيبرس ، فاستاء لذلك ، واضمر فى نفسه الشر للمظفر .

فلما رجع المظفر الى مصر ، وثب عليه الامير بيبرس وجماعته فقتلوه فى طريق رجوعه ، واستولى بيبرس على الحكم ، وتلقب بالملك الظاهر ، ولم يبايعه شيخنا العز حتى جاء من شهد بعتقه ، لان الشيخ كان يعرف أنه مملوك للهند قدارى (١) .

وفى عهده استقر حكم المماليك ، واكتسب الصبغة الشرعية بمبايعة الظاهر بيبرس الخليفةَ العباسى المستنصر بالله الذى جاء الى مصر فى رجب سنة (٦٥٩ هـ) . فلما بُويع بالخلافة بَايع بيبرسَ بالسلطنة ، وفوض اليه شئون مصر والشام وما سيفتح على يديه من البلاد .(٢)

وليس للخليفة الا الاسم والسلطة الفعلية كلها بيد بيبرس ، وهدفه من إقامة الخلافة كسب شرعية حكم البلاد ، ورضا الشعب عنه

---

(١) راجع : فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (١/ ٥٩٥) .
(٢) راجع : السلوك (١/ ٤٣٣ — ٤٣٦) .

الذى يعتبر المماليك غاصبين للسلطة من بنى أيوب الذين يستمـــــدون سلطتهم من الخليفة العباسى ببغداد . وكان الظاهر بيبرس يجـــــل العز بن عبد السلام ، ويعرف فضله ، ويقف عند أقواله ، وفتاويـــــه ، وأقام الخليفة بحضرته واشارته[1] ولما توفى العز سنة (٦٦٠ هـ) حـــزن عليه كثيرا ، وقال : "لا اله الا الله ما اتفقت وفاة الشيخ الا فى دولتى "

كان لهذه الاحداث السياسية المضطربة أثرٌ كبيرٌ فى حيـــــاة شيخنا العز ، فلم يكن سلبيا اتجاهها ، بل كان ايجابيا متفاعلا معها ، متأثرا بها ، ومؤثرا فيها ، ومن تأثره بها أن كشفت عن معدنـــــه الاصيل ، وأبرزت معالم شخصيته الفذه من التمسك بالعقيدة ، ونصـــرة الحق ، والشجاعة الادبية ، والمخاطرة بالنفس فى سبيل اعزاز الدين .

وأثر فى هذه الاحداث بالامر بالمعروف والنهى عن المنكـــر ، وتغييره ، ويتجلى ذلك فى مواقفه من الحكام وغيرهم كانكاره على الملـــك الصالح اسماعيل تحالفه مع الصليبيين وتسليمه لهم بعض حصون المسلمين .

ومما يدل على أثره فى أحداث السياسة كلمة الظاهر بيبرس لمـــا توفى العز ، ومر به من تحت القلعة ورأى الجموع الغفيرة حول نعشـــــه قال : (اليوم استقر أمرى لان هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجـــوا عليه لخرجوا).[2]

هذا وهناك مواقف أخرى سيأتى تفصيلها وكلها تدل على مكانـــة العز فى عصره ، وهيبة الحكام وتقديرهم له ، وتنفيذهم لأقواله فى إبطـــال المنكر ورفع الظلم عن الشعب ، لانه رجل آثر آخرته على دنياه ، وهانـــت عليه نفسه فى سبيل الله فكان يقول : "ينبغى لكل عالم اذا أُذل الحـــق وأخمل الصواب أن يبذل جهده فى نصرهما وان يجعل نفسه بالـــــذل والخمول أولى منهما ، وان عز الحق فظهر الصواب أن يستظل بظلهمـــا وان يكتفى باليسير من رشاش غيرهما". [3]

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٤٥) .
(٢) راجع : طبقات الشافعية للاسنوى (٢/ ١٩٩) وبدائع الزهور (١/ ٣١٨)
(٣) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٢٨) .

المبحث الثانـــى

الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى عصره

عاش العز فى الشام ومصر ، وقد مرت هذه البلاد بظروف اجتماعية متشابهة ، ويتألف سكانها من أجناس مختلفة ، منهم العرب والاكـــراد ، وجماعات من الاتراك والجركس والاغريق والرومان والأرمن . كما يوجد بمصـــر جماعات من الأقباط .

وغالب السكان من المسلمين ، ويوجد بينهم أقليات مسيحيـــــة ويهودية .

من هذه الاجناس المختلفة يتكون مجتمع العز وهم طبقات لكـــل طبقة أوصاف تميزها ، ووظائف تختص بها ، ودور هام تقوم به . وســـوف أتحدث عن كل طبقة باختصار كالاتى :

أولا : الحاكم وأعوانـــه :

تتكون هذه الطبقة من الحاكم والامراء والوزراء ، وتقوم بـــادارة البلاد ، ورسم سياستها الخارجية والداخلية . وتنظيم الجيش ، واقامـــة المنشآت العامة كالمساجد والمدارس ، والمحافظة على أمن البلاد وجبايـــة الزكاة ، وفرض الضرائب .

وتعيش فى بحبوحة من النعيم والترف والبذخ ، وتتمتع بالجـــاه والكلمة النافذة .

وتختلف مواقف هذه الطبقة من الدين ، فمنهم من ينتهك حرماته ، ولا يقف عند أحكامه وحدوده ، ومنهم من يحترم الدين وعلمائه ، ويقف عنـد أحكامه ، ويعمل بما يأمر به من إبطال المنكر ، ورفع الظلم عن النـــاس ، والعدل بينهم . كصلاح الدين الأيوبى مؤسس الدولة الأيوبية ، كـــان تقيا ورعا فريدا فى أخلاقه وتصرفاته متواضعا كثير الصدقات ، أنشـــأ

المدارس الكثيرة فى مصر والشام . وقد سار فى الناس سيرة حسنة عادلة ، فأبطل المظالم والمكوس التى فرضها الحكام السابقون ، واكتفى بالزكوات المشروعة والخراج عن الارض . وأقام العدل بين الناس ، فكان يجلس فى مجلس عام فى يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، ويحضر معه الفقهاء والقضاة والعلماء ، ويفتح الباب للمتخاصمين والمظلومين ، وينظر فى قضاياهم ، ويرفع الظلم عنهم ."(وما استغاث اليه أحد الا أجابه وكشف ظلامته ، واستغاث اليه زهير الدمشقى على تقى الدين عمر بن أخيه ، وقال : ما يحضر معه مجلس الشرع ، فأمر تقى الدين بالحضور معه)" (١) .

وقد مات ، ولم يخلف فى خزائنه سوى سبعة وأربعين درهما ، ولم يترك دارا ولا عقارا . (٢)

وسار أخوه الملك العادل على طريقته ، فأبطل كثيرا من المظالم ، والمكوس ، وطهر بلاده من القمار والخمور والفواحش ، ولكنه لم يبلغ مبلغه فى التقى والورع ، وتدبير أمور البلاد ، فقد استوزر الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى فتجبر وسطا ، وظلم الناس ، وصادر أموال اكابر كتاب الدولة واستصفاها لنفسه ، والعادل لا يعارضه فى شئ من هذا ، حتى غضب على العادل سنة (٦٠٩ هـ) وحلف أنه ما بقى يخدمه فأخرجه العادل من مصر الى آمد ، فكان حمل أمواله واشتعته على ثلاثين جملا . (٣)

وقد حدث فى عهد بعض أبنائهما ما عابه المؤرخون ، فذكروا عن حاكم دمشق الافضل بن صلاح الدين أنه تارة يقبل على اللهو واللعب والشرب ، وتارة يتوب فيقبل على العبادة والطاعة ولبس الخشن ،

---

(١) راجع : النجوم الزاهرة (٦/ ١٠)
(٢ ، ١) راجع : السلوك (١/ ١١٣ ، ١٩٢)

وقد فوض أمور البلاد بأسرها الى وزيره ضياء الدين بن الاثير الجـــزرى فاختلت به الاحوال ، وظلم الناس ، وكثر شاكوه ، والافضل يسمع منـــه ولا يخالفه ، وقد أوقع بين الافضل وأخيه العزيز حاكم مصر ، فحصلـت بينهما وحشة ، فأخذ كلمنهما يتربص بالاخر لينتزع البلاد منه . وقـــد جر النزاع بينهما البلاء على البلاد ، وقتل بسببه كثير من الاجنـــاد .(١)

وذكروا عن الاشرف بن العادل حاكم دمشق بعد الافضـــل أن نوابه يرتكبون الزنا ، ويدمنون الخمر ، ويتفننون فى أخذ الضرائـــب ، وظلم الناس .

وقد نصح شيخنا العز ـ الاشرف بأن يبطل هذه المنكـــرات ، فأمر بابطالها ، وقد باشر العز بنفسه إبطال بعضها ، ولكن المنيـــة عاجلت الأشرف ، وكان نائبه أخاه الصالح اسماعيل فلم يمضِ تبطيل هـذه المنكرات .(٢)

وذكروا عن حاكم مصر نجم الدين أيوب بن الكامل بن العـــادل أنه مع عفته وكثرة حيائه كان جبارا متكبرا مستبدا برأيه لا يستطيـــع أحـــد أن يتكلم بين يديه الا جوابا ، وما عرف عن أحد من خواصه أن تكلـــم فى مجلسه ابتداء ، ولا أنه جسر على شفاعة ، ولا مشورة ولا ذكر نصيحة ، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان (٣) .

قال صاحب مرآة الزمان : " وكان مهيبا هيبته عظيمة ، جبـــارا أباد الاشرفية وغيرهم ، وقال جماعة من امرائه : والله ما نقعد على بابـــه الا ونقول من ها هنا نحمل الى الحبوس ، وكان اذا حبس انسانا نسيه ، ولا يتجاسر أحد أن يخاطبه فيه ، وكان يحلف أنه ما قتل نفسا بغير حـــق قال صاحب المرآة : وهذه مكابرة ظاهرة ، فان خواص أصحابه حكـــوا

---

(١) راجع : السلوك (١/ ١١٨ ، ١٢٩) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٢٢ ـ ١٢٥) .
(٢) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٤١) .
(٣) راجع : السلوك (١/ ٣٤٠) .

أنه لا يمكن إحصاء من قتل من الاشرفية وغيرهم ، ولو لم يكن الا قتله أخيه العادل لكفى "(١) .

ومع هذا الجبروت والهيبة والاستبداد فقد أنكر عليه العزبن عبد السلام سكوته على وجود حانة تبيع الخمور ، وكان هذا الانكار على مشهد من الناس ، حيث كان السلطان يحتفل بيوم العيد فى القلعة ، والعساكر مصطفة من حوله ، والامراء تقبل الارض بين يديه ، فناداه العز باسمه المجرد بقوله : " يا أيوب ما حجتك عند الله اذا قال لك : ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا؟ فقال : نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة ، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون ، فقال: يا سيدى هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبى ، فقال : أنت من الذين يقولون : (إنا وجدنا آباءنا على أمة)[الزخرف / ٢٣] فرسم السلطان بابطال تلك الحانة "(٢) .

قال الهاجى ـ أحد تلاميذ العز ـ : "سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع هذا الخبر : يا سيدى كيف الحال؟ فقال: يا بنى رأيته فى تلك العظمة فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه ، فقلت : يا سيدى أما خفته فقال : والله يا بنى استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامى كالقط ". (٣)

وسار بعض حكام المماليك فى الناس سيرة حسنة عادلة ، فأبطل المكوس والمظالم ، ومنع الخمور وغيرها من المنكرات ، وكان بعضهم مع

---

(١) راجع : النجوم الزاهرة نقلا عنه (٦ / ٣٣٣) .
(٢) انظر : " طبقات الشافعية " (٨ / ٢١١ ، ٢١٢)
(٣) انظر : المصدر السابق .

الشرع لا يقطع أمرا بغير رأى الفقهاء كالمظفر قطز ـ أحد حكامهم ـ كان يجل العلماء ويأخذ برأيهم ومشورتهم ، ولما أراد أن يأخذ من الشعب ما يستعين به على حرب التتار جمع العلماء والفقهاء فاستشارهم فى ذلك ، وكان من بينهم العز ، وكان الاعتماد على قوله .(١)

وذكروا عن الظاهر بيبرس ـ أحد حكامهم ـ أن شخصا ادعى عليه فى بئر عند القاضى تاج الدين بن بنت الاعز ، فطلبه القاضى برسول فحضر الى المدرسة الصالحية ، ومثل بين يدى القاضى مع غريمة ، وكان للظاهر بيبرس بينة عادلة فحكم القاضى له بالبئر. (٢)

ثانيا : العلماء والفقهاء :

هذه الطبقة لها دور كبير وهام فى المجتمع ، وهى حلقة الوصل بين الحاكم والعامة ، ومحل ثقتهم واحترامهم . فالحاكم يعتمد عليها فى كسب تأيد العامة له ، وفى اثارة حماسهم للجهاد ، وترغيبهم فى الانفاق فى سبيل الله .

والعامة تنقاد لهذه الطبقة ، وتستجيب لما تقوله ، وتعمل بما توجه اليه .

والحاكم يختار منهم القضاة ورجال الحسبة والخطباء وأحيانا الوزراء .

وهم متفاوتون فى العلم والتقى والورع والامر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فمنهم من يجامل الحاكم فلا يأمره بمعروف ولا ينهاه عن منكر.

---

(١) راجع : النجوم الزاهرة (٧/ ٧٢) .
(٢) راجع : بدائع الزهور (١/ ٣١٢) .

ومنهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يجامل أحدا حتى ولو كان الحاكم ، ويرفض القضاء زهدا وورعا ، كفخر الدين بن عساكر ـ شيخ العز بن عبد السلام ـ فقد أنكر على حاكم دمشق المعظم عيسى تضمين المكوس والخمور .

وقد طلبه الملك العادل للقضاء فامتنع ، وقال الملك عين غيرك فعين له ابن الحَرَستانى . (١)

ومنهم من يقبل القضاء ، فيعدل بين الناس ، ويحكم بالحق ولو كان على السلطان ، كالقاضى عبد الصمد بن الحرستانى ـ شيخ العز بن عبد السلام ـ فقد قبل القضاء بعد أن الحوا عليه ، وكان صارما عادلا على طريقة السلف فى لباسه وعفته .

ومما يدل على صرامته فى الحق وعدله ، أنه تداعى اليه خصمان ، وجاء أحدهما بكتاب الملك العادل الى القاضى يحمله عليه ، فلم يفتحه ، وظهر الحق لخصم حامل الكتاب ، فقضى له عليه ، ثم فتح الكتاب ، وقرأه ورمى به الى حامله ، وقال : كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب . فبلغ العادل قوله ، فقال : صدق ، كتاب الله أولى من كتابى (٢) .

ومن الذين أنكروا المنكر على الحكام العز بن عبد السلام ، فقد عينه الملك اسماعيل بن العادل خطيبا للجامع الاموى فأنكر عليه تحالفه مع الصليبيين ضد ابن أخيه نجم الدين أيوب حاكم مصر ، فعزله اسماعيل واعتقله ، ثم أفرج عنه ، فرحل الى مصر فرحب به نجم الدين أيوب ، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص أكبر جامع فى مصر ثم ولاه قضاء القضاة بمصر والوجه القبلى . وكان العز عادلا عفيفا صارما فى تطبيق الحق ، ومما يدل

(١ ، ٢) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ١٨٤ ، ١٩٧ ، ١٩٨)

على ذلك . حكمه ببيع المماليك الذين منهم نائب السلطنة ـ أى الرجل الثانى فى الدولة ـ وامراء الجيش لانهم مماليك لبيت مال المسلمين ، فلا بد أن يباعوا ويرد ثمنهم لبيت مال المسلمين ، فأزعجهم ذلك وشكوه الى نجم الدين أيوب فساءه تصرف العز وقال : هذا أمر لا يعنيه ، فلما علم العز بذلك عزل نفسه عن القضاء ، ورحل عن مصر فتبعه العلماء والصلحاء والنساء والصبيان ، فلما علم نجم الدين بذلك لحق به وأدركه فى الطريق ، وترضاه وطلب منه أن يعود ، فشرط عليه العز أن ينفذ حكم الله فى المماليك فأجابه الى ذلك ، فرجع ونفذ بيعهم ، ورد ثمنهم الى بيت مال المسلمين ليصرف فى وجوه الخير . (١)

ففى هذا دلالة على مكانته فى قلوب عامة الناس وحبهم وتقديرهم له حيث خرجوا معه فى موكب عظيم أشبه بمظاهرة ضد الحكومة ، مما جعل نجم الدين يخاف على ملكه ، فيلحق به .

ومن مواقف العز مع الحكام إنكاره على ابن شيخ الشيوخ وزير نجم الدين أيوب ـ بناء دار للهو والغناء على أحد مساجد مصر ، ولم يكتف بالانكار بل قام بهدمها مع أولاده ، وأسقط عدالة الوزير ، وعزل نفسه عن القضاء . هذا ، وهناك مواقف أخرى سيأتى تفصيلها وكلها تدل على نزاهته وصرامته فى تطبيق الشرع واقامة الحق وانكار المنكر .

ومن القضاة العادلين شيخ الاسلام ابن دقيق العيد ـ تلميذ العز ـ فقد ولى قضاء القضاة بمصر بعد إباء شديد ، وكان عادلا فى قضائه متشددا فى تطبيق الحق ولو كان على الحاكم ، لذا عزل نفسه عن القضاء أكثر من مرة ثم يُعاد . (٢)

ومن الفقهاء من تولى الوزارة بجانب القضاء ، كتاج الدين عبد الوهاب

---

(١) راجع : المصدر السابق (٨/ ٢١٧) .
(٢) راجع : المصدر السابق (٩/ ٢١٢) .

ابن بنت الاعز ، ذكر ابن السبكى : أنه " ولى قضاء القضاة بالديـــار المصرية ، والوزارة ، والنظر وتدريس قبة الشافعى ـ رضى الله عنـــه ـ والصالحية ، والخطابة والمشيخة ، واجتمع له من المناصب ما لم يجتمـــع لغيره ، وكان يقال : إنه آخر قضاة العدل ، واتفق الناس على عدلـــه وخيره .. .. ـ ثم قال ـ : وكان الامـــراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم "(١) .

وكذلك ابنه تقى الدين عبد الرحمن ، فقد جمع بين القضـــاء والوزارة ، والمشيخة ، وخطابة الجامع الازهر ، والتدريس . (٢)

من هذا العرض الموجز والأمثلة القليلة نجد جملة من فقهاء هذا العصر كانوا على مستوى من الخلق العظيم ودرجة كبيرة من الزهد والـورع والعفة ، قائمين بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعدل بين الناس، صارمين فى تطبيق الحق ، وكانوا يجهرون بكلمة الحق عند السلطـــان الجائر فيمنعونه من ظلم الشعب وبذلك اكتسبوا محبة الناس واعزازهـــم وثقتهم ، فكانوا زعماء مصلحين للشعب الذى انقاد لهم ، وكان رهـــن اشارتهم .

كما نلحظ فى هذا العرض أن العز تأثر بشيوخه فى شدته وصراحته فى تطبيق الحق ومواجهة السلطان ، بل زاد عليهم لأن موقفه من بيـــع المماليك لم يحصل لاحد قبله . كما أن تلاميذه تأثروا به .

ثالثا : العامـــة :

هذه الطبقة تتكون من خليط من الناس تختلف أجناسها وطبائعها وأعمالها ووظائفها ، وهم تبع لمن ساد عليهم لا يفرقون بين الفاضـــل

(١ ، ٢) المصدر السابق (٨/٣١٨ ، ٣٢١ ، ١٧٢)

والمفضول ، فالسلاطين يتصارعون على الحكم فيما بينهم والعامة تشهد هذا الصراع ، ولا حول لهم ولا قوة ، ويخضعون للمنتصر ، فيدبر أمور البلاد والعباد دون أخذ رأيهم أو مشورتهم .

وعلى كاهل هذه الطبقة يقوم اقتصاد البلاد فتزوج تجارتها ويزدهر عمرانها ، وتتقدم صناعتها ، ويكثر انتاجها الزراعى . فمنهم التجار الذين يقومون بالبيع والشراء ، والتصدير والاستيراد ، فيصدرون ما تنتجه البلاد من المنسوجات والزيوت والصابون والورق ، ويستوردون ما تحتاجه من الزجاج والمسك والعود والكافور (١) .

وقد ازدهرت تجارة الرقيق فى هذا العصر بسبب الحروب الكثيرة وكانت التجارة رائجة فى الشام ومصر لتوسطهما بين الشرق والغرب.

ومنهم الصناع الذين يشتغلون بالصناعة ، وقد اشتهرت الشام ومصر بصناعة الزيوت والمنسوجات والورق والسكر ، وقد ازدهرت الصناعات الحربية بسبب الحروب التى قام بها الصليبيون والتتار ضد بلاد الاسلام .

ومنهم الزراع الذين يشتغلون بالحرث والزرع ، وكانت الزراعة ناجحة لخصوبة التربة وتوفر المياه بوجود الانهار ففى الشام نهر بردى ، والفرات ، وفى مصر نهر النيل ثانى أنهار العالم . ومنهم المهندسون والعمال الذين يشتغلون فى البناء والعمارة وقد أهتم ملوك بنى أيوب وسلاطين المماليك ببناء المساجد والمدارس والقصور الانيقة والجسور والقلاع .

ذكر المقريزى : أن الملك نجم الدين أيوب كان يحب العمارة ويباشر الابنية بنفسه ، وعمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بنى أيوب ، فأنشأ قلعة الروضة ، وأنفق فيها أموالا كثيرة ، وكانت من أجل مبانى الملوك ، وأسكن بها ألف مملوك وقيل ثمانمائة . وأقام جسرا من مصر الى الروضة وبنى على النيل من ناحية اللوق قصورا جميلة ، وبنى قصرا عظيما

---

(١) راجع : المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام للدكتور أحمد رمضان ص ١٠٧ .

على الجبل بجوار جامع ابن طولون سماه "الكبش" . وبنى قصرا بالقـــرب من العلاقمة فى أرض السانح ، وجعل حوله مدينة سماها "الصالحيـــة" فيها جامع وسوق لتكون مركزا للعساكر. (١)

وهكذا نرى أن هذه الطبقة تكدح ، وتشقى فى الحياة ليعـــم الرخاء وتكثر الخيرات ، ويزدهر العمران .

رابعا : أهل الذمـــة :

هذه الطبقة تتكون من النصارى واليهود ، وهم فرق مختلفـة ، وقد تقع بينهم وبين المسلمين فتن ، ولكن سرعان ما تنتهى ، كما حصـل من المسيحيين لما احتل هولاكو دمشق فى ربيع الاول سنة (٦٥٨ هـ) فقد استطالوا على المسلمين ، حيث "احضروا فرمانا من هولاكو بالاعتنـاء بأمرهم واقامة دينهم ــ وكان يميل معهم لان زوجته منهم ــ ، فتظاهـروا بالخمر فى نهار رمضان ، ورشوه على ثياب المسلمين فى الطرقـــات ، وصبوه على أبواب المساجد ، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام اذا مـــروا بالصليب عليهم ، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب ..... (٢)" الخ . فلما انتصر المسلمون على التتار فى معركة عين جالوت فى رمضان من هـــذه السنة ، وطردوهم من الشام ، انتقم المسلمون من النصارى حيـــث "بادروا الى دور النصارى فنهبوها ، واخربوا ما قدروا على تخريبـــه ، وهدموا كنيسة اليعاقبة ، وكنيسة مريم ، واحرقوها حتى بقيتا كومـــا ، وقتلوا عدة من النصارى ، واستتر باقيهم "(٣)

وهذه الطبقة تشارك المسلمين فى دفع عجلة الحياة ، وتقـــدم البلاد ، فتشارك فى الصناعة ، والزراعة ، والحرف الأخرى ، ولها دور هام فى التجارة ، وقد كسبت منها أموالا كثيرة ، وأثرت ثراء كبيرا .

---

(١) راجع : كتابه "السلوك" (١/ ٣٤١) .
(٢) راجع : السلوك للمقريزى (١/ ٤٢٥) .
(٣) المصدر السابق (١/ ٤٣٢) .

كما أنها تشارك فى أعمال الحكومة المالية ، وقد برزت كثيرا فى هذا الجانب ، كما نبغ منهم أدباء فى النحو واللغة العربية .

وكان ملوك بنى أيوب أدنى الى التساهل معهم وربما كان الملك الكامل أعظمهم تساهلا فى ذلك. فقد أشركوهم فى الوظائف الحكومية ، وسمحوا لهم باصلاح كنائسهم ، ويعتبر القرن السابع العصر الذهبى للآداب المسيحية .

أما سلاطين المماليك فقد قسى بعضهم على النصارى ، فذكر عن السلطان قلاوون ؛ أنه حرم المسيحيين من الالتحاق بالوظائف العامة، وكان ينزل بهم أقصى العقوبة (١) .

وهكذا نرى ان أهل الذمة عاشوا مع المسلمين فى أمن وسلام عدا بعض الفتن التى تحصل بينهم من الجهال والغوغاء وسرعان ما تنتهى فيشترك الجميع فى دفع عجلة الحياة وتقدم البلاد ورخائها .

---

(١) راجع : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول للدكتور عبد اللطيف حمزة ص (٣٤٨ ، ٣٤٩) .

المبحث الثالث

الحالة العلمية فى عصـــــره

اتضح من مبحث الحالة السياسية فى عصر العز أنها كانت مضطربة بسبب الحروب الخارجية والفتن الداخلية ، ولم يؤثر ذلك على الحالـــة العلمية ، فقد كانت نشطة .وساعد على نشاطها أن حكام ذلك العصر كانوا على مستوى من الثقافة العالية وكانوا غيورين على الاسلام الذى يحاربـــه التتار فى الشرق ويقتلون علمائه ويتلفون كتبه ، كما كان يفعل به ذلـــك الصليبيون فى الغرب . فأحاط هؤلاء الحكام أنفسهم بطبقة من العلماء ، وشجعوا المشتغلين بالعلم ، وأجزلوا لهم المكافآت ، وأكثروا من بنـــاء المدارس ، وخزائن الكتب الملحقة بها ومساكن الطلبة ووقفوا عليهـــــا الاوقاف الكبيرة .

فكان نور الدين زنكى ، وصلاح الدين يستدعيان العلماء الـــى بلادهما ، ويجزلان لهم المكافآت ، ويعمران المدارس ، ويجريان عليها الارزاق ومن مشاهير الفقهاء الذين وفدوا على نور الدين ــ قطبُ الديـــن النيسابورى (ت ٥٦٨ هـ) فسر نور الدين به وأنزله بحلب بمدرســـة باب العراق ، وبنى له مدرسة كبيرة للشافعية (١) . كما بنى مدرســـة كبيرة للحنفية فى دمشق (٢) ، وأخرى للحديث ، وتعتبر أول مدرســـة تبنى للحديث(٣) . وكان نور الدين متبحرا فى العلم ، وقد ألف كتابـــا فى الجهاد (٤) . وكان صلاح الدين فقيها ، ويحفظ القرآن الكريـــم ، وكتاب التنبيه " فى الفقه الشافعى ، وديوان " الحماسة "(٥)

---

(١) راجع : الادب فى العصر الايوبى للدكتور محمد زغلول سلام ص٧٩

(٢) راجع : الروضتين لابى شامة (١/ ٣٢٩) .

(٣) راجع : حسن المحاضرة للسيوطى (٢/ ٢٦٢) .

(٤) راجع : الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد على(٢ / ٢٩٢) .

(٥) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٧/ ٣٤٠) .

ويحب مجالسة العلماء ، ويحضر حلقات العلم ، فقد رحل الى الاسكندرية مصطحبا معه ابنيه الافضل والعزيز لسماع المحدث الكبير الحافظ السِّلفى ." كما جعل له ميقاتا لسماع الاحاديث النبوية بقراءة الامام تاج الدين الهندهى المسعودى". (١)

وكان يولى العلماء والنابهين أمور المسلمين ، فكانت حظيته تزدان بمثل القاضى الفاضل وزيرا ومدبرا ومشيرا ، والعماد الاصفهانى كاتبا وشاعرا ومؤرخا وأديبا ، والقاضى بهاء الدين ابن شداد الذى لا يفارقه فى السلم أو الحرب(٢) ، وقد جمع سيرته فى كتاب " النوادر السلطانية ".

وقد اهتم صلاح الدين فى سياسته بأمرين :

الاول : نشر المذهب السنى عقيدة وعملا ، ومحاربة عقائد الاسماعيلية التى نشرها الفاطميون .

الثانى : إثارة الحماس الدينى لجهاد الصليبيين الذين احتلوا بعض بلاد المسلمين .

فاتخذ العلماء والفقهاء وأنشأ المدارس الكثيرة لتحقيق ذلك .

قال ابن خلكان : " فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة شرع الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى بناء خانقاه(٣) سعيد السعداء ، وهى أول خانقاه عمرت بالقاهرة ثم بنى المدرسة المعروفة بالسيوفية ، وجعلها للحنفية ، ثم بنى المدرسة المعروفة بالقمحية ، وجعلها للمالكية ، ثم بنى المدرسة العظيمة التى بجوار الامام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ ، وجعلها

---

(١) راجع : الروضتين (١/ ٢١٤) .
(٢) راجع : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى للدكتور عبد اللطيف حمزة ص ١٥٠ .
(٣) خانقاه : أصلها فى الفارسية مركبة من كلمتين هما : " خان " ومعناها القراءة أو الذكر ، والكلمة الثانية : " قاه " ومعناها : المكان فعلى هذا معنى كلمة خانقاه مكان الذكر ، وعند المصريين تسمى الزاوية .

للشافعية ، ثم بنى مدرسة عند دار الضرب ، وجعلها للحنابلة ، وأنشأ بجوارها مارستان[1] ، ولم يكن بالقاهرة مارستان قبله غير الذى أنشأه أحمد بن طولون فى القطائع وبطل أمره ، وأنشأ مدرسة بالقدس الشريف ، وسماها الصلاحية "[2] .

وكان ينفق على مدارس القاهرة وحدها ألفى دينار كل شهر أى ما يوازى أربعة وعشرين ألف دينار كل سنة ، وكان لجامع عمرو بن العاص ، راتب يومى قدره ثلاثون دينارا .[3]

وقد تأثر أبناؤه بهذا الرقى العلمى . فكان ابنه الملك الأفضل شاعرا وأديبا ، قرب اليه من الأدباء الكاتب المسترسل ضياء الدين بن الأثير صاحب كتاب " المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر " وقد لازمه زمن ولايته على دمشق ، وكانت بينهما مودة [4] .

وسار على نهج صلاح الدين أخوه الملك العادل فى حبه للعلم وتشجيعه ، وبناء المدارس ، وتوجيه أبنائه للعلم . فكان ابنه الملك الكامل محبا للحديث وأهله ، حريصا على حفظه ونقله ، وله تعليقات على صحيح مسلم ، وقد أجازه الحافظ السلفى ، وبعض العلماء وخرج له أبو القاسم بن الصفراوى أربعين حديثا سمعها من جماعة .[5]

وكان يجمع العلماء ويطرح عليهم المشكلات ، وله ميل الى فنن الادب ، ويطارح الشعراء .[6]

---

(١) مارستان : كلمة فارسية معربة معناها : مستشفى . راجع: مختار الصحاح (مرس) .
(٢) راجع : تاريخ ابن اياس(١/ ٢٤٢ ، ٢٤٣) نقلا عنه .
(٣) راجع : رحلة ابن جبير ص ٢٤ .
(٤) راجع : الادب فى العصر الايوبى ص ٨٠ .
(٥) راجع : النجوم الزاهرة (٦/ ٢٢٧ ، ٢٢٨) .
(٦) راجع: بدائع الزهور(١/ ٢٦٧) وحسن المحاضرة(٢/ ٣٤) .

وأنشأ بالقاهرة مدرسة للحديث سنة (٦٢١ هـ) سميت بالكاملية ، وهى ثانى مدرسة انشئت للحديث فأول مدرسة أنشأها نور الدين زنكى بدمشق (١) ـ كما سبق ـ وكان الملك المعظم عيسى بن العادل أديبا نحويا حنفيا متعصبا ، وقد صنف " السهم المصيب فى الرد على الخطيب البغدادى فيما تكلم به فى حق أبى حنيفة فى تاريخ بغداد " وصنف فى العروض ، وله ديوان شعر (٢) ، وكان يُحرض الفقهاء على الاجتهاد والاشتغال بالعلم ، وحفظ الكتب ، فقد أُثر عنه أنه كان يقول : من حفظ نص " الجامع الكبير " فى الفقه للكرمانى أعطيته مائة دينار ، ومن حفظ " الايضاح " لابى على فى النحو أعطيته مائتى دينار ، فحفظ جماعة الكتابين ، ووفى لهم بما شرط (٣) . وقد سماه أحد المؤرخين له فى عصرنا بـ " مأمون بنى أيوب " (٤) وكان الملك المعظم توران شاه بن نجم الدين أيوب ، ماهرا فى العلوم ، عارفا للخلاف والفقه والأصول ، وكان جده الملك الكامل يحبه لميله الى العلم ، ويلقى عليه من صغره المسائل المشكلة ، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها فى مجلسه (٥) .

وهكذا كان ملوك بنى أيوب يحبون العلم والعلماء ويقربونهم ، وقد رأينا منهم المحدث والفقيه والاديب والشاعر ، وليس منهم أحد الا وله باع فى العلم ، ولم يُستثنَ منهم الا نجم الدين أيوب بن الكامل ، فكان بطبعه يميل الى العسكرية والفروسية ، ومع هذا كان يشجع العلم والعلماء ويقربهم ، وينشىء المدارس (٦) ، وقد سبق فى مبحث الاحوال السياسية أنه رحب بالعز بن عبد السلام لما قدم الى مصر ، وولاه القضاء والخطابة وما فعل هذا الا حبا للعز وتقديرا لعلمه .

---

(١) راجع : حسن المحاضرة (٢/ ٢٦٢)
(٢) راجع : النجوم الزاهرة (٦/ ٢٦٧) والسلوك للمقريزى (١/ ٢٢٤)
(٣) راجع : الادب فى العصر الايوبى ص ٨٠ .
(٤) راجع : كتاب " مأمون بنى أيوب " للدكتور أحمد بدوى .
(٥) راجع : السلوك (١/ ٣٥٣) .
(٦) راجع : مطالعات فى الشعر السلوكى والعثمانى ص ٥٥ .

وشرع فى بناء مدرسة كبيرة بالقاهرة سنة (٦٣٩هـ) أسمه بجامعة تضم أربع مدارس ، تدرس فيها المذاهب الاربعة ، وبعد تمامها عين العز بن عبد السلام بها مدرسا للمذهب الشافعى بعد استعفائه من القضاء[1] كما سيأتى تفصيله .

وسار سلاطين المماليك على نهج ملوك بنى أيوب فى تشجيع العلم ، وحب العلماء وتقريبهم ، وانشاء المدارس والخوانق . فكثرت المدارس التى تدرس فيها العلوم الشرعية واللغوية ، والمساجد والجوامع التى تقام فيها حلقات العلم والدرس ، ويفد اليها الطلاب من جميع الجهات .

ومن أهمها جامع عمرو بن العاص والجامع الازهر وجامع ابن طولون بمصر ، وبيت المقدس والجامع الاموى بالشام .

ووقف الملوك والامراء الأوقاف الكبيرة على طلبة العلم والمساجد والمدارس وما الحق بها من خزائن الكتب مما شجع انتشار العلم بين آلاف الناس .

وفى ظل هذه الحركة العلمية النشطة ترعرع العلم ، ووجد طبقة من جهابذة العلماء كالحافظ أبى محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم على بن عساكر ، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن اسماعيل البغدادى والحافظ عبد العظيم المنذرى فى الحديث . وفخر الدين بن عساكر . والقاضى عبد الصمد بن محمد الحَرَسْتانى فى الفقه . وسيف الدين الامدى فى الاصول . والشيخ شهاب الدين السهروردى ، وأبى الحسن الشاذلى ، وأبى العباس المرسى فى التصوف .

ومن هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم استفاد العز وتكونت شخصيته المتميزة الجامعة بين الفقه والأصول والتصوف والتفسير واللغة ، وأفادته هذه الحركة العلمية فى نشر علمه واستفادة الناس منه .

والناظر فى مؤلفات هذا العصر يلحظ أن الاختصار والشرح كانا

---

(١) راجع : حسن المحاضرة (٢ / ٢٦٣)

سمة هذا العصر ، فأكثر المؤلفات اما اختصار لكتب الاقدمين ، واما شرح لهـا .

وقد تأثر العز بن عبد السلام بهذه الظاهرة ، لذا نجد قسمـا من مؤلفاته عبارة عن مختصرات .

فله اختصار تفسير الماوردى " النكت والعيون " الذى ستأتى دراسته وتحقيقه ، وله اختصار نهاية المطلب لامام الحرمين الجوينى فى كتاب بعنوان " الغاية فى اختصار النهاية " فى خمسة مجلدات . وله شرح منتهى السؤل والامل فى علمى الاصول والجدل لابى عمرو ابن الحاجب المالكى . كما أن العز نفسه اختصر كتابه " قواعد الاحكام فى مصالح الانام " فى كتاب بعنوان : " القواعد الصغرى " واختصر كتابه " الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز " .

ومن مؤلفات هذا العصر " شرح جدل الشريف " للآمدى (ت ٦٣١ هـ) و " شرح مشكل الوسيط " فى فروع الشافعية لابن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) و " شرح التنبيه " و " مختصر صحيح مسلم "[1] و " مختصر سنن أبى داود وحواشيه " للمنذرى (ت ٦٥٦ هـ) و " مختصر تاريخ دمشق "[2] لابى شامة المقدسى (ت ٦٦٥ هـ) تلميذ العز ، و " شرح صحيح مسلم " و " المجموع شرح المهذب " للنووى (ت ٦٧٦ هـ) و " شرح الورقات "[3] و " الاقليد لدر التقليد شرح التنبيه " لتاج الدين الفركاح (ت ٦٩٠ هـ) ولم يتمه ، و " أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام " فى الحديث لابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) تلميذ العز ، و " التحرير مختصر المحرر " و " مختصر فى الأصول " و " مختصر فى المنطق " لابى

---

(١) يوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتح باستنبول برقم (١١٤١) فى مجلد نسخ سنة (٧١٥هـ) وخطه جميل .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر يقع فى (٨٠) مجلداً واختصره أبو شامة مرتين الاولى فى عشرين مجلداً .

(٣) الورقات لامام الحرمين الجوينى .

الحسن علاء الدين الباجى (ت ٧١٤ هـ) تلميذ العز وله مختصرات أخرى كثيرة حتى قيل ما من علم الا وله فيه مختصر(١) .

وسبب شيوع هذه المختصرات والشروح فى هذا العصر أن العلوم الشرعية واللغوية ، قد نضجت وأُنعمت بمؤلفات السابقين ومصنفاتهم ، فلم يبق مجال لعلماء هذا العصر الا الاختصار والشرح (٢) والتعليق ، وتبسيط هذه العلوم ، وصياغتها بلغة ذلك العصر .

ولا يعنى هذا أنه لم تظهر فى هذا العصر مؤلفات قائمة بذاتها ، وفيها تجديد ، بل وجد مؤلفات من هذا النوع . فللعز كتاب " قواعد الاحكام فى مصالح الانام " و " الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز " وهما من أجود ما ألف فى بابهما .

قال ابن السبكى : " وهذان الكتابان شاهدان بامامته وعظيم منزلته فى علوم الشريعة "(٣) . وألف تفسيرا للقرآن الكريم غير تفسيره المختصر ، وسيأتى الكلام عن ذلك فى مؤلفاته.وللامدى كتاب " الاحكام فى أصول الاحكام " وهو من أحسن ما ألف فى أصول الفقه فى هذا العصر وله " الابكار " فى أصول الدين .

ولابن الصلاح كتاب " معرفة علوم الحديث " المشهور بمقدمة ابن الصلاح من أجود ما ألف فى بابه .

وله ـ أيضا ـ " معرفة المؤتلف والمختلف فى أسماء الرجال " .

ولأبى شامة " الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية " و " ذيله " فى تراجم رجال القرنين . وللنووى كتاب " تهذيب الاسماء واللغات " وهكذا نجد هذه المصنفات القائمة بذاتها بجانب المختصرات والشروح التى شاعت فى هذا العصر ، وأصبحت سمة من سماته .

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (١٠/ ٣٤١)

(٢) راجع : د على صافى فى كتابه " ابن دقيق العيد حياته وديوانه " ص ٥٣ .

(٣) راجع : كتابه " طبقات الشافعية (٨/ ٢٤٧) .

الفصل الثانـــى

نسبه ومولده وطلبه للعلـــم وأعمالـــــه

يتكون من أربعة مباحـــث :

١ ــ نسبه ومولـــده .

٢ ــ نشأته وطلبه للعلم .

٣ ــ أعماله ومواقفـــه .

٤ ــ وفاته وعمـــره .

المبحث الأول

نسبه ومولده

نسبه :

هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم ابن الحسن بن محمد بن مهذب السلمى المغربى الاصل الدمشقى ثم المصرى الشافعى ، الملقب بسلطان العلماء ، وقد اشتهر بالعز بن عبد السلام . (١)

فهو "السُلمى" بضم السين ، كما ورد على الورقة الأولى من تفسيره ، وقد ضبط بذلك فى المصادر التى ذكرتْه ، وهو منسوب الى بنى سُليم احدى القبائل المشهورة من قبائل مضر . والمنسبون اليها كثير (٢) .

وهو المغربى الأصل فلعل أحد أجداده جاء من المغرب وسكن الشام وهو الدمشقى منسوب الى دمشق لانه ولد بها . ثم المصرى منسوب الى مصر لانه رحل اليها ، وقضى فيها بقية حياته وتوفى ودفن بها . وهو الشافعى نسبة الى الامام الشافعى لانه شافعى المذهب ، وان كان له آراء استقل بها حتى قال بعضهم : إنه بلغ رتبة الاجتهاد وسيأتى تفصيل ذلك .

واسمه عبد العزيز ولقب بعز الدين جريا على عادة عصره الذى انتشرت فيه هذه الالقاب المنسوبة الى الدين لسلطان الدين فى نفوس

---

(١) راجع : الذيل على الروضتين لابى شامة (ص ٢١٦) وفوات الوفيات (١/ ٥٩٤) وطبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٠٩) وطبقات الشافعية للاسنوى (٢/ ١٩٧) والمختصر لابى الفداء (٣/ ٢١٥) والبداية والنهاية (١٣/ ٢٣٥) وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٥/ ٣٠١) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨) وحسن المحاضرة (٢/ ١٦١) وطبقات المفسرين للداودى (١/ ٣٠٨) والاعلام للزركلى (٤/ ١٤٤).

(٢) راجع : اللباب فى تهذيب الانساب لابن الاثير (١/ ٥٥٣) .

الناس وعنايتهم به ، ولقب بها الملوك والامراء والعلماء ، مثل : صلاح الدين يوسف ، وركن الدين الظاهر بيبرس ، وتاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز . الخ .

ولقبه تلميذه ابن دقيق العيد بـ " سلطان العلماء " ولعل وجه ذلك أنه أنكر على السلاطين المنكر وقارعهم بالحجة فغلبهم ، واشتهر بالعز بن عبد السلام ، وقد جعلت عنوان موضوعي بهذه الشهرة ، كما أنني اذا ذكرته في أثناء البحث فأذكره بها .

مولـــده :

اتفقت المصادر التي ترجمت للعز أنه ولد بدمشق ، وترددت في تحديد تاريخ مولده بين سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، أو ثمان وسبعين[1] .

كما اتفقت هذه المصادر على تاريخ وفاته وهو سنة ستين وستمائة ، ولكنها ترددت في تحديد عمره بين ثلاث وثمانين سنة ، أو اثنتين وثمانين بناء على ترددهم في تاريخ ميلاده .

وقد رجح الباحث رضوان الندوي أن مولده سنة سبع وسبعين وستمائة فقال : " واذا صحت رواية السبكي التي نص على أنه عاش ثلاثا وثمانين سنة ، والتي أيدها ابن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة) جاز لنا أن نقول إنه ولد سنة ٥٧٧ هـ في حوالي ربيع الاخر منها "[2]

وقد تابعه في ذلك الباحث محمد حسن عبد الله[3] ورواية ابن السبكي التي أشار اليها هي قوله : " وحكى أن شخصا جاء اليه ، وقال له : رأيتك

---

(١) راجع : فوات الوفيات (١/ ٥٩٤) وطبقات ابن السبكي (٨/ ٢٠٩) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢٣٥) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨) وحسن المحاضرة (١/ ٣١٤) وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٠٩)

(٢) راجع : كتابه " العز بن عبد السلام " ص ٣٤ .

(٣) راجع : كتابه " عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك " ص ٥٠ .

فى النوم تنشد :

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة
ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشلَّتِ

فسكت ساعة ثم قال : أعيش من العمر ثلاثا وثمانين سنة ، فان هذا الشعر لكُثيِّر عِزَّة ، ولا نسبة بينى وبينه غير السن ، أنا سنى وهو شيعى ، وأنا لست بقصير وهو قصير ، ولست بشاعر وهوشاعر ، وأنا سُلمى وليس هو بسُلمى ، لكنه عاش هذا القدر . قلت فكان الامر كما قال رحمه الله ". (١)

وقد تعقبهما الباحث عبد العظيم فودة فقال : " وبالرجوع الى (طبقات السبكى) والى كتاب (النجوم الزاهرة)تبين لنا مدى الخطأ الذى وقع فيه هذان الباحثان ـ فالسبكى ـ تردد كغيره من المترجمين فى تحديد سنة ولادة عز الدين بين سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة كما هو واضح من النص السابق ، وهذا التردد يضعف الى حد كبير ما ذكره بعد ذلك من تحديد عمره بثلاثة وثمانين عاما بناء على رؤيا منامية رآها أحد الناس للعز ، وفسرها العز بذلك .

وكذلك (ابن تغرى بردى) فى كتابه (النجوم الزاهرة) تردد كغيره من المترجمين فى تحديد سنة ولادة العز ، حيث ذكر أن مولده سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة فالترجيح الذى ذهب اليه الدكتور الندوى ، وتابعه فيه الاستاذ محمد حسن عبد الله ترجيح لا أساس له ، لانه مبنى على رواية ضعيفة ، أو على نقل خاطىء من هذين المصدرين السابقين ". (٢)

---

(١) راجع : كتابه " طبقات الشافعية " (٨/٢٤٥ ، ٢٤٦) .
(٢) راجع : رسالته للماجستير " عز الدين بن عبد السلام وأثره فى الفقه والأصول " ص ٦٢ .

قلت : وقد رجعت الى المصدرين المشار اليهما فتأكد لـــى صحت ما قال ، فما ذهب اليه هو الصواب ، لان المصدرين قـــد تردد ا في تحديد مولده ، فتردد ابن السبكى بضعف الرواية التى ذكرهـــا ، ويؤكد ذلك أنه ذكرها بصيغة التمريض والتضعيف فقال : " وحُكـــى أن شخصا جاء اليه ..... " الخ .

هذا ، والخلاف فى تاريخ ميلاده لا يترتب عليه كبير فائـــدة .

المبحث الثانى

نشأته وطلبه للعلم

نشأته :

يظهر من عدم ضبط كتب التاريخ لتاريخ مولد العز ، أنه نشأ فى أسرة فقيرة مغمورة ، لذا لم تسجل كتب التاريخ شيئاً عن نشأته الاولى ، أو عن آبائه وأجداده ، لانه لم يكن لهذه الأسرة مجد أو سلطان أو علم .

وقد ذكر ابن السبكى أن العز كان فى أول أمره فقيرا جدا ، ولم يطلب العلم الا على كبر ، " وسبب ذلك أنه كان يبيت فى الكلاسة[1] من جامع دمشق ، فبات بها ليلة ذات برد شديد ، فاحتلم فقام مسرعا وتزل فى بركة الكلاسة ، فحصل له ألم شديد من البرد ، وعاد فنام فاحتلم ثانيا ، فعاد الى البركة ، لأن أبواب الجامع مغلقة وهو لا يمكنه الخروج ، فطلع فأغمى عليه من شدة البرد ، أنا أشك هل كان الشيخ الامام - يعنى والده - يحكى أن هذا اتفق له ثلاث مرات تلك الليلة ، أو مرتين فقط ، ثم سمع النداء فى المرة الاخيرة يا ابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل ؟ فقال الشيخ عز الدين : العلم ، لانه يهدى الى العمل ، فأصبح وأخذ "التنبيه"[2] فحفظه فى مدة يسيرة ، وأقبل على العلم فكان أعلم أهل زمانه ومن أعبد خلق الله تعالى"[3] أ هـ .

فابن السبكى ساق هذه الحادثة للدلالة على فقر العز ، وعلى أنه لم يطلب العلم الا على كبر . ويرى محمد حسن عبد الله أن هذه

---

(١) زاوية الباب الشمالى للجامع الاموى بدمشق .
(٢) التنبيه : متن متداول فى الفقه الشافعى .
(٣) راجع : كتابه" طبقات الشافعية " (٨/٢١٢) .

الحادثة دليل على أن العز كان متعلما قبل ذلك ، ووجه ذلك بقوله :
" والذى أريد أن أؤكده هنا هو أن العز لم يشتغل بالعلم بطريقة فجائية ، لم تنبت أشجاره فى أرض جرداء ، وانما هو - وان لم ينقطع لطلب العلم قبل هذا النداء الداخلى - قد شغل به كثيرا ، وفكر فيه طويلا ، وأدرك منه أطرافا ووعى من مسائلة أشياء وأشياء يدل على ذلك هذا النص نفسه ، والذى يتخذ وسيلة لاثبات عكس ما تراه .

فالشاب الذى يتحرج من الاستسلام الى دفء الفراش فى ليلة قارصة البرد لا شك يعرف قيمة عمله هذا . إن مبادرته الى التطهر عقب اكتشاف الأثر لدليل على وعى عميق وادراك سليم لمعنى الصلة بالله (١)" أ هـ .

قلت : والصواب ما ذهب اليه ابن السبكى ، لان الشخص الذى يغتسل بالماء البارد فى ليلة شديدة البرودة ، قد عرض نفسه للهلاك ، والشارع لا يأمر بذلك بل رخص له فى التيمم ، وقد روى الامام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته" (٢).

فلو كان العز متعلما قبل ذلك كما يرى الباحث لما أقدم على ذلك كما فى تلك الحادثة .

وفى هذه الحادثة دلالة على ورعه وتقواه ، وصرامته وتحمله للشدائد ، وتعرضه للمخاطر فى سبيل رضا الله ، حيث ترك لذة النوم ودفء الفراش ، فاغتسل بماء شديد البرودة فى ليلة قارصة .

---

(١) انظر : كتابه "عزالدين بن عبد السلام بائع الملوك" ص ٥٣ .
(٢) راجع : مسنده (٢/١٠٨) طبع الحلبى .

طلبه للعلـم :

وحيث إن العز طلب العلم على كبر فقد جد واجتهد فى حفظ المتون ودراسة الكتب ، والتردد على كبار شيوخ عصره ، ليعوض ما فاتـه فى صغره . كما أن كبر سنه وذكائه أعاناه على تحصيل العلم الكثيـر وهضمه وادراك مسائله العويصة ، رُوى عنه أنه كان يقول : "ما احتجت فى علم من العلوم الى أن أكمله على الشيخ الذى أقرأ عليه ، وما توسطته على شيخ من المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم الا وقال لى الشيـخ : قد استغنيت عنى فاشتغل مع نفسك ، ولم أقنع بذلك ، بل لا أبرح حتـى أكمل الكتاب الذى أقرؤه فى ذلك العلم "(١) .

وكان يقول : مضت لى ثلاثون سنة لا أنام حتى أمر أبـواب الاحكام على خاطرى . (٢)

وكانت دمشق فى عصره منتجعا للعلماء من الشرق والغـرب نظرا لتوسطها ، فاجتمع فيها جهابذة العلماء البارعين فى فنون العلم ، وقد تردد عليهم شيخنا العز بن عبد السلام فنهل من علمهم الصافـى الفياض ، وتأثر بأخلاقهم الفاضلة وسلوكهم فى الحياة ، فانصقلت مواهبه ، وتميزت شخصيته الجامعة بين الفقه والاصول ، والتفسير واللغة والتصوف . فتفقه فى بداية تعلمه على القاضى عبد الصمد الحرستانى ، وكان مـن قضاة العدل الزاهدين الورعين ، وكان العز معجبا به معظما لـه ، فكان يقول : "لم أر أفقه منه" .

ودرس الاصول على الشيخ سيف الدين الآمدى ، أحد أذكيـاء العالم البارع فى علم الاصول والمناظرة ، وتأثر به ، وكان معجبا بعلمـه

---

(١) انظر : طبقات المفسرين للداودى (١/ ٣١٣) .
(٢) انظر : رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى ص ٣٥٠ .

وقد أشاد بذلك بقوله : " ما سمعت أحدا يلقى الدرس أحسن منه "
وقوله : " ما علمنا قواعد البحث الا منه " .

وتلقى الحديث والفقه الشافعى على الامام فخر الدين ابن عساكر الورع الزاهد ، فتأثر به فى علمه وأخلاقه .

وكان لهؤلاء الشيوخ أكبر الاثر فى صقل مواهب العز وتوجيهه وسلوكه .

وقد تردد العز على شيوخ آخرين غيرهم ، فسمع الحديث من الحافظ أبى محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبى القاسم ابن عساكر ، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن أبى سعد البغدادى ، وبركات بن ابراهيم الخشوعى وغيرهم .

ولم يكتف العز بعلماء بلده ، فكان يتطلع الى بغداد عاصمة الخلافة العظمى ، وكعبة العلم ، فيمم شطره اليها فوصلها سنة (٥٩٧ هـ) ، فتردد على علمائها ، ونهل من علمهم واستفاد من تجاربهم ، فسمع الحديث من أبى حفص عمر بن طبرزد ، وحنبل بن عبد الله الرصافى . ولم يمكث بها طويلا .

قال ابن رافع السلامى : " وسمعت بعض المحدثين يقول : إنه دخل بغداد فى طلب العلم فوافق يوم دخوله موت الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى وذلك سنة ٥٩٧ هـ (١) .

وهكذا نلاحظ أن العز تخرج على هؤلاء العلماء الكبار ، كما أنه استفاد من غيرهم . وكان يواصل التحصيل والتلقى من الشيوخ حتى بعد أن صار شيخا كبيرا تهابه الملوك وتخشى مخالفته . فبعد أن رحل الى مصر عام ٦٣٩ هـ كان يحضر مجلس الحافظ زكى الدين

---

(١) راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ٣٨ .

عبد العظيم المنذرى (ت ٦٥٦ هـ) فى الحديث . وحلقات الشيـــخ أبى الحسن على بن عبد الله الشاذلى (ت ٦٥٦ هـ) المتصـــــوف المعروف ويجله ويستفيد منه فى علم الحقيقة كما أن الشاذلى كان يوقـــر العز ويستفيد منه فى الفقه .

ويقول : قيل لى : " ما على وجه الارض مجلس فى الفقه أبهـــى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وما على وجه الارض مجلـــس فى الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم ، وما علـــى وجه الارض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك "(١) .

وهذا شأن العالم المخلص فانه يواصل تحصيل العلـــــم ولا يشغله عنه شاغل مهما كان ذلك . وسيأتى التعريف بشيوخه وأثرهـــم فيه فى فصل مستقل

---

(١) راجع : حسن المحاضرة (١/٣١٥) .

المبحث الثالث

أعماله ومواقفه

بعد أن تعلم العز ، ونضج بدأ يزاول حياته العملية في التدريس ، والافتاء ، والقضاء ، والخطابة . وقد زاول هذه الاعمال في دمشق التي قضى فيها الشطر الاكبر من حياته ، ثم في مصر التي قضى فيها بقية حياته . وسوف أتحدث عن أعماله في كل بلد على حدة ، وعن أهم مواقفه من حكام عصره .

أعماله في دمشق

أولا : التدريس :

قام العز بالتدريس بعدة مدارس في دمشق (1) ذكرت المصادر منها :

١ ـ المدرسة العزيزية :

كان للعز مجلس للتدريس بهذه المدرسة ، وكان يدرس بها ـ أيضا ـ شيخه سيف الدين الآمدي وقد أخذت هذه المدرسة من الآمدي (ت٦٣١ هـ) وهذا الخبر يدل على أن العز كان يدرس بهذه المدرسة قبل وفاة شيخه الامدي (2) .

٢ ـ الزاوية الغزالية :

وهي مكان صغير تقام فيه العبادة والاذكار والتدريس وهي الزاوية الغربية للجامع الأموي ، ونسبت الى الغزالي لكثرة اعتكافه فيها وتدريسه .

---

(1) راجع : البداية والنهاية (١٣/٢٣٥) .
(2) راجع : مع القائد الروحي ص ٥٦ .

وقد قام بالتدريس فيها كبار علماء هذا العصر . وتولى العـــز التدريس بها من قبل الملك الكامل بعد وفاة الشيخ جمال الدين محمـــد الدولعى الذى كان يدرس بها فى جمادى الاولى سنة (٦٣٥ هـ) (١) .

ثانيـا : الافتـــاء :

الافتاء فى عصر العز ليس وظيفة رسمية يعين فيها المفتى مـــن قبل الحكومة ، ويخصص له مرتب عليها . وانما هى مهمة يقوم بهـــا العالم الفاضل الذى يرى فى نفسه أهلية ذلك ، ويتصف بالورع والتقوى ، فيقصده الناس يستفتونه فيما يشكل عليهم من أمور دينهم فيفتيهم حسبة لله .

وكان العز مفتى الشام (٢) منذ عهد الملك الاشرف موســـى ابن العادل (ت ٦٣٥ هـ) ويدل على ذلك الفتيا التى أفتى بهـــا الحنابلة فى مسألة كلام الله ، بأنه معنى قائم بذاته قديم أزلى ليـــس بحرف ولا صوت .

ومن قال : بأنه حرف وصوت فانه مخطىء ، ومبتدع وكان الملـك الاشرف يقول بذلك ، فأوصلوها اليه ، وكانوا يريدون من سؤال العـــز الايقاع بينه وبين الاشرف ، وكان العز يعلم ذلك حيث قال : " هـــذه الفتيا كتبت امتحانا لى ، والله لاكتبت فيها الا ما هو الحق "(٣)

فكتب عقيدته المشهورة بـ " ملحة الاعتقاد " فلما قرأها الاشـــرف غضب عليه ،وكتب اليه جوابا عنها ، فرد عليه العز ، فاشتد غضبـــه ، فأرسل وزيره الغرز خليلا الى العز ليبلغه أنه اشترط عليه ثلاثة شـــروط ،

---

(١) راجع : الذيل على الروضتين ص ١٦٦ ، وطبقات السبكـــى (٨/ ٢٤٢) .
(٢) راجع : الذيل على الروضتين (ص ١٧٠) .
(٣) راجع : طبقات ابن السبكى (٨/ ٢١٨) .

أحدها : أنه لا يفتى ، والثانية : أنه لا يجتمع بأحد ، والثالثة : أنه يلزم بيته .

فقال العز : " يا غرز إن هذه الشروط من نعم الله الجزيلة على الموجبة للشكر لله ـ تعالى ـ على الدوام ، أما الفتيا فانى كنت والله متبرما بها واكرهها ، وأعتقد أن المفتى على شفير جهنم ، ولولا أنى أعتقد أن الله أوجبها علىَّ لتعينها علىَّ فى هذا الزمان ، لما كنت تلوثت بها ، والآن فقد عذرنى الحق ، وسقط عنى الوجوب وتخلصت ذمتى ولله الحمد والمنة . يا غرز ، من سعادتى لزومى لبيتى ، وتفرغى لعبادة ربى والسعيد من لزم بيته وبكى على خطيئته ، واشتغل بطاعة الله ـ تعالى ـ ، وهذا تسليك من الحق ، وهدية من الله ـ تعالى ـ الىَّ أجراها على يد السلطان وهو غضبان وأنا بها فرحان ، والله يا غرز ، لو كانت عندى خلعه تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة لخلعت عليك ، ونحن على الفتوح ، خذ هذه السجادة صلِ عليها ، فَقَبِلَها ، وَقَبَّلها ، وودعه وانصرف الى السلطان ، وذكر له ما جرى بينه وبينه ، فقال لمن حضره : قولوا لى ما أفعل به ، هذا رجل يرى العقوبة نعمة ، اتركوه بيننا وبينه الله[1] " أ هـ .

وبقى العز على تلك الحال ثلاثة أيام ، ثم إن الشيخ العلامة جمال الدين الحصيرى شيخ الحنفية فى زمانه ذهب الى الاشرف فقال له : " ايش بينك وبين ابن عبد السلام ، وهذا رجل لو كان فى الهند أو فى أقصى الدنيا كان ينبغى للسلطان أن يسعى فى حلوله فى بلاده ، لتتم بركته عليه وعلى بلاده ، ويفتخر به على سائر الملوك .

قال السلطان : عندى خطة باعتقاده فى فتيا ، وخطه أيضا فى رقعة جواب رقعة سيرتها اليه ، فيقف الشيخ عليهما ، ويكون الحكم بينى

---

(١) راجع : المصدر السابق .

وبينه ، ثم أحضر السلطان الورقتين فوقف عليهما ، وقرأهما الى آخرهما ، وقال : هذا اعتقاد المسلمين ، وشعار الصالحين ويقين المؤمنيـــن ، وكل ما فيهما صحيح .

فقال السلطان رحمه الله : نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارطة فى حقه ، والله لاجعلنه أغنى العلماء ، وأرسل الى الشيـــخ واسترضاه وطلب محاللته ومخاللته "(١) .

فكان بعد ذلك يأخذ بفتواه ومشورته وقد طلبه فى مرض موتـــه ، وسأله محاللته ونصحه . فنصحه العز بأن يحول عسكره الذين استعـــدوا لقتال أخيه الملك الكامل حاكم مصر الى جهة العدو المشترك التتـــار ، وكانوا قد ظهروا فى شرق بلاد الاسلام فى ذلك الوقت ، فأمر الاشـــرف بذلك .

كما نصحه بابطال المنكرات التى يرتكبها نوابه من الزنا وادمـــان الخمور ، وتمكين المسلمين ، وظلم الناس . فأمر الاشرف بابطال ذلك . كما باشر العز بنفسه تبطيل بعضها .

وبعد هذه النصيحة قال الاشرف : " جزاك الله عن دينك وعـــن نصائحك وعن المسلمين خيرا ، وجمع بينى وبينك فى الجنة بمنه وكرمـــه ، وأطلق له ألف دينار مصرية ، فردها عليه ، وقال : هذه اجتماعة للـــه لا أكدرها بشئ من الدنيا " .

ثم لم يمض أخوه الصالح اسماعيل تبطيل المنكرات ، لانه كان نائبه يومئذ ، ثم استقل بالملك بعد موته وكان أعظم منه فى اعتقاد الحـــرف

---

(١) راجع ، المصدر السابق .

والصوت ، ثم لم يلبث الا يسيرا حتى قدم أخوه الملك الكامل من الديـــار المصرية بجيوشه الى دمشق وحاصر أخاه اسماعيل ، ثم اصطلح معـــه . وأكرم الكامل العز غاية الاكرام .

وقد اجتمع مع العز بحضور أخيه أسماعيل ، فقال الكامل : "إن هذا له غرام برمى البندق ، فهل يجوز له ذلك ؟

فقال الشيخ : بل يحرم عليه ، فان رسول الله ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ نهى عنه ، وقال : إنه يفقئ العين ويكسر العظم ". (١)

فيلاحظ أن ملوك بنى أيوب كانوا يعزون الشيخ ويكرمونه غاية الاكرام ، ويحبون مجالسته ، والاستماع الى نصحه ، والعمل بمشورته . فكـــان ينصحهم بما فيه خير الاسلام والمسلمين ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهـــم عن المنكر ولا يهابهم ولا يجاملهم .

وقد اشتهر العز بالافتاء حتى أن الناس كانت ترد عليه من البلاد لتستفتيه ، كما أن شهرته بذلك قد وصلت الى مصر قبل أن يذهب اليهـــا بدليل أنه لما ذهب اليها سنة (٦٣٩ هـ) امتنع مفتيها الحافظ المنذرى من الفتيا وقال : "كنا نفتى قبل حضور الشيخ عز الدين ، واما بعـــد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه ". (٢)

ثالثا : القضاء والرسالة الى الخليفة العباسى :

ذكر ابن السبكى عن رسالة ولد العز الشيخ عبد اللطيف فى أخبار والده : أن الملك الكامل لما حاصر دمشق واستولى عليها من أخيه الملـــك الصالح اسماعيل ولّى والده الشيخ تدريس زاوية الغزالى بجامع دمشق ، وذكّر بها الناس ، ثم ولاه قضاء دمشق بعد ما اشترط عليه الشيخ شروطـــا

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٤١ ، ٢٤٢) .
(٢) راجع : حسن المحاضرة (١/ ٣١٥) وبدائع الزهور (١/ ٣١٧) .

كثيرة ، ودخل فى شروطه ، ثم عينه للرسالة الى الخلافة العظمة ، ثم اختلسته المنية رحمه الله (١) فى ٢٢ رجب سنة ٦٣٥ هـ فكانت مدة ملكه دمشق شهرين ونصف تقريبا (٢) .

وذكر الداودى : أن الكامل وَلَى الشيخ تدريس الزاوية الغزالية بجامع بنى أمية ، وعزم على ولايته قضاء دمشق ، وأرساله فى الرسالة الى بغداد ، فمات دون امضاء ذلك بدمشق . (٣)

فعبارة الداودى تفيد أن الشيخ لم يتول منصب القضاء ، ولم يقم بالرسالة ، لان الكامل مات قبل تنفيذ ذلك الأمر .

بينما عبارة ولده تخالف ذلك حيث أفادت أنه تولى القضاء ، وليست قاطعة بذلك ، فهى محتملة أنه عينه ، ولم يباشر حيث مات الكامل بعد شهرين ونصف وجاء بعده أخوه الملك اسماعيل فلم ينفذ ذلك وهذا الاحتمال هو الراجح ويقويه نص عبارة الداودى .

ولو أن الدكتور رضوان اطلع على هذا النص لما قال : "ولعل عز الدين بقى فى منصب قضاء دمشق برهة من الزمن خلال هذه الفترة القصيرة من حكم الكامل لدمشق ، اذ حكم بعد أخوه الصالح اسماعيل ، ولم يكن يعجب بالشيخ ، ولا يرضى أن يبقيه فى القضاء ، وقد حرم عليه اللعب بالبندق . ولعل قِصرَ فترة بقائه بهذا المنصب جعل أصحاب التراجم ، وابن طولون لا يذكرونه بين قضاة دمشق (٤)" .

---

(١) راجع : طبقات ابن السبكى (٨/٢٤٢) .
(٢) راجع : ذيل الروضتين لابى شامة ص ١٦٦ .
(٣) راجع : طبقات المفسرين للداودى (١/٣٢٢) .
(٤) راجع : كتابة "العز بن عبد السلام" ص ٤٢ .

رابعا : الخطابـــة :

ذكر أبو شامة أن العز تولى الخطابة بالجامع الأموى من قبل الملك الصالح اسماعيل فى ربيع الاول سنة (٦٣٧ هـ) (١) . وقيل إنه تولـــى الخطابة بعد خطيبه جمال الدين محمد بن ياسين الدولعى (٢) المتوفـى فى رابع عشر جمادى الاولى سنة (٦٣٥ هـ) وهذا القول مخالف للأول لأن الفاصل بينهما سنتان . وقول أبى شامة أصح ، لان الذى تولى بعـد الدولعى ـ كمال الدين بن طلحة كما ذكره أبو شامة فى حوادث سنـــة خمس وثلاثين وستمائة ، وقوله أصح من غيره ، لأنه معاصر لهذه الحوادث ، وهو تلميذ العز ، فهو أعلم به من غيره .

وقد أزال العز كثيرا من البدع التى كان يفعلها الخطباء من دق السيف على المنبر ، ولبس السواد ، والسجع المتكلف ، والثناء على الملوك ، بل كان يدعو لهم . ومنع من صلاة الرغائب وصلاة النصف من شعبان بـــه لانهما بدعة . وقد وقع بينه وبين ابن الصلاح خلاف بسبب صـــــلاة الرغائب (٣) لأن ابن الصلاح يجوزها ، وسيأتى بيان ذلك عند الحديـث عن مؤلفاته .

وبقى العز خطيبا للجامع الاموى سنة تقريبا ، ثم عزله الملك الصالح اسماعيل لانكاره عليه تحالفه مع الصليبيين وتسليمه لهم بعض حصـــــون المسلمين ، واليك نبذه عن ذلك :

تحالف الصالح اسماعيل مع الصليبيين ، وانكار العز عليه :

خاف الصالح اسماعيل من ابن أخيه نجم الدين أيوب بن الكامـــل حاكم مصر ـ أن ينتزع منه دمشق ، فكاتب الفرنج ، واتفق معهم علـــى أن

---

(١) راجع : كتابه " الذيل " ص ١٧٠ وطبقات المفسرين للداودى (١/ ٢٢٢)
(٢) راجع : فوات الوفيات للكتبى (١/ ٥٩٥) والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٥٥) .
(٣) راجع : شذرات الذهب (٥/ ٣٠١) .

يساعدوه ضد حاكم مصر فى نظير تسليمه لهم صيدا والشقيف وصفد وحصون أخرى ، وكان ذلك سنة (٦٣٨هـ) (١).

وسمح لهم بدخول دمشق وشراء الاسلحة منها ، فأخـــذوا يشترونها ويكدسونها استعدادا للحرب .

وقد استفتى الناسُ الذين يشتغلون فى تصنيع الاسلحة [illegible] العزَ فى حكم بيع الاسلحة للصليبيين فأفتاهم بالمنع فقال: " يحـــرم عليكم مبايعتهم ، لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به اخوانكـــم المسلمين "(٢) . ولم يكتف بهذه الفتوى بل عرض بالصالح اسماعيل فـــى الخطبة ، فلم يدع له كالعادة ، وختم خطبته هذه المرة بقوله : " اللهـم أبرم لهذه الامة أمرا رشدا تعز فيه وليك ، وتذل به عدوك ، ويعمل فيـه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك ". (٣)

وواضح من هذا التعريض أنه يريد به الصالح اسماعيل فهو عـدو الله لتحالفه مع أعداء الله ، وهو مرتكب معصية كبيرة لتسليمه لهم بعـض حصون المسلمين . ولما علم الصالح اسماعيل بذلك وكان خارج دمشـق أمر بعزل العز عن الخطابة واعتقاله ، ولما وصل الى دمشق أفرج عنـه بعد محاورات ومراجعات . فخرج العز الى بيت المقدس متجها الى مصر ، فالتقى به الملك الناصر داود فأخذه معه الى نابلس وجرت له هنـــاك خطوب لأن داود متحالف مع الصالح اسماعيل ضد حاكم مصر فذهاب العـز الى مصر يشكل خطرا عليهما ، وبعد فترة عاد العز الى بيت المقـــدس فوافق ذلك وصول الصالح اسماعيل مع عساكره وحلفائه من الصليبيين الـى بيت المقدس فى طريقهم الى مصر . فلما علم بالعز أرسل اليه بعض خواصـه

---

(١) راجع : السلوك (١/ ٣٠٣) والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٣٨) .
(٢) راجع : طبقات الشافعية للسبكى (٨/ ٢٤٣) .
(٣) المصدر السابق .

يطلب منه أن يصالحه " فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع فى مسايستـــــه وملاينته ، ثم قال له : بينك وبين أن تعود الى مناصبك وما كنت عليـــــه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير ، فقال له : واللـــــــه يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدى فضلا أن أقبل يده ، يا قوم أنتم فـــى وادٍ وأنا فى وادٍ ، والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به"(١) ، فقال : اذن فقد أمر الملك باعتقالك ، فقال : "افعلوا ما بدا لكم " فاعتقلـــــه فى خيمة فى جانب خيمة الملك . فبقى العز فى الاعتقال راضيا بقضاء الله ، صابرا على ابتلائه محتسبا للأجر شاغلا وقته فى قراءة القرآن وذكر الله . وكان الملك يسمعه ، " فقال يوما للفرنج : تسمعون هذا الشيخ الـــذى يقرأ القرآن ؟ قالوا : نعم . قال : هذا أكبر قسوس المسلمين ، وقـــد حبسته لانكاره علىَّ تسليمى لكم حصون المسلمين ، وعزلته عن الخطابـــة بدمشق وعن مناصبه ثم أخرجته فجاء الى القدس ، وقد جددت حبســـه واعتقاله لاجلكم . فقالت له ملوك الفرنج : لو كان هذا قسيسنا لغسلنـــا رجليه وشربنا مرقتها "(٢) .

وبقى العز فى الاعتقال حتى جاءت الجيوش المصرية والتقت مـــع عساكر الشام فمالوا جميعا على عساكر الفرنج فهزموهم وأسروا منهم عـــددا لا يحصى (٣) ، ونجى الله العز من الاعتقال فاتجه الى مصر(٤) فوصلهـــا سنة ٦٣٩ هـ (٥) ، فرحب به الملك الصالح نجم الدين فولاه الخطابـــة والقضاء . فبدأ العز نشاطه فى مصر باقامة السنة ومحاربة البدعـــــة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونشر العلم ، وسنفصل ذلك فـــى المبحث الاتى .

---

(١) المصدر السابق (٨/٢٤٤) .
(٢) راجع : المصدر السابق .
(٣) راجع : السلوك (١/٣٠٥) .
(٤) راجع : المصدر السابق .
(٥) راجع : الذيل على الروضتين ص ١٧١ .

من هذا العرض الموجز لحياة العز فى دمشق يتضح أنه قد شغل عدة وظائف من تدريس وافتاء وقضاء وسفارة وخطابة . وكان مخلصا فى عمله يؤدى به على أكمل وجه بما يرضى الله ، ويجهر بكلمة الحق ولا يخاف فى الله لومة لائم ، وقد عرضه ذلك لسخط بعض الملوك كما فى موقفه من الملك الأشرف فى مسألة الكلام ، وموقفه من الملك الصالح اسماعيل فى تحالفه مع الصليبيين . فقد صدع العز بالحق فى وجه هذين الملكين وخاطر بنفسه فامتحن بذلك فصبر واحتسب ، ثم نصره الله عليهما بظهور الحق وذهاب الباطل ، وأرضاهم عنه لأن العز قد أسخطهم لرضا الله ، ومن أسخط الناس لرضا الله رضى عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أسخط الله لرضا الناس سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس .

أعماله فى مصر

تولى العز فى مصر الخطابة والقضاء ، والافتاء ، والتدريس . وسوف أعرض ذلك بشىء من التفصيل .

أولا : الخطابة والقضاء :

حينما قدم العز الى مصر سنة ٦٣٩ هـ رحب به الملك نجم الدين أيوب وأكرمه ، وكان يعرف فضله وغزارة علمه ، وقوة ايمانه ، فولاه الخطابة بجامع عمرو بن العاص ، ووكل اليه عمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة .

ثم أضاف اليه قضاء مصر والوجه القبلى فى يوم عرفة[1] من هذه السنة بعد وفاة قاضى القضاة شرف الدين بن معين الدولة .

---

(١) راجع : الذيل على الروضتين ص ١٧٢ . والسلوك (١/٣٠٨) ، وقد نقل رضوان الندوى من هذين المصدرين أن ذلك كان فى (١٠ جمادى الاولى) فى كتابه عن العز ص ٤٤ ، وهذا خطأ فى النقل ، والصواب ما أثبته .

فأصبح العز خطيب أكبر جامع فى مصر ، وقاضى القضاة بمصـــر والوجه القبلى .

وقد قام بعمله على أحسن وجه ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر. كما اتسم فى قضائه بالعدل بين الناس ، والصرامة فى تطبيق الشـــرع ، والتسوية بين القوى والضعيف ، وبسبب ذلك لاقى صعوبات ، وتعـــرض للخطر . فقد وقعت له حادثتان جعلته يعزل نفسه عن القضاء مرتين . (١)

احداهما : كانت على أثر حكمه باسقاط عدالة معين الدين بن شيخ الشيوخ (٢) استاذ دار (٣) الملك لبنائه طبلخانة (٤) على مسجد بمصر كمـا صرح بذلك ابن السبكى وغيره وهى المرة الاخيرة التى لم يعد العـــز بعدها الى القضاء ، وكانت سنة (٦٤٠ هـ) (٥) .

أما المرة الأولى فلم يصرح أحد من المترجمين له متى كانـــت ، ولعلها كانت على أثر حكمه ببيع أمراء الدولة ، لأنه لما حكم عليهم بذلـك غضب نجم الدين ، وقال : هذا ليس من اختصاصه ، فقرر العز الرحيـل عن مصر الى الشام فجهز أمتعته ، وسار فلحق به نجم الدين فى الطريق ،

---

(١) راجع : الذيل على الروضتين ص(١٧٢) .

(٢) راجع : السلوك (١/ ٣١٢) وفوات الوفيات للكتبى (١/ ٥٩٥) ، والنجوم الزاهرة (٦/ ٣٥٢) وقد ورد فى طبقات الشافعية للسبكى (٨/ ٢١٠) وبدائع الزهور (١/ ٢٧٣) " فخر الدين عثمـــان " وهو خطأ والصواب ما أثبته كما فى المصادر السابقة ، لان فخـــر الدين كان نائبا للملك الكامل والد نجم الدين وكان ملازما لداره ، بأمر من نجم الدين بعد اطلاق سراحه من الحبس .
راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ١٤٦ .

(٣) استاذ : كلمة فارسية معربة ، معناها الماهر بصنعته . راجـــع المعرب من الكلام الاعجمى للجواليقى . ووظيفة " استاذ الـــدار " أو " الاستادار " . النظر فى ادارة البيوت السلطانية كلها مـــن المصالح والنفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك وهو من أمـــراء المئين . راجع : حسن المحاضرة (٢/ ١٣١) .

(٤) طبلخانة : هى دار الغناء واللهو .

(٥) راجع : رضوان الندوى فى كتابه " العز بن عبد السلام " ص ١٤٦ .

وترضاه وطلب منه أن يعود وينفذ ما حكم به ، فعاد ونفذ ما أراد (١) .

وسأفصل القول فى هاتين الحادثتين لأن فيهما ابراز جانب عظيم من شخصية العز ، كما أن لهما أثرا كبيرا فى مجتمعه .

بيعه لأمراء المماليك :

حينما تولى العز القضاء بمصر لاحظ فيه أمرا مخالفا للشرع ، وهو أن المماليك الذين اشتراهم الملك نجم الدين ودفع ثمنهم من بيت مال المسلمين ، واستعملهم فى خدمته وجيشه ، وتصريف أمور الدولة ، يتصرفون بالبيع والشراء ، وتصرفهم هذا باطل شرعا لان المملوك لا ينفذ تصرفه ، فأخذ العز لا يمضى لهم بيعا ولا شراء ، وقد ضايقهم ذلك وعطل مصالحهم ، فراجعوه فى ذلك ، فقال : لابد من اصلاح أمركم بأن يعقد لكم مجلس فتباعوا فيه ، ويرد ثمنكم الى بيت مال المسلمين ثم يحصل عتقكم بطريق شرعى فينفذ تصرفكم . فلما سمعوا هذا الحكم ازدادوا غيظا وقالوا : كيف يبيعنا هذا الشيخ ونحن ملوك الارض ، ورفعوا الامر للملك فغضب وقال : هذا ليس من اختصاص الشيخ ولا شأن له به .

فلما علم العز بذلك عزل نفسه عن القضاء وقرر الرحيل من مصر لأنها لا يطبق فيها شرع الله . فحمل أمتعته على حمار ، وأهله على حمار آخر فاتجه الى الشام فتبعه العلماء والصلحاء والتجار والنساء والصبيان ، فصار الأمر أشبه بمظاهرة ضد الحكومة ، وجاء من همس فى أذن الملك الصالح نجم الدين أيوب قائلا : " متى راح الشيخ ذهب ملكك " فخرج الملك مسرعا ولحق بالعز وأدركه فى الطريق وترضاه ، وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الله . فلما رجع العز تيقن المماليك أن العز سوف ينفذ فيهم حكم البيع لا محالة ، وفى هذا فضيحة وعار عليهم كيف يباعون وهم ملوك الارض .

---

(١) راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ٤٥ .

فحاول نائب السلطنة ، وهو الرجل الثانى فى الدولة أن يترضى الشيخ لعله يتراجع عن رأيه ، ولكن الشيخ أصر على تنفيذ حكم الشرع ، فازداد الامراء غضبا ، واتفقوا على التخلص من الشيخ بالقتل ، فذهب اليه نائب السلطنة مع جماعة من الامراء ، فطرق بابه ، ففتح الباب ابنه عبد اللطيف ، فراعه منظر نائب السلطنة اذ رأى سيفه مسلولا ، والغضب يتطاير من وجهه ، فدخل على والده ، وقال : انج بنفسك إنه القتل فرد عليه الشيخ بقوله : هدىء نفسك فأبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله . (ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة ، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب ، وسقط السيف منها ، وارعدت مفاصله ، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال : يا سيدى خبر أيش تعمل ؟ قال أنادى عليكم وأبيعكم ، قال ففيم تصرف ثمننا ؟ قال : فى مصالح المسلمين . قال : من يقبضه ؟ قال : أنا . فتم له ما أراد ونادى على الامراء واحدا واحدا ، وغالى فى ثمنهم ، وقبضه وصرفه فى وجوه الخير . وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد رحمه الله تعالى ورضى عنه)(١)

فهذا الموقف العظيم قد خلد ذكر العز ، وأقام منارا للحق ، وأخضع الملك والامراء المتكبرين على الشعب لحكم الله ، وحقق المساواة بين الناس ، حيث يقف الحاكم والمحكوم سويا عند شرع الله ، كما أنه درس لكل قاض فى أن يقف موقفا حاسما أمام الباطل الذى يمنع تطبيق شرع الله .

حكمة على استاذ دار الملك :

هذه هى الحادثة الثانية التى واجهت العز فى القضاء ، وهى أن معين الدين بن شيخ الشيوخ استاذ دار الملك نجم الدين ، أى وزيره ، وكان له نفوذ وسلطة فى الدولة ، قد أمر غلمانه بهنا

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨ / ٢١٧) .

طبلخانه أى دار للهو والغناء ـ على أحد المساجد بمصر ، فلما علم العز بذلك ساءه هذا الامر ، وغضب لله ، لأن فى هذا إهانة لبيت من بيوت الله التى أذن أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، كما أن فيه تشويش على المصلين والدارسين فيه .

فذهب بنفسه وأولاده الى هذا البناء ، وهدمه وأسقط عدالة الوزير وعزل نفسه عن القضاء لانه علم أن الملك والوزير يغضبان لذلك .

وكان لاسقاط عدالة الوزير صداه فى العالم الاسلامى ، حيث إن الملك نجم الدين كلف وزيره معين الدين بأن يبلغ رسالة الى الخليفة العباسى ببغداد ، فأرسل الوزير رسولا ليبلغها ، فلما بلغها للخليفة سأله من أخبرك بها ؟ قال : معين الدين ، قال الخليفة : لا نقبلها لان ابن عبد السلام قد أسقط عدالة هذا الوزير ، فرجع الرسول وسمع الرسالة من الملك نجم الدين مشافهة ثم نقلها الى الخليفة .

ففى هذا دليل على مكانة العز فى قلوب الناس ، وتقديرهم له ، واعتمادهم لأقواله ، لأنه رجل آثر آخرته على دنياه ، وقدم رضا الله على رضا الناس ، كما أن فى موقفه هذا من معين الدين وزير الملك وموضع ثقته ، وأحد الشخصيات البارزة فى الدولة ـ جرأة عظيمة على الوزير ، وتحدٍ للملك الذى سكت عن وزيره يفعل مثل هذا المنكر ، ولم يمنعه ، كما أن فيه تغيير للمنكر باليد الذى لا يقوى عليه الا أصحاب السلطان والقوة ،ولا شك أن العز بتقواه وزهده وورعه صار له من السلطان والقوة والمهابة ما يستطيع به أن يغير المنكر بيده ، ويجابه الملوك بقول الحق ، ولا يخاف فى الله لومة لائم ، لذا نجد تلميذه ابن دقيق العيد قال عنه : "إنه أحد سلاطين العلماء" .

ثانيا : التدريس والافتاء :

وحينما عزل العز نفسه عن القضاء عظم ذلك على الملك نجم الدين فتلطف به وحاول فيه أن يعود ، ولكن العز كَرِه العَوْدَ، وهذه هى المرة الاخيرة التى لم يعد بعدها الى القضاء وكانت سنة (٦٤٠ هـ) وقد قيل للملك اعزله عن الخطابة والا يشنع عليك كما شنع على الملك الصالح اسماعيل ، فعزله عن الخطابة ، وولاه تدريس المذهب الشافعى بالمدرسة الصالحية (١) التى تم بناؤها فى هذه الفترة ، وكانت مدرسة كبيرة ، قد خصص فيها مكان لتدريس كل مذهب من المذاهب الاربعة . وظل يدرس بها الى أن توفى . قال الكتبى : "وأرسل له السلطان [الظاهر بيبرس] لما مرض ، وقال عين مناصبك لمن تريد من أولادك فقال : ما فيهم من يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ففوضت اليه "(٢)

ويدل هذا على نزاهته فى الحكم وعدالته وايثاره لقول الحق على مصلحة أولاده .

وكان يقوم بالافتاء من حين قدومه الى مصر حيث امتنع مفتيها ، وزاحمها الحافظ زكى الدين المنذرى عن الفتيا ، وقال : "كنا نفتى قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه "(٣) .

وهذا دليل على غزارة علم العز وجدارته بذلك وفضله . ولم يكن للافتاء منصب رسمى ، وانما يتفرغ له من يرى فى نفسه أهلية له أداء لرسالة العلم وخدمة للجمهور .

(٢،١) انظر: "فوات الوفيات" (١/ ٥٩٥) .
(٣) راجع : بدائع الزهور (١/ ٣١٧) وحسن المحاضرة للسيوطى (١/ ٣١٥) .

وقد اشتهر بالفتاوى السديدة فى البلاد ، وقصد " بالخلوص من الإطلاق " ويدل على ذلك كتابه " الفتاوى الموصلية " ، وهى أجوبة على تسعين سؤالا تقدم بها خطيب الموصل شمس الدين عبد الرحيم الطوسى .

وتفرغ العز فى هذه الفترة للإفتاء والتدريس . وقد نبغ فى علوم متعددة ، وبرز واشتهر بالفقه وأصوله ، وفاق أقرانه حتى قال أكثر مترجميه : إنه بلغ رتبة الاجتهاد ، وقال جمال الدين بن الحاجب -أحد أقرانه- : " ابن عبد السلام أفقه من الغزالى ". (١)

وقد تخرج به طلاب كثيرون من الصعب حصرهم .

منهم شيخ الاسلام ابن دقيق العيد مجدد القرن الثامن ، وتأثر بالعز فى علمه وسلوكه ، وكان معجبا به ، وقد لقبه بـ " سلطان العلماء ".

ومنهم جلال الدين الدّشناوى ، وكان زاهدا ورعا وقد انتهت اليه رئاسة المذهب الشافعى بقوص -احد مدن صعيد مصر- وكان العز معجبا به مع ابن دقيق العيد ، وقد أشاد بهما فقال : " ما أظن فى المدينتين مثل هذين الشابين ".

ومن تلاميذه ابنه الشيخ عبد اللطيف ، وكان ملازما له ، ويعرف مصنفاته معرفة حسنة ، وقد سجل كثيرا من أخباره .

ومن تلاميذه شرف الدين أبو محمد الدمياطى الفقيه المحدث ، وقد خرج للعز أربعين حديثا عوالى .

ومن تلاميذه شهاب الدين أبو شامة المقدسى المؤرخ الكبير الجامع بين فنون العلم المتعددة ، وقد لازم العز كثيرا ، وسافر معه ،

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢١٤) .

كما أنه سجل كثيرا من أخباره . ومنهم الامام علاء الدين أبو الحسن الباجى ، كان إماما فى الاصلين والمنطق ، وهو أعلم الناس بمذهب الاشعرى . ومنهم العلامة بهاء الدين هبه الله القفطى ، وقد برع فى الفقه ، وانتهت اليه رئاسة المذهب الشافعى بقوص .

هؤلاء من أهم تلاميذ العز الذين تخرجوا عليه وتأثروا بعلمه وسلوكه ، وصاروا أئمة يؤتم بهم ، وسيأتى التعريف بهم ، وبيان أثر العز فيهم فى فصل مستقل .

وفى هذه الفترة ـ أيضا ـ قام العز بتأليف غالب مؤلفاته ، لأنه قد استقر بينما فى الفترة السابقة كان كثير التنقل مشغولا بوظائف الدولة ، وقد اعترضته صعوبات اشغلته حينا ، كما أنه فى هذه السن قد اكتمل علمه ونضج واتسع أفقه ، واجتمعت له تجارب كثيرة وقد تفرغ للتدريس ، وهو أكبر عون على التأليف .

وانقضى ملك بنى أيوب ، وجاء بعدهم سلاطين المماليك فأكرموا العز وأحسنوا معاملته ، وكانوا يستشيرونه فى الملمات ، ويأخذون بمشورته . فكان الظاهر بيبرس لا يخرج عن نصحه ، وأقام الخليفة العباسى بمصر بحضرته ومشورته (١) . وتوفى العز فى عهده .

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٤٥) .

المبحث الرابع

وفاتـــه وعمـــره

وفاتـــه :

بعد عمر مديد ، وحياة حافلة بالاسجاد والتضحيات ،والجهاد فى سبيل نصرة الاسلام توفى العز بن عبد السلام فى عشرة جمادى الاولـــى سنة ستين وستمائة هجرية .

وقد ذكر ابن السبكى عن ولد العز أن وفاة والده فى تاسع جمادى الاولى (١) ، وذكر فى رواية أخرى أنها كانت فى عشرة جمادى الاولـــى (٢) ، وهى ما عليه عامة المؤرخين .

وهناك رواية ثالثة عن أبى رافع السلامى عن تلميذ العز الحافـــظ الدمياطى فيها توفيق بين الروايتين وهى قوله : " وتوفى يوم السبـــت تاسع جمادى الاولى (٦٦٠ هـ) ودفن من الغد بسفح المقطم حضـــرتُ ذلك " وهى أدق الروايات وأضبطها اذ توافق رواية ولد العز من جهـــة ثم تفوقها فى التفصيل ، وقد اشتهر اليوم العاشر لأنه يوم دفن ، وهـــو يوم مشهود ، وقد يخفى وقت الوفاة بالضبط على عامة الناس(٣) .

عمـــره :

وقد اختلف فى عمره على روايتين إحدهما أن عمره : اثنتـــان وثمانون سنة ، والاخرى : ثلاث وثمانون . وهذا الاختلاف راجع الـــى الخلاف فى ولادته فمن قال : إنه ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة جعـــل

(٢،١) راجع : المصدر السابق (٨/٢٤٥ ، ٢٤٨) .
(٣) راجع : العز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ٥١ .

عمره ثلاثا وثمانين سنة ، ومن قال : إنه ولد سنة ثمان وسبعين جعل عمره اثنتين وثمانين سنة .

أما ما ذكره المقريزى من أن عمره اثنتان وستون سنة(١) فهو مخالف لما ذكره عامة المؤرخين ، ولعله خطأ ، أو تحريف من النساخ والله أعلم .

وقد دفن فى آخر القرافة على سفح جبل المقطم من ناحية البركة(٢) وقد شهد جنازته ملك مصر والشام الظاهر بيبرس وأجناده ، وقد شارك فى الصلاة عليه وحمل نعشه ودفنه ، كما شهدها خلق كثير من الناس حتى أن الظاهر بيبرس لما رأى كثرتهم قال لبعض خواصه : ما استقر ملكى إلا الآن لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس أخرجوا عليه لا نتزع الملك منى (٣) . كما أنه حزن عليه كثيرا وقال : " لا اله الا الله ما اتفقت وفاة الشيخ الا فى دولتى ". (٤)

ولما سمع بموته أهل دمشق حزنوا عليه كثيرا فقد كان شيخهم ومفتيهم ، فأخذوا يترحمون عليه ، ويدعون له ، وصلى عليه فى الجامع الاموى ، وجوامع دمشق الاخرى ، وعمل عزاؤه بجامع العقيبة .

يقول أبو شامة : " وعمل عزاؤه بجامع العقيبة(٥) يوم الاثنين ٢٥ جمادى الاولى سنة (٦٦٠ هـ) ونادى النصير المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة : الصلاة على الفقيه الامام شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ". (٦)

رحمه الله رحمة واسعة ، واسكنه فسيح جناته ،وجمعنا به فى دار الخلود .

---

(١) راجع : تاريخه " السلوك " (١/ ٤٧٦) .
(٢) راجع : الذيل على الروضتين ص ٢١٦ .
(٣) راجع : بدائع الزهور (١/ ٣١٨) .
(٤) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٤٥) .
(٥) وقد ورد فى بعض المراجع " بجامع التوبة " والعقيبة : اسمه القديم .
(٦) راجع : الذيل على الروضتين ص ٢١٦ .

الفصل الثالث

اتجاهاتـــه الفكريـــــة

لقد نبغ العز فى علوم متعددة ، فترك فيها مؤلفات كثيرة غالبهـــا رسائل صغيرة كما سيأتى بيانه فى مؤلفاته . ولكن علمه أكثر من تصانيفـــه كما قال اليافعى اليمنى : "وهو من الذين قيل فيهم : علمهم أكثر مـــن تصانيفهم ، لا من الذين عبارتهم دون درايتهم . ومرتبته فى العلـــوم الظاهرة مع السابقين فى الرعيل الاول "(١).

وقال الذهبى : "وقرأ الاصول والعربية ودرس وأفتى وصنـــف ، وبرع فى المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقصده الطلبة من الافـــاق ، وتخرج به أئمة وله التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة"(٢) .

وقال ابن العماد الحنبلى ، "وبرع فى الفقه والاصول والعربية ، وفاق الاقران والاضراب ، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديـــث والفقه ، واختلاف أقوال الناس ومآخذهم ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، ورحـــل اليه الطلبة من سائر البلاد "(٣)

وكان يعرف قدر نفسه وسعة علمه ، لذا لما وقع الخلاف بينه وبين الملك الصالح اسماعيل ، فرحل عن دمشق ، ومر بالكرك تلقاه سلطانهـــا وسأله الاقامة عنده ، فقال : هذه قليلة على علمى ، وقصدى نشره . (٤)

وقال ابن السبكى هو "شيخ الاسلام والمسلمين ، وأحد الأئمـــة الاعلام ، سلطان العلماء ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالامر بالمعروف

---

(١) راجع : العز بن عبد السلام للدكتور الندوى ص ٥٨ .
(٢) راجع : النجوم الزاهرة (٧/ ٢٠٨) .
(٣) راجع : كتابه "شذرات الذهب" (٥/ ٣٠١) .
(٤) راجع : طبقات الاسنوى (٢/ ١٩٨) وطبقات المفسرين للـــداودى (١/ ٣١٠) .

والنهى عن المنكر فى زمانه ، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضهـــا ، العارف بمقاصدها ، لم ير مثل نفسه ولا رأى من رآه مثله علما وورعـــــا وقياما فى الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان ". (١)

هذا بعض ما قيل فى علمه وفضله ونبوغه .

وسوف يبرز هذا الفصل اتجاهاته الفكرية فى العلوم التى ألـــف فيها لبيان مكانته العلمية ، ومدى نبوغه وادراكه وبعد نظره .

وقد اشتمل هذا الفصل على المباحث الآتية :

١ ــ اتجاهاته الفكرية فى التفسير وعلومه .
٢ ــ اتجاهاته الفكرية فى الحديث .
٣ ــ اتجاهاته الفكرية فى العقيدة .
٤ ــ اتجاهاته الفكرية فى الفقه وأصوله .
٥ ــ اتجاهاته الفكرية فى التصوف .

---

(١) راجع كتابه " طبقات الشافعية " (٨/ ٢٠٩) .

المبحث الأول

اتجاهاته الفكرية فى التفسير وعلومه

ذكرت كتب التراجم أنه أول من ألقى التفسير دروسا فى مصر[1] . فيظهر من هذا أن تدريس التفسير توقف فترة من الزمن بمصر واقتصر فيه على التأليف ، فأعاد العز تدريسه ، فكان أول من ألقاه دروسا بجانب العلوم الاخرى .

وقد ترك لنا العز ثروة عظيمة فى التفسير احتوتها مؤلفاته المتنوعة فى التفسير وعلومه . فله تفسير كامل للقرآن الكريم . كما قام باختصار تفسير الماوردى : " النكت والعيون " وألف فى مجاز القرآن كتابه " الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز " أبرز فيه ما اشتمل عليه كتاب الله من فنون البيان والمعانى ، وحقق ما فيه من اعجاز لم يستطع العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله رغم ما كانوا يجيدون من فنون القول .

كما ألف فى متشابه القرآن كتابه " فوائد فى مشكل القرآن " أجاب فيه على اشكالات قد ترد على بعض الآيات . وجلُّ هذه الاستشكالات لغوية أو نحوية أو بلاغية .

والدارس لمؤلفات العز فى التفسير وعلومه يلحظ تضلعه فى اللغة وتمكنه من علم المعانى والبيان وسعة علمه بذلك لذا عُنى بالمعانى البيانية واللغوية ، وقد يستطرد فيذكر أصول الكلمات اللغوية ، ويستشهد عليها بالشعر . فهو يرى أن تفسير القرآن يتوقف على معرفة اللغة ، وقد أوضح ذلك فى كتابه " الاشارة الى الايجاز " فقال (ص ٢٧٩) : " وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والاعراب " :

قال ابن عباس : اذا أشكل عليكم شىء من القرآن فالتمسوه فى الشعر فانه ديوان العرب ، فما كان موجبا للعمل جاز أن يستدل عليه

---

(١) راجع : حسن المحاضرة للسيوطى (١/ ٣١٥) وطبقات الاسنوى (٢/ ١٩٩) .

بالاجاد والبيت والبيتين من الشعر ، وماكان حجما للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك ".

ويرى أن فهم معنى اللفظ ينقسم الى ثلاثة أقسام ، قال في المصدر السابق ص ٢٧٦ : "واعلم أن للتفسير أحكاما وضروبا ، فمن ذلك فهم معنى اللفظ ، وهو منقسم الى ثلاثة أقسام . أحدها : مايعرفه العامة والخاصة كالارض والسماء والجبال والرجال والاشجار والأمطار . القسم الثاني : ما يعرفه معظم الخاصة كالمعاد والملاذ . القسم الثالث: ما يعرفه القليل من الخاصة كالزرف والصفصف".

ويرى أن اللفظ الذى يتردد بين محملين له حالات فيحمل على أحد محمليه باعتبار هذه الحالات . وقد فصل القول في ذلك في المصدر السابق فقال : "ومن ضروب التفسير ما يتردد بين محملين أحدهما أظهر عند النزول فيرجع الى الصحابة والتابعين يحمل على ظاهره حينئذ ، ومنه ما يحمل على أخفى محمليه لدليل يقوم عليه . ومنه ما يتساوى فيه الامران ، فيخص أحدهما بالسبب الذى ترد لاجله . ومنه ما يتساوى من غير ترجيح عندنا ، وهو راجح في نفس الامر ، لأن الرسول ـ عليه السلام ـ قد بين للناس ما نزل اليهم ، فبعض المتأخرين يحمله على جميع محامله ، والوقف أولى به" أ هـ .

واذا تردد اللفظ بين محامل كثيرة فيرى أن أولاها ما دل عليه الكتاب في موضع آخر ، أو السنة أو سياق الكلام . فقال في بيان ذلك في المصدر السابق ص ٢٧٧ : "وقد يتردد بين محامل كثيرة يتساوى بعضها مع بعض [1] ويترجح بعضها على بعض ، فأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر ، أو السنة أو اجماع الامة أو سياق الكلام

---

(١) لعل "الواو" بمعنى "أو" أو لعله يعد أن التساوى في نفس الأمر والترجيح ببعض المرجحات الخارجية .

واذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى . وقد يقدر بعض النحاة ما يقتضيه علم النحو لكن يمنع منه أدلة شرعية فيترك ذلك التقدير ، ويقدر تقدير آخر يليق بالشرع . وقد يعبر النحاة والمفسرون وغيرهم بالعام ويريدون به الخاص فيجهله كثير من الناس " .

ثم قال : " وعلى الجملة فالقاعدة فى ذلك أن يحمل القرآن على أصح المعانى وأفصح الاقوال ، فلا يحمل على معنى ضعيف ولا على لفظ ركيك ، وكذلك لا يقدر فيه من المحذوفات إلا أحسنها وأشدها موافقة وملائمة للسياق .

واذا كان للاسم الواحد معانى ، كالعزيز بمعنى القاهر ، وبمعنى الممتنع ، وبمعنى الذى لا نظير له حمل فى كل موضع على مايقتضيه ذلك السياق ، كيلا يتبتر الكلام وينخرم النظام " .

وقال فى اتحاد معنى القراءتين أو اختلافه : " واذا اتحد معنى القراءتين كالسراط والصراط فهذا ظاهر . وان اختلف معناهما وجب القطع بأنهما مرادتان مثال ذلك قوله : (ولهم عذاب أليم بما كانوا يَكْذِبُون) و (يكذّبُون)[البقرة / ١٠] أخبر بأنهم يعذبون بالتكذيب والكذب ، وهذا اختصار فى صورة الخط دون اللفظ " .

وذكر ضروبا أخرى من ضروب التفسير وأحكامه فقال فى المصدر السابق ص ٢٧٧ : " ومن ضروب التفسير وأحكامه بيان كون اللفظ حقيقة أو مجازا . ومنه بيان رجحان إحدى الحقيقتين على الاخرى . ومنه بيان رجحان أحد المجازين على الاخر . ومنه بيان ترجيح الحقيقة على المجاز ومنه بيان ترجيح ما يناسب الكلام ويطابقه على ما ليس كذلك . ومنه ترجيح بعض الاعراب على بعض . ومنه بيان التقديم والتأخير ، ومنه بيان مظان الاطالة ومنه بيان مظان الاختصار ..... الخ

ويرى أن من محاسن التفسير بيان صلة الايات بما قبلها الا إن وقعت على أسباب مختلفة . فقال فى تفصيل ذلك فى المصدر السابق

ص ٢٧٨ : " واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطعا متبرا . وهذا بشرط أن يقع الكلام فى أمر متحد فيرتبط أوله بآخره ، فان وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالا خر ، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فان القرآن نزل على الرسول ـ عليه السلام ـ فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض اذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الا له فى خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب ، ولذلك أمثله . أحدها : أن الملوك يتصرفون فى مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة ، وليس لاحد أن يربط بعض ذلك ببعض .

ثم ذكر ثلاثة أمثلة أخرى لتقرير ما ذهب اليه .

(وفى قوله هذا نظر فان ترتيب الآيات فى سورها مع اختلاف زمن النزول وأسبابه هو من أسرار اعجاز القرآن لأن الذى رتبه قد أحاط بكل شىء علما ، وجعل من الحكم والاسرار فى هذا الترتيب ما يؤدى الى تناسق الآيات وانسجامها وان خفيت الحكمة فى بعض الأحيان فليس معنى هذا عدم وجودها .

أما تمثيله بتصرف الملوك بحسب اختلاف الظروف والعلل فهذا تمثيل مع الفارق لقصور علمهم وتجدد جزئيات العلم بحسب ما يجد من المصالح ، أما القرآن فهو تنزيل من الذى يعلم السر وأخفى) أملاه شيخى فضيلة الدكتور احمد السيد الكومى .

هذا وهناك ضروب أخرى للتفسير ، وقواعد للترجيح ذكرها فى الفصول التى ختم بها كتابه " الاشارة الى الايجاز " من ص (٢٥٩) الى آخر الكتاب . تركت ايرادها خشية الاطالة . وكلها تدل على سعة علم العزبالتفسير وتمكنه منه وبعد نظره فيه . والذى أعانه على ذلك تمكنه من اللغة وعلم المعانى والاصول .

ولكن يلاحظ عليه أنه لم يطبق قواعد الترجيح التى سبق ذِكْرُها فى تفسيره . فاكتفى بسرد أقوال المفسرين ، وبيان المعانى التى يحتملها اللفظ دون ترجيح الا فى حالات قليلة كما سيأتى تفصيله فى الباب الخاص بدراسة تفسيره .

المبحث الثانى

اتجاهاته الفكرية فى الحديث

سبق فى الكلام عن طلبه للعلم أنه سمع الحديث من الحافظ أبى محمد القاسم بن عساكر وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن اسماعيل ابن أبى سعد البغدادى ، وأنه سافر الى بغداد لسماع الحديث عن أبى حفص عمر بن طبرزد وحنبل الرصافى ، ولم يمكث بها طويلا .

وذكر ابن السبكى - نقلا عن والده - أن العز كان يُسْمِع الحديث قليلا بدمشق فلما دخل القاهرة بطّل ذلك وصار يحضر مجلس الشيخ الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى ويَسْمع عليه فى جملة من يَسْمع ولا يُسْمِع .

وأن الشيخ زكى الدين - أيضا - ترك الفتيا ، وقال : حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس الىَّ [1] . فهو يرى أن العز أولى منه بالافتاء ، كما أن العز ترك اسماع الحديث لانه يرى أن الشيخ زكى الدين أولى منه بذلك .

فهو لم يبرز فى الحديث كما برز فى الفقه وأصوله ولم يترك آثارا فى الحديث اللهم الا ما ذكره ابن السبكى من أن له " اختصار صحيح مسلم " ، ولم يشر أحد من المترجمين له الى مكان وجوده فى مكتبات العالم ، ولعله من الكتب التى نسبت اليه . ومما يؤنس به فى هذا الصدد أنى اطلعت فى مكتبة الفاتح باستنبول على رسالة صغيرة للعز فى شرح حديث أم زرع الذى رواته أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - مضافة الى آخر " اختصار صحيح مسلم " للحافظ المنذرى المعاصر للعز . فلعل ابن السبكى اطلع على هذه الرسالة ضمن هذا المجلد فاشتبه عليه الامر فنسبه كله الى العز والله أعلم .

---

(١) راجع : طبقات ابن السبكى (٨/ ٢١١ ، ٢٦١) .

وللعز رسالة أخرى فى شرح حديث " لا ضرر ولا ضرار " وهاتان الرسالتان تدلان على تمكنه من اللغة لا الحديث (١) .

لذا نجده يذكر أحاديث ضعيفة أو موضوعة فى تفسيره ولا ينبه على ذلك ، ويرفع أحاديث موقفه ، ويعكس ذلك أيضا ، ولا يعزو الاحاديث الى من أخرجها كما سيأتى بيانه فى دراسة تفسيره . بينما فى كتابه " قواعد الاحكام " عزا بعض الاحاديث التى استدل بها الى من أخرجها ، وترك بعضها بدون عزو وسيأتى أمثلة على ذلك فى الدراسة المختصرة لهذا الكتاب . وفى رسالته الترغيب عن صلاة الرغائب - رَدَّ الحديث الوارد فيها وقال : إنه موضوع . وقد خرج له تلميذه الحافظ الدمياطى أربعين حديثا عوالى (٢) .

مما سبق يتضح أن العز ليس فى مصاف المحدثين الذين لهم دراية واسعة بعلم الجرح والتعديل ، ولهم خبرة بالاسانيد فيذكرون سند الحديث ويتكلمون عن رجاله واحدا واحدا ، ويذكرون ما قيل فيهم من الجرح والتعديل .

---

(١) راجع : النص الذى نقلته من رسالته فى شرح حديث أم زرع فى مؤلفاته فى الحديث .

(٢) راجع : فوات الوفيات (١/ ٥٩٤) .

المبحث الثالث

اتجاهاته الفكرية فى العقيدة

العز على مذهب أبى الحسن الاشعرى فى الاعتقاد ، وقد أبان ذلك فى عقيدته المسماة " ملحة الاعتقاد " التى أرسلها الى الملك الاشرف حينما وقع الخلاف بينهما فى مسألة كلام الله تعالى .

وقد ذكرها ابن السبكى فى طبقاته (٢١٩ ـ ٢٢٥) فى ترجمة العز نقلا عن ولده الشيخ عبد اللطيف .

وسأذكر منها بعض المسائل لايضاح اتجاه العز الفكرى فى العقيدة كالاتى :

قال فى أولها : " الحمد لله ذى العزة والجلال ، والقدرة والكمال ، والانعام والافضال ، الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر ولا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شىء ، ولا تحيط به الجهات ، ولا تكتنفه الارضون ولا السموات .

كان قبل أن كون المكان ، ودبر الزمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم فكل نعمة منه فهى فضل ، وكل نقمة منه فهى عدل (لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون) [الانبياء / ٢٣] .

استوى على العرش المجيد على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، فتعالى الله الكبير المتعال عما يقوله أهل الغى والضلال ، بل لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ، مقهورون فى قبضته أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا مطلع على هواجس الضمائر ، وحركات الخواطر حى مريد سميع بصير عليم قدير متكلم بكلام قديم أزلى ليس بحرف ولا صوت " .

ويرد على من ذهب الى أن الله متكلم بصوت وحرف بقولـــــه : " ولا يتصور فى كلامه أن ينقلب مدادا فى الالواح والاوراق شكلا ترمقـــه العيون والاحداق ، كما زعم أهل الحشو والنفاق ، بل الكتابة من أفعال العباد ، ولا يتصور فى أفعالهم أن تكون قديمة ، ويجب احترامهـــا لدلالتها على كلامه ، كما يجب احترام أسمائه لدلالتها على ذاتـــه ، وحُق لما دَلَّ عليه وانتسب اليه أن يعتقد عظمته وترعى حرمته ، ولذلك يجب احترام الكعبة والانبياء والعُبَّاد والصلحاء .

أمر على الديار ديار ليلى ... أُقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى ... ولكن حب من سكن الديـــارا

ولمثل ذلك يقبل الحجر الاسود ، ويحرم على المحدث أن يمسَّ المصحف أسطره وحواشيه التى لا كتاب فيها وجلده وخريطته التى هـــو فيها . فويلٌ لمن زعم أن كلام الله القديم شىء من الفاظ العباد ، أو رسم من أشكال المداد " .

ثم قال بعد ذلك : " واعتقاد الاشعرى ـ رحمه الله ـ مشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون ، التى سمى بها نفســه فى كتابه وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأسماؤه مندرجة فـــى أربع كلمات ، هن الباقيات الصالحات ..... " الخ

ثم قال بعد تفصيل الكلام على الباقيات الصالحات : " فهـــذا اجمال من اعتقاد الاشعرى ـ رحمه الله تعالى ـ واعتقاد السلـــف ، وأهل الطريقة والحقيقة . نسبته الى التفصيل الواضح كنسبة القطرة الـــى البحر الطافح ،

يعرفه الباحث من جنسه ... وسائر الناس له منكـــر

غيره :

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ... الا على أكمه لا يعرف القمرا

ويدافع عن الاشعرى فى مسألة أن السبب هو الخالـــق لا السبب ، فيقول : " والعجب أنهم يذمون الاشعرى بقوله : إن الخبـــز

لا يشبع ، والماء لا يروى والنار لا تحرق ، وهذا كلام أنزل الله معناه فى كتابه ، فان الشبع والرّى والاحراق حوادث انفرد الرب بخلقها ، فلم يخلق الخبز الشبع ، ولم يخلق الماء الرى ، ولم تخلق النار الاحتراق ، وان كانت أسبابا فى ذلك . فالخالق هو السبب دون السَّبب كما قال تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) [الانفال/ ١٧] نفى أن يكون رسوله خالقا للرمى وان كان سببا فيه وقد قال تعالى : (وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا) [النجم / ٤٣ ، ٤٤] فاقتطع الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء عن أسبابها وأضافها اليه ، فكذلك اقتطع الاشعرى رحمه الله الشبع والرى والاحراق عن أسبابها واضافها الى خالقها لقوله تعالى : (خالق كل شىء) [الانعام / ١٠٢] وقوله (هل من خالق غير الله) [فاطر / ٣] (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) [يونس / ٣٩] (أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون) [النمل / ٨٤] .

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم "

ويرى أن لازم المذهب ليس بمذهب فيقول : " فان قيل يلزم من الاختلاف فى كونه سبحانه فى جهة أن يكون حادثا ، قلنا لازم المذهب ليس بمذهب ، لأن المجسمة جازمون بأنه فى جهة ، وجازمون بأنه قديم أزلى ليس بمحدث فلا يجوز أن ينسب الى مذهب من يصرح بخلافه ، وان كان لازما من قوله ". (١)

ويرى كفر من قال : بالحلول ، أما من قال : بالجهة فيرى أنه معفو عنه لان ذلك مما ابتلى الناس به . قال : " ومن زعم أن الاله يحل فى شىء من أجساد الناس ، أو غيرهم فهو كافر ، لان الشرع انما عفا عن المجسمة لغلبة التجسيم على الناس فانهم لا يفهمون موجودا فى غير جهة

---

(١) راجع : كتابه " قواعد الاحكام " (١/ ٢٠٣) .

بخلاف الحلول فانه لا يعم الابتلاء به ، ولا يخطر على قلب عاقـــل ، ولا يعفى عنه "(١) .

ويرى أن النبوة أفضل من الارسال فيقول : "إن قيل أيهما أفضل النبوة أم الارسال ، فنقول النبوة أفضل ، لان النبوة اخبار عما يستحقه الرب من صفات الجمال ونعوت الكمال ، وهى متعلقة بالله من طرفيها . والارسال دونها أمر بالابلاغ الى العباد ، فهو متعلق بالله من أحـــد طرفيه ، وبالعباد من الطرف الاخر .

ولا شك أن ما يتعلق من طرفيه أفضل مما يتعلق به من أحـــد طرفيه والنبوة سابقة على الارسال ، فان قول الله لموسى : (إنى أنـــا رب العالمين) [القصص / ٣٠] مقدم على قوله : (اذهب الى فرعون إنه طغى) [طه / ٢٤] فجميع ما تحدث به قبل قوله : (اذهـــب الى فرعون) نبوة ، وما أمره بعد ذلك من التبليغ فهو إرسال .

والحاصل أن النبوة راجعة الى التعريف بالاله وبما يجب لـه والارسال الى أمر الرسول بأن يبلغ عنه الى عباده ، أو الى بعض عباده ما أوجبه عليهم من معرفته وطاعته واجتناب معصيته . وكذلك الرســـول عليه السلام لما قال له جبريل : (اقرأ باسم ربك الذى خلق) الى قوله: (الى ربك الرجعى) [العلق / ١ ـ ٨] كان هذا نبوة ، وكـــان ابتداء الرسالة حين جاء جبريل : بـ "يا أيها المدثر قم فأنـــذر) [المدثر / ١] "(٢) .

يلاحظ مما سبق أن تفضيل العز للنبوة على الرسالة بالنظر الـى كل واحدة منهما على حده . وليس معنى هذا أن النبى أفضل من الرسول ، لان كل رسول نبى وليس كل نبى رسول ، فالرسول أفضل من النبى ، لانـه قد اتصف بمعنى زائد عليه وهو الرسالة مع اشتراكه معه فى النبوة اذ لا يتصور الاتصاف بالرسالة بدون النبوة ، لان الرسالة صفة آتية بعد النبوة كمـــا قرره العز آنفا .

---

(١) راجع المصدر السابق (١/ ٢٠٢) .
(٢) راجع : المصدر السابـــق (٢/ ٢٣٦) .

المبحث الرابـــع

اتجاهاته الفكرية فى الفقه وأصولـــــه

الناظر فى مؤلفات العز يجد أنه ترك ثروة عظيمة فى الفقه وأصوله، تدل على سعة علمه، وبعد نظره، ودقة ملاحظته، وكثرة اطلاعـــــه، كما أن تطبيقه العملى للأحكام الفقهية حيث تولى منصب القضاء وحكـــم بين الناس وأفتاهم، ودرس الطلاب ـ ساعد على تبحره فى هذا الفـــن وتضلعه فيه، وأحاطته بمسائله، فاشتهر بالفقه وبرز فيه، وانتهـــــت اليه رئاسة المذهب الشافعى، وقال عنه أكثر مترجميه: إنه بلغ رتبـــة الاجتهاد، وقال ابن الحاجب: إنه أفقه من الغزالى [1]، وقال أبـــو الحسن الشاذلى: قيل لى: "ما على وجه الارض مجلس فى الفقـــــه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين عبد السلام" [2] وقد تخرج عليه جلـــة من فقهاء الامة كابن دقيق العيد مجدد القرن الثامن.

ويتميز العز فى فقهه بحريته الفكرية كما قال السيوطى: "ثم كان فى آخر عمره لا يتقيد بالمذهب بل اتسع نطاقه وأفتى بما أدى اليـــــه اجتهاده" [3] اهـ.

فهو يقف مع الدليل، ويفتى بما ترجح له ولو خالف مذهبـــــه الشافعى. ومن المسائل التى خالف فيها المذهب ما يلى:

المسألة الاولى: فى القذف:

قال العز: "اذا قال الرجل: أنت أزنى الناس، أو قـــال: أنت أزنى من زيد. فظاهر هذا اللفظ أن زناه أكثر من زنا زيـــــد،

(١، ٢) راجع: طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢١٤).
(٣) راجع: كتابه "حسن المحاضرة" (١/ ٣١٥).

وأكثر من زنا سائر الناس . وقال الشافعى : لا حد عليه حتى يقـــول : أنت أزنى زناة الناس ، وفلان زانٍ وانت أزنى منه .

وفى هذا بعد من جهة أن المجاز قد غلب على هذا اللفـــظ فيقال : فلان أشجع الناس ، وأسخى الناس ، وأعلم الناس ، وأحســـن الناس ، والناس كلهم يفهمون من هذا اللفظ أنه أشجع شجعان الناس ، وأسخى أسخياء الناس ، وأعلم علماء الناس ، وأحسن حسان النـــاس . والتعبير الذى يوجب الحد لأجله حاصل بهذا اللفظ فوق حصوله بقوله : أنت زانٍ "(١) .

المسألة الثانية : فى الحلف :

قال العز : "إن القرآن يطلق على الألفاظ المتداولة الدالـــة على الكلام القديم ، ويطلق على الكلام القديم الذى هو مدلول الالفاظ . واستعماله فى الالفاظ أظهر وأغلب من استعماله فى مدلولها . فـــاذا حلف بالقرآن فقد حمله أبو حنيفة على الالفاظ فلم يحكم بانعقاد يمينـــه

وحمله الشافعى ومالك على الكلام القديم ، وهو خلاف الظاهـــر من استعمال اللفظ . وأبعد من ذلك تحنيث الحالف بالمصحـــف ، اذا خالف موجب يمينه ". (٢)

المسألة الثالثة : فى تقليد الحاكم لمجتهد آخر:

قال العز : "اختلف العلماء فى تقليد الحاكم لمجتهد آخـــر فأجازه بعضهم لأن الظاهر من المجتهدين أنهم أصابوا الحق فلا فـــرق بين مجتهد ومجتهد ، فاذا جاز للمجتهد أن يعتمد على ظنه المستفـاد من الشرع فلم لا يجوز له الاعتماد على ظن المجتهد المعتمد على أدلـــة

(٢،١) راجع : كتابه " قواعد الاحكام " (٢/ ١٢٤) .

الشرع ولا سيما اذا كان المقلد أنهل وأفضل فى معرفة الأدلة الشرعية . ومنعه الشافعى وغيره ، وقالوا ثقة بما يجده من نفسه من الظن المستفاد من أدلة الشرع أقوى مما يستفيده من غيره ولا سيما إن كان هو أفضل الجماعة . وخير أبو حنيفة فى تقليد من شاء من المجتهدين لأن كل واحد منهم على حق وصواب . وهذا ظاهر متجه اذا قلنا كل مجتهد مصيب ". (١)

ونجده يذم الفقهاء المقلدين الذين يقف أحدهم على ضعف مأخذ امامه ومع هذا يقلده ويتأول له فيقول منبها على عجز هؤلاء داعيا الى ترك البحث معهم : "ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا ومع هذا يقلده فيه ، ويترك من الكتاب والسنة والاقيسة الصحيحة لمذهبه جمودا على تقليد إمامه ، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده ، وقد رأيناهم يجتمعون فى المجالس فاذا ذكر لأحدهم فى خلاف ما وظن نفسه عليه تعجب غاية التعجب من استرواح الى دليل بل لما ألفه من تقليد إمامه حتى ظن أن الحق منحصر فى مذهب إمامه أولى من تعجبه من مذهب غيره . فالبحث مع هؤلاء ضائع مفض الى التقاطع والتدابر من غير فائدة يجدى بها ، وما رأيت أحدا رجع عن مذهب إمامه اذا ظهر له الحق فى غيره بل يصير عليه مع علمه بضعفه وبعده ، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين اذا عجز أحدهم عن تعشية مذهب إمامه قال : لعل إمامى وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد اليه ، ولم يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله ، ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح . فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر . وفقنا الله لاتباع الحق أينما كان وعلى لسان من ظهر ، وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم فى الأحكام ومسارعتهم الى اتباع الحق اذا ظهر على لسان الخصم ، وقد نقل عن

---

(١) راجع : المصدر السابق (٢/ ١٦٠) .

الشافعى رحمه الله أنه قال : ما ناظرت أحدا الا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه ، فان كان الحق معى اتبعنى ، وان كان الحق معه اتبعته ". (١)

ومن الأمور التى امتاز بها العز فى فقهه نظرته الواقعية الى القضايا . ومن أمثلة ذلك ما يلى :

المثال الاول : فى ادعاء السَّوقة على الحاكم :

قال العز : " لو أدعى السوقة على الخليفة ، أو على عظيم من الملوك أنه استأجره ، لكنس داره وسياسة دوابه . فان الشافعى يقبله . وهذا فى غاية البعد ومخالفة الظاهر وخالف بعض أصحابه فى ذلك وخلافه متجه لظهور كذب المُدعِى ". (٢)

المثال الثانى : فى عموم الحرام الارض :

قال العز : " لو عم الحرام الارض بحيث لا يوجد فيها حلال جاز أن يستعمل من ذلك ما تدعو اليه الحاجة ، ولا يقف تحليل ذلك على الضرورات ، لأنه لو قف عليها لادى الى ضعف العباد واستيلاء أهل الكفر والعناد على بلاد الاسلام ، ولانقطع الناس عن الحرف والصنائع والأسباب التى تقوم بمصالح الانام ". (٣)

ومن الامور البارزة فى فقهه عنايته بتعليل الاحكام وسهولة عبارته ووضوحها وخلوها من تعقيدات الفقهاء . ولذلك أمثلة كثيرة أكتفى بما يلى :

المثال الأول : فى السرقة :

قال العز : " فان قيل : كيف تقطع يد ديتها خمسون من الابل ، أو خمسمائة دينار بربع دينار ، أو بعشرة دراهم كما قال أبوحنيفة

---

(١) راجع : المصدر السابق (٢/١٥٩) .
(٢) راجع : المصدر السابق (٢/١٢٥) .
(٣) راجع : المصدر السابق (٢/١٨٨) .

رحمه الله ؟

قلنا : ليس الزجر عما أخذ ، وانما الزجر عن تكرير ما لا يتناهى من السرقة المفوته للاموال الكثيرة التى لا ضابط لها ، ولو شرط الشرع فى نصاب السرقة مالا خطيرا لضاعت أموال الفقراء الناقصة عن نصاب الخطير ، وفى ذلك مفسدة عامة للفقراء "(١)

المثال الثانى : فى اللعان :

قال العز : " فان قيل: كيف جوز الشرع اللعان من الجانبين مع العلم بأن أحدهما كاذب فى أيمانه ولعانه ؟

قلنا : انما جوز ذلك ، لأن مع كل واحد منهما ظاهر يقتضى تصديقه ، فان الظاهر من حال الزوج الصدق فى قذفها اذ الغالب أن الازواج لا يقذفون أزواجهم والظاهر من حال المرأة الصدق لأن الاصل عدم زناها ". (٢)

وقد خلف لنا العز كتبا قليلة فى أصول الفقه ، ورغم قلتها فهى قيمة وجليلة تدل على طول باعه فى علم الأصول ، وبعد نظره ودقة فهمه . ويدل على ذلك كتابه " قواعد الاحكام فى مصالح الانام " حيث رجع الفقه كله الى قاعدة كلية ، هى جلب المصالح ودرء المفاسد ، فعبر بالمصلحة عن الخير ، وبالمفسدة عن الشر ، وقرر فى كتابه أن الشريعة حثت على الخير كله دقه وجله ونهت عن الشر كله دقة وجله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة/ ٧ ، ٨] وطبق هذه القاعدة على جميع قضايا الفقه ومسائله باسلوب واضح خالى من تعقيدات الفقهاء .

ومن مباحثه الاصولية النفيسة فى هذا الكتاب ـ بحثه فى بناء معظم

---

(١) راجع : المصدر السابق (١/ ١٩٣) .
(٢) راجع : المصدر السابق (٢/ ٥٩) .

أحكام الشرع على الظنون المعتبرة شرعا حيث قال (٢/ ٦٠) : " وانما عمل بالظنون فى موارد الشرع ومصادره ، لأن كذب الظنون نادر وصدقها غالب . فلو ترك العمل بها خوفا من وقوع نادر كذبها لتعطلت مصالح كثيرة غالبة خوفا من وقوع مفاسد قليلة نادرة . وذلك على خلاف حكمة الاله الذى شرع الشرائع لأجلها .

ولقد هدى الله أولى الالباب الى مثل هذا قبل تنزيل الكتاب فان معظم تصرفهم فى متاجرهم وصنائعهم واقامتهم وأسفارهم وسائر تقلباتهم مبنى على أغلب المصالح مع تجويز أندر المفاسد ، فان المسافر مع تجويزه لتلفه وتلف ماله فى السفر يبتنى سفره على السلامة الغالبة فى ذلك ، وان كان عطب نفسه وماله نادرا لغلبة السلامة عليه ، وندرة الهلاك بالنسبة اليه . ولو قعد المرء فى بيته مهملا لمصالح دينه ودنياه خوفا من أنه لو خرج لكدمه بعير أو رفسه بغل أو ندسه حمار أو قتله جبار مع ندرة هذه الأسباب لحقه العقلاء بالحمقى والنوكى (١) والمجانين . ولو كان له جبار يظلمه أو عدو يرهبه ، أو كلب عقور يقصده ليعضه فخرج على هؤلاء مغررا بنفسه لعده العقلاء من الحمقى والنوكى وللامته الشرائع ..... " الخ

ثم قال : " وانما ذم الله العمل بالظن فى كل موضع يشترط فيه العلم ، أو الاعتقاد الجازم ، كمعرفة الاله ومعرفة صفاته ، والفرق بينهما ظاهر .

والحاصل أن معظم مصالح الذنوب والواجبات والمباح مبنى على الظنون المضبوطة بالضوابط الشرعية ..... " الخ

ثم قال : " فان قيل ماذا تقولون فى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم) [الحجرات/ ١٢]

---

(١) النوكى جمع أنوك ، وهو الاحمق ، راجع اللسان " نوك ".

وفى قوله عليه السلام : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) ؟ .

قلنا : أما الآية فلم ينه فيها عن كل ظن ، انما نهى عن بعضه ، وهو أن نبنى على الظن ما لا يجوز بناؤه عليه ، مثل أن يظن بانسان انه زنى ، أو سرق ، أو قطع الطريق أو قتل نفسا أو أخذ مالا ، أو ثلب عرضا ، فأراد أن يؤاخذه بذلك من غير حجة شرعية يستند اليها ظنه ، وأراد أن يشهد عليه بذلك على ظنه المذكور ، فهذا هو الاثم . وتقدير الآية : اجتنبوا كثيرا من اتباع الظن إن اتباع بعض الظن اثم ، ويجب تقدير هذا لأن النهى عن الظن مع قيام أسبابه المثيرة له لا يصح ، لأنه تكليف لاجتناب ما لا يطاق اجتنابه ، اذ لا يمكن الظان دفعه عن نفسه مع قيام أسبابه ، ولن يكلف الله نفسا الا وسعها ، وأما الحديث فان التقدير فيه : إياكم واتباع بعض الظن ، وانما قدر ذلك لاجماع المسلمين على وجوب اتباع الظن فيما ذكرناه . وكذلك جواز اتباعه فيما أوردناه . واتباع هذه الظنون المذكورة سبب لعلاج الدنيا والاخرة . وان ظنا هذه عاقبته خير من علم لا يجلب خيرا ، ولا يدفع ضيرا ، فأكرم به من ظن موجب لرضا الرحمن وسكنى الجنان .

وربما كان كثيرا من العلوم مؤديا الى سخط الديان وخلود النيران . وقد شاهدنا كثيرا من أرباب هذه العلوم قد فارقوا الاسلام ، ونبذوا الايمان ، وذموا علم الشرائع ، ومدحوا علم الطبائع (أولئك الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [الكهف / ١٠٤] ..... "الخ

فتقريره لهذا المبحث الاصولى بهذه العبارة السهلة الواضحة لدليل على سعة علمه وتمكنه وفهمه وبعد نظره .

والامثلة على ذلك كثيرة فى كتابه " قواعد الاحكام " وكتابه" الامام فى أدلة الاحكام" الذى أفرده فى علم الاصول . وسيأتى الكلام عليه ونقل نصوص منه عند الحديث على مؤلفاته فى الفقه والاصول . واكتفى بهذا خشية الاطالة .

المبحث الخامس

اتجاهاته الفكرية فى التصـــــوف

اختلف المترجمون فى الكلام عن تصوف العز : منهم من استطرد فى ذلك ، فذكر أنه كان يحضر السماع ويرقص ويتواجد ، وله كرامـــــات ظاهرة عديدة . (١)

ولبس خرقة التصوف من شهاب الدين السهروردى ،وأخذ عنه ، وكان يجتمع بأبى الحسن الشاذلى وأبى العباس المرسى ، ويعجـــــب بطريقتهم ، وكان يدرس الرسالة القشيرية (٢) ، وهى من أهم كتـــــب التصوف .

قال ابن السبكى : " وقد كانت للشيخ عز الدين اليد الطولـــى فى التصوف ، وتصانيفه قاضية بذلك " (٣) .

أما المترجمون المحدثون فمنهم من تكلم عن تصوفه مع شىء مـــن التحفظ وتشكك فى كراماته ، وراح يفسرها بما يتناسب مع العصر الحديث القائم على التجربة . (٤)

والذى دفعهم الى ذلك التحفظ ما ذكرته كتب التاريخ عن بعـض متصوفة ذلك العصر من شطحات ومخالفات للشرع ، ونبذ للعمل ، وركون الى الكسل . فراحوا يتحفظون فى الكلام عن تصوفه ، وقالوا : إنه جمـــع فيه بين الحقيقة والشريعة ، كما دلت على ذلك نصوص كتبه ، ومنها قوله :

---

(١) راجع : فوات الوفيات (١/ ٥٩٥) وشذرات الذهب (٥/ ٣٠٢)

(٢ ، ٣) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢١٤ ، ٢١٥) .

(٤) راجع : الدكتور رضوان الندوى فى كتابه "العز بن عبد السلام" ص ١٠٤ — ١١٥ ، ومحمد حسن عبد الله فى كتابه "عز الديـــن بائع الملوك" ص ١٦٨ — ١٩٠ .

" والطريق فى اصلاح القلوب التى تصلح الاجساد بصلاحها ، وتفسد بفسادها تطهيرها من كل ما يباعد عن الله وتزيينها بكل ما يقرب اليه ويزلفه لديه من الأحوال والأقوال والأعمال وحسن الآمال ولزوم الاقبال عليه والاصغاء اليه والمثول بين يديه فى كل وقت من الأوقات وحال من الاحوال على حسب الامكان من غير أداء الى السآمة والملال ، ومعرفة ذلك هى الملقبة بعلم الحقيقة ، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة ، بل الشريعة طافحة باصلاح القلوب بالمعارف والاحوال والعزوم والنيات ، وغير ذلك مما ذكرناه من أعمال القلوب . فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع ، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشرع ، ولا ينكر شيئا منهما الا كافر أو فاجر ". (١)

ويذم بعض الصوفية الذين انحرفوا عن طريق المتصوفة الذين جمعوا بين الحقيقة والشريعة ، فيقول : " وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم ، ولا يقاربهم فى شئ من الصفات ، وهم شر من قطاع الطريق ، لأنهم يقطعون طريق الذاهبين الى الله تعالى ، وقد اعتمدوا على كلمات قبيحات يطلقونها على الله ، ويسيئون الأدب على الانبياء والرسل ، واتباع الانبياء من العلماء الاتقياء ، وينهون من يصحبهم عن السماع من الفقهاء لعلمهم بأن الفقهاء ينهون عن صحبتهم ، وعن سلوك طريقهم ". (٢)

ويرى أن الشرع هو الميزان الذى توزن به أعمال الناس فيقول : " والشرع ميزان يوزن به الرجال ، وبه يتبقن الربح من الخسران ، فمن رجح فى ميزان الشرع كان من أولياء الله ، وتختلف مراتب الرجحان ، ومن نقص فى ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران ، وتتفاوت خفتهم فى الميزان ، وأخسها مراتب الكفار ، ولا تزال المراتب تتناقص حتى تنتهى الى منزلة مرتكب أصغر الصغائر ، فاذا رأيت انسانا يطير فى الهواء ويمشى على

---

(١) راجع : كتابه " قواعد الاحكام " (٢/٢١٢) .
(٢) المصدر السابق .

الماء ، أو يخبر بالمغيبات ، ويخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل ، أو يترك الواجبات بغير سبب مجوز فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة ، وليس ذلك ببعيد من الأسباب التي وضعها الله للضلال، فان الدجال يحيي ويميت فتنةً لأهل الضلال ..... " الخ (١) .

فالعز بقوله هذا يرى أن خرق العادة ليس دليلا على الولاية . فاذا رأينا رجلا تجرى على يديه خوارق العادات فنعرض عمله على الكتاب والسنة فان وافقهما فهو ولي من أولياء الله ، وان خالفهما فهو شيطان نصبه الله فتنة للناس .

والعز بقوله هذا لا ينكر كرامات الاولياء فقد أقرها بقوله : " وكذلك اختص الانبياء بالمعجزات والكرامات ، وشاركهم الاولياء في بعض الكرامات "(٢) .

ويرى أن المعارف والأحوال التي تجرى للأولياء خير من الكرامات فيقول : " والمعارف والاحوال غير الكرامات وخرق العادات ، لتعلق المعارف بالله تعالى ، وتعلق الكرامات بخرق العادات في بعض المخلوقات .

وفرق فيما تعلق برب الارض والسموات ، وفيما تعلق بفك اطراد العادات ....." (٣) الخ .

ويرى العز أن الغِنى لا ينافي الزهد ، فيقول : " ويتحقق الزهد بقطع تعلق القلب عما ذكرناه من المحرمات والمكروهات والمباحات وليس الزهد عبارة عن خلو اليد من المال ، وانما الزهد خلو القلب عن التعلق به ، فليس الغِنى بمناف للزهد " (٤) .

وقد فسر العز بعض الرموز التي يستعملها المتصوفة ويشكل ظاهرها فقال : " ولهم ألفاظ يطلقونها يستعظمها سامعها ، منها :

---

(١) راجع بقية النص في المصدر السابق (٢/٢٢٩ ، ٢٣٠) .
(٢ ، ٣) انظر: المصدر السابق (٢/٢٢٦) .
(٤) المصدر السابق (٢/٢٢٣) .

التجلى : وهو عبارة عن العلم والعرفان ، وكذلك المشاهدة ومنهـــا :
الذوق : وهو عبارة عن وجدان لذة الأحوال ووقع التعظيم والاجلال ،
ومنها الحجاب : وهو عبارة عن الجهل والغفلة والنسيان .ومنهـــــا
قولهم : قال لى ربى ، وانما ذلك عبارة عن القول بلسان الحال دون
لسان المقال ، كما قالت العرب :
امتلأ الحوض وقال قطنى .....الخ" (١)

وقد فسر الفناء بقوله : "وحقيقة الفناء : غفلة وغيبة ، وفـــراغ القلب عن الاكوان الا عن السبب المغنى" (٢) .

وقد قسم العز السماع الى خمسة أقسام وبين حكم كل منهـــا فقال : "أحدها : من تحضره المعارف وأحوالها عند سماع القـــرآن ، وهؤلاء أفضل أهل السماع .

الرتبة الثانية : من تحضره المعارف والأحوال عند سماع الوعـظ والتذكير ، وهؤلاء فى الرتبة الثانية .

الرتبة الثالثة : من تحضره هذه المعارف والأحوال عند سمـــاع الحداء والنشيد ، وهذا فى الرتبة الثالثة لارتياح النفوس والتذاذهـــا بسماع المتزن من الاشعار والنشيد ، وفى هذا نقص من جهة ما فيه مـــن حظ النفس .

الرتبة الرابعة : من تحضره هذه المعارف والأحوال المبنية عليها عند سماع المطربات المختلف فى تحليلها كسماع الدف والشبابـــات . فهذا إن اعتقد تحريم ذلك فهو مسئ بسماعه محسن بما يحصل له مـــن المعارف والاحوال ، وان اعتقد اباحتها تقليدا لمن قال بها مـــن العلماء فهو تارك للورع باستماعها محسن بما حضره من المعـــارف والاحوال الناشئة عنها .

---

(١) المصدر السابق (٢/٢١٩) .
(٢) المصدر السابق (٢/٢١٤) .

الرتبة الخامسة : من تحضره هذه المعارف والاحوال عند سماع المطربات المحرمة عند جمهور العلماء كسماع الاوتار والمزمار ، فهـــذا مرتكب لمحرم ملتذ النفس بسبب محرم فان حضره معرفة وحال تناسـب تلك المعرفة ، كان مازجا للخير بالشر والنفع بالضر ، مرتكبا لحسـنات وسيئات ولعل حسناته لا تفى بسيئاته ، فان انظم الى ذلك نظر الـى مطرب لا يحل النظر اليه فقد زادت شقوته ومعصيته ".

ثم قال : "وعلى الجملة فالسماع بالحداء ونشيد الاشعار بدعة لا بأس بسماع بعضها . وأما سماع المطربات المحرمات فغلط من الجهلة المتشيعين المتشبهين المجترئين على رب العالمين ، ولو كان ذلـك قربة ـ كما زعموه ـ لما أهمل الأنبياء أن يفعلوه ويعرفوه لاتباعهـم وأشياعهم ، ولم ينقل ذلك عن أحد من الأنبياء ولا من أكابر الاولياء ، ولا أشار اليه كتاب من الكتب المنزلة من السماء . وقد قال الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينـا) [المائدة / ٣] . ولو كان السماع بالملاهى المطربات من الدين لبينـه رسول رب العالمين ، وقد قال عليه السلام : ((والذى نفسى بيـده ما تركت شيئا يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة الا نهيتكم عنه)) (١)".

ما قيل فى سماع العز :

ذكر بعض مترجمى العز كالذهبى والكتبى واليافعى أنـه : "كان يحضر السماع ويرقص ويتواجد "كما سبق،ويرى الدكتور رضوان أن حضوره للسماع لعله من النوع الثالث الذى سبق أن سماه : "بدعـة لا بأس بسماع بعضها ولا يمكن أن يكون من المحرم لانه قد ذمه ووصـف فاعله بالجهالة والاجتراء على رب العالمين .

وأما الرقص فقد نقل عن الذهبى مع أنه اكتفى بذكر سماع العز ، ولم ينص على الرقص والتواجد ، ثم الذين نقلوا منه بعد ذلك أضافـوا نسبة الرقص اليه . (٢)

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١٥ ، ٢١٦)

(٢) راجع : كتابه "العز بن عبد السلام" ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

وهذا النقل يعارض ما فى كلام العز من ذم الرقص وأنه منقصة لا تليق بالعاقل ، واليك نص كلام العز حتى يتضح لك ذلك :

قال : " وأما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الاناث لا يفعلها الا راعن ، أو متصنع كذاب ، وكيف يتأتى الرقص المتزن بأوزان الغناء ممن طاش لبه وذهب قلبه ، وقد قال عليه السلام : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . ولم يكن أحد من هؤلاء الذين يقتدى بهم يفعل شيئا من ذلك ".

ثم قال : " ومن هاب الا له وأدرك شيئا من تعظيمه لم يتصور منه رقص ولا تصفيق ، ولا يصدر التصفيق والرقص الا من غبى جاهل ، ولا يصدران من عاقل فاضل ويدل على جهالة فاعلها أن الشريعة لم ترد بهما فى كتاب ولا سنة ، ولم يفعل ذلك أحد الأنبياء ولا معتبر من اتباع الانبياء ، وانما يفعل ذلك الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالاهواء ، وقد قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) [النحل/ ٨٩] وقد مضى السلف وأفاضل الخلف ولم يلابسوا شيئا من ذلك ..... الخ "(١)

ويرى الدكتور الفقير : " أن هذا تعارض شكلى ، وهذا التعارض يزول اذا حددنا الرقص الذى عناه كل فريق منهما . فالرقص الذى انصب عليه كلام العز : هو الرقص الذى كان معهودا على أيامه من بعض المتصوفة ، حيث يجتمعون فى مجالس خاصة ، ويقومون بحركات متفق عليها وموزونة ومتناسبة الحركات مع الشعر المنشود - ونستطيع أن نعبر عنه بأنه الرقص المتناسق مع الايقاع الموسيقى والشعرى الذى ينشدونه ، وقد يكون هذا الرقص مصحوبا بتصفيق الايدى التى تصدر نوعا من النغم والموسيقى التى تبعث على التكسر والتمايل فى حلقات الذكر التى يقومون بها .

---

(١) راجع : كتابه " قواعد الاحكام " (٢/ ٢٢٠ ، ٢٢١) .

وهذا اللون من الرقص والتصفيق لا شك فى بدعيته وأن من يقوم به أرعن متشبه بالنساء فلا يقره الشرع ولا يرتضيه عقل سليم .

وأما حدوث حركات عشوائية من انسان أثر مشاهدته أو سماعه لأمر مبهج مفرح من تجلى أو مشاهدة أو حالة من الحالات التى تعترى المتصوف ، فما أظن حرمة ذلك ولا كراهته ، ولعل هذا اللون الذى أراده المترجمون له بقولهم : إنه كان يرقص ، وهذا اللون من الرقص له أصل من الشرع حيث ذكر ابن حجر الهيثمى فى فتاواه الحديثية (ص ١٥٨) أن سيدنا جعفرا ـ رضى الله عنه ـ رقص بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قال له : (أشبهت خلقى وخلقى) وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : وبهذا يزول اللبس بين حكم الامام ونقول أهل التراجم عنه أنه كان يرقص . وقولى هذا أولى من القول بنفى ذلك بالكلية ، لأن القول بالنفى المطلق للرقص يؤدى الى تكذيب علمائنا من النقلة والمؤرخين ولا داعى لمثل هذا التكذيب ، لأنه يؤدى الى التشكك فى أقوالهم الاخرى ، ولا يعقل أن يجمع معظم النقلة القدامى على أن الامام العز قد رقص مع العلم أنهم قد اطلعوا على قواعده التى نص فيها على حكم الرقص والراقصين . وهذا تناقض كما لا يخفى ، وهم من الذكاء ما يباعدهم عن الوقوع فى هذا التناقض الواضح الظاهر ، لولا أنهم أرادوا بالرقص ما ذكرته من التحركات العشوائية غير المنتظمة والتى تعبر عن اعجابه بما يشاهده ....." الخ (١) .

وفيما قاله نظر لان دعواه اجماع المؤرخين دعوى لا أساس لها ، ولان الاستدلال بحديث جعفر لا يشهد له اذ إن ما حدث من جعفر هو مجرد حركة نشطة أراد أن يعبر بها عن سروره .

---

(١) راجع : رسالته " الامام العز بن عبد السلام" (١/ ١٣٣ ، ١٣٤)

وقد ذكر من ترجم له شيئا من كراماته [1] ،وخصوصا أصحاب طبقات الصوفية ، وقد ذكرت واحدة منها أثناء الكلام عن حادثة بيعه لا مـــــراء المماليك ولولا خشية الاطالة لذكرت بعض كراماته .

وخلاصة القول فى تصوفه :

من النصوص السابقة يتضح اتجاه العز فى التصوف ، فقد كـــان معتدلا ، فلم يغلب جانب الحقيقة على الشريعة فيشطح كما فعل بعض الصوفية ، بل جمع بينهما فليست الحقيقة عنده خارجة عن الشريعة ، بـل الشريعة طافحة باصلاح القلوب . فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجـــل الشرع ، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشرع ، ولا ينكر شيئا منهمـا الا كافر فاجر .

والشرع عنده هو الميزان الذى توزن به أعمال الناس ، فمن وافـــق عمله الكتاب والسنة فهو من أولياء الله ، ومن خالفهما فهو من أعداء اللـه وان جرت على يديه خوارق العادات . فقد بنى تصوفه على العلم والعمل ، وقد سار على هذا النهج فى حياته ،فشارك فى بناء مجتمعه بالتدريـس والقضاء والافتاء والخطابة والتأليف ، كما كان يأمر بالمعروف وينهى عـــن المنكر ، ولا يخاف فى الله لومة لائم .

فهذا منهج المتصوفة العاملين ، وهو مخالف لمنهـــج بعض المتصوفة المتواكلين المتقوقعين على أنفسهم المنعزلين عن مجتمعهم المغالين فى علم الحقيقة على حساب الشريعة ، الذين يتساهلون فـــى أداء الواجبات ويقعون فى المحرمات ولهم شطحات .

وقد رأينا العز ـ فى أثناء كلامه السابق ـ يذمهم ويصمهـــــم بالجهل والغباء . ويرى أنهم شر من قطاع الطريق لأنهم يقطعون طريـــق الذاهبيـــن الى الله تعالى .

---

(١) راجع : طبقات ابن السبكى (٨/ ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧) .

فالصوفى عنده " من صفت سريرته ونارت بصيرته وعلت همتـــــه ونطقت حكمته وارتفعت رتبته ، وتعلم العلم وعلمه وطلبته من الله لا مـــن غيره وأن يكون متصفا بالرضا والسير فى الطريق ومراعاة الرفيق ، والهـــدى والتحقيق وفعل الخيرات وترك المنكرات واقالة العثرات ، وأن يكـــــون مجتهدا فى العمل الصالح المرفوع وأن يكون متأدبا مع شيخة واخوانـــــه حافظا لقلبه غالبا على شيطانه ". (١)

---

(١) راجع كتابه : " مسائل الطريقة فى علم الحقيقة " ص ٣٧ .

الفصل الرابع

التعريف بشيوخه وتلاميذه

يتكون من مبحثين :

١ ـ شيوخه وأثرهم فيه .

٢ ـ تلاميذه وأثره فيهم .

المبحث الأول

شيوخه وأثرهم فيه

١ ـ عبد الصمد الحرستاني :

هو القاضي جمال الدين أبو القاسم محمد بن علي بن عبد الواحد ابن الحَرَسْتاني الانصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي . أحد الأجلة من الفقهاء البارعين في المذهب الشافعي الزاهدين الورعين ، وكان من قضاة العدل . ولد سنة (٥٢٠ هـ) . وسمع الحديث من عبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل بن بشر الاسفراييني ، وآخرين . وتفقه بحلب على أبي الحسن المرادي . ولي القضاء بدمشق نيابة عن أبي سعد ابن أبي عصرون ، ثم ولي قضاء الشام في آخر عمره سنة (٦١٢ هـ) .

وكان قد امتنع من الولاية لما طُلب اليها ، فألحوا عليه واستعانوا عليه بولده حتى أجاب . وكان صارما عادلا على طريقة السلف في لباسه وعفته ، قالوا : إنه لم تفته صلاة بجامع دمشق في جماعة الا إن كان مريضا .

ومما وقع له مما يدل على صرامته في الحق وعدله ، أنه تداعى اليه خصمان ، وجاء أحدهما بكتاب الملك العادل الى القاضي يوصيه عليه ، فلم يفتحه ، وظهر الحق لخصم حامل الكتاب ، فقضى له عليه ، ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به الى حامله ، وقال : كتاب الله قد حكم على هذا الكتاب . فبلغ العادلَ قولُه ، فقال : صدق ، كتاب الله أولى من كتابي . توفي في ذي الحجة سنة (٦١٤ هـ) .

وقد تفقه عليه العز أولا ، ثم انتقل الى الشيخ فخر الدين ابن عساكر ، وقد سأله تلميذه أبو شامة ، أيهما أفقه فخر الدين بن عساكر ، أو ابن الحرستاني ، فرجح ابن الحرستاني ، وقال : إنه كان يحفظ "وسيط الغزالي" ، وقال : "لم أر أفقه منه" . (١)

---

(١) راجع : طبقات السبكي (٨/١٩٦ ـ ١٩٩) والنجوم الزاهرة (٦/٢٢٠) .

وكما أن العز تأثر به فى فقهه ، فقد تأثر به فى عدله وصرامتـــه فى تطبيق الحق ، ويدل على ذلك موقف العز من أمراء المماليك حيـــن حكم ببيعهم ، وأصر على تنفيذ حكم الله فيهم رغم معارضة الملك نجم الدين أيوب وغضبه ، ورغم ما للامراء من سطوة وقوة حتى أنهم حاولوا الفتـــك به فنجاه الله منهم ، فصمد أمام ذلك كله حتى أقام فيهم حكم اللـــه ، فباعهم ، ورد ثمنهم لبيت مال المسلمين .

٢ ــ فخر الدين بن عساكر :

هو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين الدمشقى المعروف بابن عساكر ، ولد سنة (٥٥٥ هـ) ، وهو من أسرة علم وفضل ، تفقه بدمشق على الشيخ قطب الدين النيسابـــورى وزوجه بابنته ، وسمع الحديث من عميه الامامين الحافظ الكبير أبى القاسم ، والصائن هبة الله ، وجماعة .

وحدث بمكة ودمشق والقدس ، وله تصانيف فى الفقه والحديـــث ، وغيرهما ، وبه تخرج العز بن عبد السلام وتأثر به كثيرا فى علمه وزهـــده وورعه وسلوكه فى الحياة .

وكان إماما صالحا عابدا ورعا كثير الذكر . وكان شيخ الشافعيـــة بالشام .

وقد طلبه الملك العادل للقضاء فامتنع ، وقال الملك عين غيـــرك فعين له ابن الحرستانى .

وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يجامل أحدا حتـــى ولو كان حاكما فقد أنكر على الملك المعظم تضمين المكوس والخمور .

توفى فى العاشر من رجب سنة (٦٢٠ هـ) [1] .

---

(١) راجع : طبقات الشافعية للسبكى (٨/ ١٧٧ ــ ١٨٧) والنجـــوم الزاهرة (٦/ ٢٥٦) .

٣ ـ سيف الدين الآمدى :

هو على بن أبى على بن محمد بن سالم الثعلبى أبو الحسن المعروف بسيف الدين الآمدى أحد أذكياء العالم ولد بعد سنة (٥٥٠ هـ) بيسير بمدينة آمد ، وقرأ بها القرآن ، وحفظ كتابا فى مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ثم قدم بغداد فقرأ بها القراءات ، وتفقه على أبى الفتح بن المَنِّىّ الحنبلى ، ثم انتقل الى مذهب الشافعى ، وصحب أبا القاسم بن فضلان ، وبرع عليه فى الخلاف ، وتفنن فى علم النظر ، وأحكم الاصلين والفلسفة وسائر العقليات . ثم دخل مصر وتصدر للاقراء ، وتخرج به جماعة ، ثم وقع التعصب عليه ، فخرج من القاهرة مستخفيا ، ثم قدم دمشق ، ودرّس بالمدرسة العزيزية ، ثم أُخذت منه . وتوفى بدمشق سنة (٦٣١ هـ) .

وله تصانيف تربوا على العشرين كلها منقحة حسنة ، منها " الابكار " فى أصول الدين و " الأحكام " فى أصول الفقه و " شرح جدل الشريف " .

وقد درس عليه العز الاصول واستفاد منه كثيرا ، وتأثر به ، ويبدو ذلك فى كتاب العز " قواعد الاحكام فى مصالح الانام " . وكان من المعجبين به وبطريقة تدريسه ومناظرته ، وقد نقلت عنه عبارات تشيد بذلك منها قول العز : " ما سمعت أحدا يلقى الدرس أحسن منه ، كأنه يخطب ، واذا غيَّر لفظا من " الوسيط " للغزالى كان لفظه أمسَّ بالمعنى من لفظ صاحبه ، وقال : " ما علمنا قواعد البحث الا من سيف الدين الآمدى " . وقال : " لو ورد على الاسلام متزندق يشكك ما تعين لمناظرته غير الامدى لاجتماع أهلية ذلك فيه " . (١)

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/٣٠٦ ـ ٣٠٨) والنجوم الزاهرة (٦/٢٨٥) والمختصر لابى الفداء (٥/١٥٥) .

٤ ـ القاسم بن عساكر :

هو الحافظ بهاء الدين أبو محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم على بن عساكر . ولد سنة (٥٢٧ هـ) وهو من أسرة علم اشتهرت بالفضل والحفظ ، وقد سمع بدمشق من أبى الحسن السلمى ، ونصر الله المصيصى ، والقاضى أبى المعالى محمد بن يحيى القرشى ، وعمه الصائن وجد أبويه وخلق ، وأجازه أكثر الشيوخ ، وكتب الكثير حتى أنه كتب تاريخ والده مرتين ، وأملى كثيرا وحدث . وكان ناصرا للسنة مُجدا فى اماتة البدعة ، وقد دخل مصر وانتفع به أهلها .

وله كتاب " فضل المدينة " وكتاب " فضل المسجد الاقصى ".
توفى سنة (٦٠٠ هـ) ، وله ثلاث وسبعون سنة .

وقد سمع منه العز الحديث . (١)

٥ ـ عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ :

هو أبو الحسن ضياء الدين عبد اللطيف بن اسماعيل بن شيخ الشيوخ أبى سعد البغدادى ، ولد سنة (٥٢٣ هـ) ، وسمع الحديث من والده أبى البركات اسماعيل ، ومن قاضى المارستان ، وابن السمرقندى وآخرين ، وكان صالحا ثقة صوفيا ، وكان شيخ الرباط الذى بالمشرعة شرقى بغداد ، ورحل الى مصر والقدس والخليل ، وقدم دمشق وتوفى بها سنة (٥٩٦ هـ) وقد سمع منه العز الحديث . (٢)

٦ ـ الخشوعى :

هو أبو طاهر بركات بن ابراهيم بن طاهر الخشوعى ، كان حافظا واعيا وكان مسند الشام فى وقته توفى سنة ٥٩٨ هـ وله من العمر تسع وثمانون سنة وقد سمع منه العز الحديث . (٣)

---

(١) راجع طبقات الشافعية للسبكى (٨/ ٣٥٢) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٨٦)
(٢) راجع ذيل الروضتين لابى شامة ص ١٧ ، والنجوم الزاهرة (٦/ ١٥٩)
(٣) راجع : الذيل على الروضتين ص ٢٨ وتاريخ دول الاسلام (٢/ ١٠٧) والنجوم الزاهرة (٦/ ١٨١) .

٧ ـ حنبل الرُّصافـى :

هو أبو على حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة المكبر بجامع الرصافة ، وكان فقيرا جدا فى أول حياته ثم حصل مالا طائلا ، وقـد سمع مسند الامام أحمد من ابن الحصين ، وهو آخر من رواه عنـه ، وقد رحل الى أربل والموصل ودمشق ، وأسمع المسند بهذه البلاد وقد سمع منه الملك المعظم عيسى بن العادل فى جمع كثير فى الجامع الاموى ، وكان كثير الامراض ، توفى ببغداد سنة أربع وستمائة ، وله تسعون سنة وآل ماله الى بيت المال لانه لا وارث له . وقد سمع منه العز الحديث . (١)

٨ ـ عمر بن طبرزد :

هو أبو حفص عمر بن محمد بن يحيى المعروف بابن طبرزد الدار قزى ، ولد سنة (٥١٦ هـ) وسمع حديثا كثيرا من أبى غالب بن البناء وأبى القاسم بن الحصين . وكان معلما للصبيان بدار القز ببغداد ، وسافر مع حنبل الى الشام ، ثم عاد الى بغداد ، وقد جمعا مالا كثيرا ، وتوفى سنة ٦٠٧ هـ وعاد ماله الى بيت المال ، لأنه لا وارث له . (٢)

هؤلاء أهم شيوخ العز الذين ذكرهم ابن السبكى فى ترجمته ، وقد تأثر العز بالثلاثة الأُول منهم كثيرا واستفاد منهم وتخرج عليهم ، كما أنه تأثر بسلوكهم فى الحياة ، أما الشيوخ الاخرين فقد سمع منهم الحديث وهناك شيوخ غيرهم سمع منهم العز كما أشار الى ذلك ابن السبكى ولم يذكر أسماءهم . فمن العسير حصر جميع الشيوخ الذين أخذ عنهم .

كما أن العز تأثر بشيوخ لم يلتق بهم لأنهم ماتوا قبل ولادته بزمن لكنه درس كتبهم فتأثر بها واستفاد منها وضمن كتبه نقولا منها ، ومن أهم هؤلاء الماوردى .

---

(١) راجع : الذيل على الروضتين (ص ٦٢) ، وتاريخ دول الاسلام (٢/١١١) والنجوم الزاهرة (٦/١٩٥) .

(٢) راجع : الذيل على الروضتين ص ٧٠ ، والنجوم الزاهرة (٦/٢٠١)

أبو الحسن الماوردى :

هو على بن محمد بن حبيب البصرى ، المعروف بالماوردى نسبه الى بيع الماورد الفقيه الشافعى ، كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم ، أخذ الفقه عن أبى القاسم الصيمرى بالبصرة ، ثم عن الشيخ أبى حامد الاسفراينى ببغداد ، وكان حافظا للمذهب ، وله فيه كتاب "الحاوى" الذى لم يطالعه أحد الا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب . وفوض اليه القضاء ببلدان كثيرة ، واستوطن بغداد ، وروى عنه الخطيب أبو بكر صاحب "تاريخ بغداد" وقال : كان ثقة .

قال ابن خيرون : كان رجلا عظيم القدر ، مقدما عند السلطان ، أحد الائمة ، له التصانيف الحسان فى كل فن ، وقد اتهمه ابن الصلاح بالاعتزال فى بعض المسائل بحسب ما فهمه عنه من تفسيره فى موافقة المعتزلة فيها ، ولا يوافقهم فى جميع أصولهم ، ومما خالفهم فيه أن الجنة مخلوقة . نعم يوافقهم فى القول بالقدر ، وهى بلية غلبت على البصريين .

وقال ابن السبكى : والصحيح أنه ليس معتزليا ، ولكنه يقول بالقدر فقط .

وسيأتى تحقيق ذلك فى الباب الثانى الخاص بدراسة تفسير العز وهو اختصار تفسير الماوردى .

كما أن العز قد اعتنى بكتاب الماوردى "الحاوى" فألف كتابا بعنوان "الجمع بين الحاوى والنهاية" وكتاب النهاية لامام الحرمين الجوينى . وهذان الكتابان من أعظم الكتب وأكثرها توسعا فى المذهب الشافعى .

ومن تصانيفه "الاقناع فى الفقه" وهو مختصر ، و "أدب الدين والدنيا" و "دلائل النبوة" و "الاحكام السلطانية" وقد ترجم هذا

الكتاب الى عدة لغات ، و " قانون الوزارة وسياسة الملك " .

توفى فى شهر ربيع الاول سنة (٤٥٠ هـ) ، ودفن فى مقبـــرة باب حرب ببغداد . وعمره (٨٦) سنة رحمه الله تعالى [1] .

---

(١) راجع : وفيات الاعيان لابن خلكان (٣/ ٢٨٢ — ٢٨٤) وطبقات ابن السبكى (٥/ ٢٦٧ — ٢٨٥) وطبقات المفسرين للـــداودى (١/ ٤٢٣) ورسالة " الامام الماوردى وأثره فى الفقه الدستورى " لمحمد بن على الغلايين حصل بها على الدكتوراه من كلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر عام ١٣٩٤ هـ وكتاب " الامام أبو الحســن الماوردى " للدكتور محمد سليمان وفؤاد عبد المنعم . ورسالـــة " أبو الحسن الماوردى وأثره فى الدعوة " لعبد الخالق ابراهيـــم اسماعيل حصل بها على الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعـــة الازهر عام ١٣٩٧ هـ .

المبحث الثانى

تلاميذه وأثره فيهـــم

١ ـ شيخ الاسلام ابن دقيق العيد :

هو تقى الدين أبو الفتح محمد بن مجد الدين على بن وهـــب ابن مطيع القشيرى . ولد فى الخامس والعشرين من شعبان سنة (٦٢٥هـ) وتفقه ببلده قوص ـ إحدى مدن صعيد مصر ـ على والده ، وكان مالكـــى المذهب ، ثم رحل الى القاهرة ، وتفقه على العز بن عبد السلام فحقـــق المذهبين . قال ابن السبكى فى ترجمته : " شيخ الاسلام الحافـــظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعـــة الجامع بين العلم والدين والسالك سبيل السادة الاقدمين ، اكمـــل المتأخرين .... " الخ (١)

وقد ولى قضاء القضاة على مذهب الشافعى بمصر بعد تقى الديـــن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن بنت الأعز بعد إباء شديد ، وعزل نفســـه أكثر من مرة ثم يُعاد . توفى فى حادى عشر صفر سنة (٧٠٢ هـ) .

ومن مصنفاته : الامام فى الحديث . قال عنه السبكى : " وهـــو جليل لم يصنف مثله " ، وشرح عمدة الاحكام وله ديوان شعر صغيـــر . وكان من أكثر تلاميذه العز اتصالا به واستفادة منه ، وقد لقب العـــز بـ " سلطان العلماء " وقد تأثر به فى علمه فكان متقنا دقيقا فى عبارتـــه عميقا فى علمه وفهمه " علمه أكثر من تصنيفه ، متمكنا من الفقه وأصولـــه والعربية ، حسن المحاضرة بالنوادر والاشعار .

كما تأثر به فى زهده وورعه وحياته العملية ، وجرأته فى قول الحـــق وعدم تهيبه للسلاطين فمن ذلك أنه كان يخاطب عامة الناس ، السلطـــان

---

(١) راجع : كتابه طبقات الشافعية (٩/٢٠٧) .

فمن دونه بقوله : يا انسان . وهذا شبيه بموقف العز حينما دخل على الملك الصالح أيوب فى يوم العيد ، والجنود الغفيرة تحتف به ، فنادا ه باسمه المجرد " يا أيوب " طالبا منه تغيير منكر كما سبق بيانه ص ٣٠ .

ومن ذلك موقفه من السلطان محمد بن قلاوون حينما أراد أن يجمع المال من الرعية لحرب التتار ، وقد أفتاه بجواز ذلك ابن الخشاب ، ولكن ابن دقيق العيد منعه من ذلك " لان الامراء لديهم الأموال والذهب وأن فيهم من جهز ابنته لتزف الى زوجها وأنه عمل فى شوارها الجواهر واللآلىء والحلى والذهب واتخذ لها الاوانى من الفضة ، وأن منهم من رصع مداس زوجته بالجواهر "(١) .

وهذا شبيه بموقف العز من الملك المظفر قطز حينما أراد أن يأخذ المال من الرعية لحرب التتار فمنعه العز من ذلك حتى يحضر الامراء ما عندهم من الذهب والفضة والسروج المذهبه وغيرها . كما سبق بيانه ص ٢٤ .

ومن ذلك أنه كان عادلا فى قضائه ، متشددا فى تطبيق الحق ، ولو كان على السلطان ، لا يخاف فى الله لومة لائم . لذا نجده عزل نفسه أكثر من مرة ثم يعاد (٢) ، وهذا شبيه بموقف العز حينما عزل نفسه فى حادثة بيع أمراء المماليك فأعاده الملك نجم الدين أيوب كما سبق تفصيله ص

٢ ـ جلال الدين الدّشناوى :

هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكندى . ولد سنة (٦١٥ هـ) بدّشنا بلد بصعيد مصر . وسمع الحديث من الحافظ عبد العظيم المنذرى ،

---

(١) راجع : ابن دقيق العيد ، حياته وديوانه ص ٧٩ .
(٢) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٩/ ٢٠٧) والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٠٦) وشذرات الذهب (٦/ ٥) .

وتفقه على العز بن عبد السلام ، وقرأ الاصول على الشيخ شمس الدين الاصفهانى شارح "المحصول" .

وكان زاهدا ورعا فقيها أصوليا . انتهت اليه رئاسة المذهب الشافعى بقوص بلد بصعيد مصر ." وحكى : أن النصير بن الطباخ المشهور بالفقيه . قال للشيخ عز الدين بن عبد السلام : ما أظن فى الصعيد مثل هذين الشابين . يعنى الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد ، والشيخ جلال الدين الدشناوى . فقال له ابن عبد السلام : ولا فى المدينتين .

وقد صنف شرحا على "التنبيه" وصل فيه الى الصيام . وكتابا فى "مناسك الحج" و "مقدمة فى النحو" . توفى فى رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة بقوص[1] .

٣ ـ عبد اللطيف بن العز بن عبد السلام :

ولد سنة (٦٢٨ هـ) وسمع الحديث عن ابن اللَّتِّىّ ، وتفقه على والده ، وتميز فى الفقه والأصول ، وكان يعرف تصانيف والده معرفة حسنة . وقد روى عنه ابن السبكى طرفا من أخبار والده ، والخلاف بينه وبين الملك الاشرف فى مسألة الكلام التى عُرفت فى التاريخ بفتنة الحنابلة ، وفتواه فيها التى تسمى بـ" ملحة الاعتقاد" .

توفى بالقاهرة فى شهر ربيع الاخر سنة خمس وتسعين وستمائة . رحمه الله .[2]

---

(١) راجع : طبقات الشافعية للسبكى (٨/ ٢٠ ـ ٢٢) وحسن المحاضرة (١/ ٤١٧) .

(٢) راجع : طبقات ابن السبكى (٨/ ٣١٢) وطبقات الاسنوى (٢/ ١٩٩) وحسن المحاضرة (١/ ٤٢٠) .

٤ ـ شرف الدين أبو محمد الدمياطى :

هو عبد المؤمن بن خلف ، ولد سنة (٦١٣ هـ) وتفقه ببلـــده دمياط ، ثم انتقل الى القاهرة ، والتقى بحافظها عبد العظيم المنذرى ، وتخرج عليه فى الحديث وكان حافظا فقيها أصوليا لغويا نسابة شافعـــى المذهب، قال الكتبى : إنه خرج للعز أربعين حديثا عوالى سكن دمشـــق مدة ، ثم ارتحل الى مصر . وتوفى سنة (٧٠٥ هـ) .

ومن مؤلفاته : كتاب الصلاة الوسطى . وكتاب الخيل ، وكتـــاب قبائل الخزرج . وكتاب الاربعين المتباينة فى الاسناد فى حديث أهـــل بغداد(١).

٥ ـ شهاب الدين أبو شامـة :

هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسى الأصـــل الدمشقى الشافعى ، ولد سنة (٥٩٩ هـ) أو (٥٩٦ هـ) .

وختم القرآن وله دون عشر ، وقرأ الروايات على العالم السخـاوى وتفقه على العز بن عبد السلام وقد لازمه ورحل معه الى المقدس فى شعبان سنة (٦٢٤ هـ) لزيارة الاقصى والخليل وما بتلك الديار من الاثار ورجعـا الى دمشق بعد أربعة عشر يوما . (٢) وكتب كثيرا من أخباره وقد أتقـــن الفقه ، واعتنى بالحديث ، ودرس وأفتى وبرع فى العربية . وولى مشيخـة دار الحديث الاشرفية ، والاقراء بالتربة الاشرفية . قال الاسنـــوى : "كان عالما راسخا فى العلم فقيها مقرئا محدثا نحويا ، يكتب الخط المليح المتقن ، وفيه تواضع واطراح كثير جدا ".

---

(١) راجع : فوات الوفيات (١/ ٥٩٤ ، ٢/ ٣٧) طبقات الشافعيـــة للسبكى (١٠/ ١٠٢ ـ ١٢٣) طبقات الشافعية للاسنـــوى (١/ ٥٥٢ ـ ٥٥٤) حسن المحاضرة (١/ ٣٥٧) طبقات المفسرين للداودى (١/ ٣٠٩) .

(٢) راجع : كتابه "الذيل على الروضتين" ص ١٥١ .

وله مصنفات فى علوم كثيرة منها : "اختصار تاريخ دمشق" لابن عساكر ، فقد اختصره مرتين ، الاولى فى عشرين مجلدا . وكتاب "الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية" و "الذيل عليه" وله "ارجوزة فى العروض" و "نظم مُفصل الزمخشرى" وكتاب "البسملة الاكبر والاصغر" و "الباعث على انكار البدع والحوادث" و "ضوء القمر السارى الى معرفة البارى" و "نور السرى فى تفسير آية الاسراء" وقد نقل ابن السبكى فى ترجمته نماذج من هذا الكتاب .

وقد امتحن فى موته بأن دخل عليه رجلان فى صورة المُستَغْثِين فضرباه ضربا مبرحا ، فاعتل به الى أن مات فى سنة (٦٦٥هـ) وسجل فى تاريخه هذه المحنة وذكر تفويض أمره الى الله ، وعدم مؤاخذة من فعل ذلك . رحمه الله . (١)

٦ ـ الامام علاء الدين أبو الحسن الباجى :

هو على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب . ولد سنة (٦٣١هـ) وتفقه على العز بن عبد السلام بالشام . وكان إماما فى الاصلين والمنطق ، وله الباع الواسع فى المناظرة ، وهو من أعلم الناس بمذهب الاشعرى . وكان فقيها متقناً . قال بعض أصحابه : كان لا يفتى بمسألة حتى يقوم عنده الدليل عليها ، فان لم ينهض عنده قال : مذهب الشافعى كذا ، أو الاصح عند الأصحاب كذا ، ولا يجزم .

وكان شيخ الاسلام ابن دقيق العيد كثير التعظيم له ، ويقول له اذا ناداه : يا إمام ، ويقول لابن الرفعة يا فقيه ، ويقول للسلطان فمن دونه : يا انسان . ومع اتساع باعه فى المباحث لم يوجد له كتاب أطال فيه

---

(١) راجع : فوات الوفيات (١/ ٥٢٧) وطبقات ابن السبكى (٨/ ١٦٥) وطبقات الاسنوى (٢/ ١١٨) وبغية الوعاة (٢/ ٧٧) والنجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٤) .

النفس غير كتاب " الرد على اليهود والنصارى " بل له مختصرات ليست على مقداره ، منها كتاب " التحرير مختصر المحرر " فى الفقه و" مختصر فى الاصول " و " مختصر فى المنطق " . قيل ما من علم الا وله فيه مختصر .

وقد ولى قضاء الكرك قديما ، ثم استقر بالقاهرة ، وتوفى بها فى سادس ذى القعدة سنة (٧١٤ هـ) (١) .

٧ ـ تاج الدين الفِزْكاح :

عبد الرحمن بن ابراهيم بن ضياء بن سباع الغزارى لقبه تاج الدين وكنيته أبو الحسن ، المعروف بالفِزكاح ولد فى ربيع الاول سنة (٦٢٤هـ) وتفقه على العز بن عبد السلام . وروى صحيح البخارى عن ابن الزهيدى وسمع من ابن الصلاح . وهو فقيه أهل الشام ، وكان إماما مدققا نظارا . وكان العز يسميه " الدُّوَيك " لحسن بحثه . وهو شافعى المذهب قال الكتبى : " وكان قليل المعلوم كثير البركة " . توفى سنة (٦٩٠ هـ) .

ومن مصنفاته " الاقليد لدُرّ التقليد " شرحا على " التنبيه " لم يتمه . و " شرح الورقات " لامام الحرمين فى أصول الفقه . (٢)

٨ ـ العلامة أبو محمد هبة الله القِفْطِى :

هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل ، لقبه بها الدين ، وكنيته أبو القاسم كما فى ترجمته فى طبقات ابن السبكى وغيرها ، ولكن حينما ذكره ابن السبكى فى ترجمة العز كناه بأبى محمد . اختلف فى مولده فقيل : سنة (٦٠١ هـ) أو (٥٩٧ هـ) . وهو غير القفطى أبى الحسن على بن يوسف صاحب كتاب " انباه الرواة على أنباه النحاة " المولود سنة (٥٦٨ هـ) والمتوفى سنة (٦٤٦ هـ) .

---

(١) راجع : فوات الوفيات (٢/ ١٥٠) وطبقات ابن السبكى (١٠/ ٣٣٩ ـ ٣٦٦) وطبقات الاسنوى (١/ ٢٨٦) .

(٢) راجع : فوات الوفيات للكتبى (١/ ٥٢٢) وطبقات الشافعية للسبكى (٨/ ١٦٣) .

قدم قوص فتفقه على الشيخ مجد الدين ابن دقيق العيد القشيرى وقرأ الأصول على قاضيها الامام شمس الدين الأصبهانى ، وبرع فى الفقه والاصلين والنحو والفرائض والجبر . وانتهت اليه رئاسة المذهب الشافعى بقوص ، ثم توجه الى اسنا ونشر السنة بها بعد ما كان التشيع فاشيا بها ، وصنف كتابا فى ذلك سماه " النصائح المفترضة فى فضائح الرفضة " ، وهموا بقتله ، فحماه الله تعالى منهم ، وتاب على يده خلق وأخذ العلم عنه خلق كثير ، منهم شيخ الاسلام تقى الدين بن دقيق العيد ولد شيخه ، وكان يُجله ويقول : لولا البهاء بالصعيد لتحرج أهله بسبب الفتيا .

وقد صنف فى التفسير كتابا وصل فيه الى سورة كهيعص ، وله " شرح الهادى " فى الفقه خمس مجلدات ، و " شرح عمدة الطبرى " و " شرح مختصر أبى شجاع " وكتاب " الانباء المستطابة فى فضائل الصحابة والقرابة " .

وقد توفى باسنا سنة (٦٩٧ هـ) رحمه الله . (١)

هؤلاء من أهم تلاميذه ، وقد تتلمذ عليه كثيرون من الصعب حصرهم .

---

(١) طبقات ابن السبكى (٨/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢) وطبقات الاسنوى (٢/ ٣٣١) وبغية الوعاة (٢/ ٣٢٥) وحسن المحاضرة (١/ ٤٢٠) .

الفصل الخامس

مؤلفاته وما نُسب اليه

يتكون من مبحثين :

١ ـ مؤلفاته .

٢ ـ كتب نُسبت اليه .

المبحث الأول

مؤلفاتـــــــه

لقد نبغ العز فى علوم الشريعة واللغة العربية ، فترك فيها مؤلفات كثيـــرة غالبها رسائل صغيرة ، فهو من الذين قيل فيهم علمهم أكثر من مصنفاتهم ، لا مـــن الذين عمارتهم دون درايتهم . وسأتكلم عن مؤلفاته اجمالا ، ثم افصل القول فيها .

مؤلفاته اجمـــالا

أولا : التفسير وعلومـــه :

١ ــ اختصار تفسير الماوردى "النكت والعيون".	"خ"
٢ ــ تفسير القرآن العظيم من تأليفه .	"خ"
٣ ــ أمالى عز الدين بن عبد السلام.	"خ"
٤ ــ فوائد فى مشكل القرآن .	"ط"
٥ ــ الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز.	"ط"

ثانيا : الحديـــــث :

٦ ــ شرح حديث "لا ضرر ولا ضرار".	
٧ ــ شرح حديث أم زرع .	"خ"
٨ ــ مختصر صحيح مسلم.	

ثالثا : العقيـــــدة :

٩ ــ رسالة فى علم التوحيد .	"خ"
١٠ ــ وصية الشيخ عز الدين .	"خ"
١١ ــ نبذة مفيدة فى الرد على القائل بخلق القرآن .	"خ"
١٢ ــ الفرق بين الاسلام والايمان .	"خ"
١٣ ــ بيان أحوال الناس يوم القيامة .	
١٤ ــ ملحة الاعتقاد أو العقائد .	"ط"

رابعا : الفقة وأصولـــه :

١٥ ــ قواعد الاحكام فى مصالح الأنام.	"ط"
١٦ ــ القواعد الصغرى .	"خ"
١٧ ــ الامام فى بيان أدلة الاحكام.	"خ"
١٨ ــ مقاصد الصلاة .	"خ"

١٩ ـ الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة . "ط"

٢٠ ـ مقاصد الصوم . "خ"

٢١ ـ مناسك الحج . "خ"

٢٢ ـ أحكام الجهاد وفضله . "خ"

٢٣ ـ الغاية فى اختصار نهاية المطلب فى دراية المذهب لامام الحرمين الجوينى . "خ"

٢٤ ـ الجمع بين الحاوى والنهاية .

٢٥ ـ شرح منتهى السوءل والامل فى علمى الأصول والجدل لابى عمرو بن الحاجب المالكى .

خامسا : الفتـــــاوى :

٢٦ ـ الفتاوى الموصلية . "خ"

٢٧ ـ الفتاوى المصرية . "خ"

سادسا : التصـــوف :

٢٨ ـ شجرة المعارف والأحوال وصالح الاقوال والاعمال . "خ"

٢٩ ـ الفتن والبلايا والمحن . "خ"

٣٠ ـ رسالة فى القطب والأبدال الأربعين .

٣١ ـ مقاصد الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبى . "خ"

٣٢ ـ مسائل الطريقة فى علم الحقيقة . "ط"

سابعا : السيـــرة :

٣٣ ـ بداية السوءل فى تفضيل الرسول عليه السلام أو غايات الاصول فيما سنح من تفضيل الرسول . "خ"

٣٤ ـ قصة وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ . "خ"

ثامنا : علوم أخـــرى :

٣٥ ـ مجلس فى ذم الحشيشة . "خ"

٣٦ ـ نهاية الرغبة فى أدب الصحبة . "خ"

٣٧ ـ ثلاثة وثلاثون شعرا فى مدح الكعبة . "خ"

٣٨ ـ ترغيب أهل الاسلام فى سكنى الشام . "ط"

مؤلفاته تفصيـــلا

سأتحدث عن مؤلفاته على وجه التفصيل معرفا بها ، ومبينا المطبوع منها والمخطوط ، ومكان وجوده معتمدا فى ذلك على بعض هذه المؤلفـات نفسها وطبقات الشافعية لابن السبكى وتاريخ الادب العربى لبروكلمـــان (١/ ٤٨٨ ـ ٥٥٤) وذيله (١/ ٧٦٦ ـ ٧٦٩) وكشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة ، وفهارس المكتبات .

وسأنقل نماذج من بعضها لايضاح أسلوب العز وطريقة معالجتـه للموضوع .

وسأقوم بدراسة مختصرة لكتابيه" قواعد الاحكام " و " الاشارة الـــى الايجاز " لاتحقق من قول ابن السبكى : إنهما شاهدان بامامة العـــز وعظيم منزلته فى علوم الشريعة . (١)

أولا : التفسير وعلومـــه :

يوجد للعز تفسيران :

أحدهما : اختصار تفسير الماوردى " النكت والعيون " ، يوجـــد منه نسخة واحدة بدار الكتب المصرية برقم (٣٢) تفسير ، تقع فى (٢٣٠) ورقة أى (٤٦٠) صفحة .

وقد بدأ تفسيره هذا بمقدمة ذكر فيها أسماء القرآن ، ومعنـــى السورة والاية والأحرف السبعة والاعجاز بكلام موجز ، ثم شرع فى تفسيـــر القرآن سورة سورة من الفاتحة الى سورة الناس .

---

(١) راجع : كتابه" طبقات الشافعية " (٨/ ٢٤٧) .

وقد قمت بدراسة هذا التفسير دراسة مفصلة تشتمل على مصادره ، وتأثر المفسرين به ، ومنهجه ، وستأتى فى الباب الثانى من هذا القسم .

كما قمت بتحقيقه من أولـــه الى آخر سورة الكهف تحقيقـــا علميا بتخريج الاحاديث والاشعار التى استشهد بها ، والتعريـــف بالاعلام الواردة فيه ، وبيان غريبه ، والتعليق عليه ، وسيأتى ذلك فـــى القسم الثانى من الموضوع مع وصف تفصيلى لهذه النسخة .

الثانى : تفسير كامل للقرآن العظيم من تأليفه ، ويوجد منه ثلاث نسخ ، اليك وصفها ، ومكان وجودها :

النسخة الاولى : توجد فى مكتبة رماد ابراهيم باشا باستنبول برقم(١١٥) . وتقع فى مجلد صغير يحتوى على تفسير جميع سور القـــرآن الكريم فى(٣٦٣) ورقة . ومكتوب بجوار العنوان ترجمة مختصرة للعز بـــن عبد السلام ، وفى آخر النسخة هذه العبارة : "علقه فى مدة آخرهـــا العاشر من جماد الاولى من سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة بالشرفية بحلـب ابراهيم سبط ابن العجمى عفا الله عنه وكرمه ، والحمد لله رب العالميـــن وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم" . وخطها صغير سن" تصعـــب قراءته ، وأوائل الآيات مكتوبة بالحمرة . عدد الاسطر (١٩) وكلمـــات السطر (١١) والمقاس (١٩ × ١٤) سم .

النسخة الثانية : توجد فى مكتبة قليج على باشا باستنبول برقـــم (٤٣) . وتقع فى مجلد متوسط الحجم بعنوان "تفسير القرآن العظيـــم" يحتوى على تفسير جميع سور القرآن فى (٢٨٦) ورقة الا أن بعـــض أوراقه مُسْوَدَة ومتآكلة نتيجة سوء التخزين ، وهذه الاوراق فى حـــدود خُمس النسخة . وهى غير مرقمة ، وخطها جيد ، وقد نسخت سنة (٨٨١هـ)

النسخة الثالثة : تقع فى مجلدين ، ويوجد منها المجلد الثانـــى فى مكتبة قطر برقم(٢٥ / ٧٢٣) ويشتمل على تفسير النصف الاخير من القرآن من أول سورة مريم الى سورة الناس . مكتوب عليه : "الجزء الثانى وهـــو

النصف من كتاب تفسير القرآن العزيز تأليف الشيخ العلامة الامام شيـــخ الاسلام سلطان الاعلام والعلماء أبو محمد عز الدين بن عبد الســـلام رحمه الله تعالى وايانا آمين آمين آمين ".

ويقع فى (٢٤٨) ورقة مقاس $21\frac{1}{2} \times 15\frac{1}{2}$ سم ، عدد الاسطر فى الصفحة (١٧) وكلمات السطر (١٢) كلمة تقريبا . مخطوط بقلـــم عمر بن محمد القادرى سلكا الشافعى مذهبا فى سابع عشر شوال سنـــة ثلاث وسبعين وثمانمائه . وخطه نسخ جميل واضح ، الفواصل وأسمـــاء السور بالمداد الاحمر . ورقه صقيل جيد بعضه أصفر والبعض الاخـــر أبيض ، وعليه مطالعة لاحمد التاجر سنة (١٠٢٢هـ) وترقيم أوراقـــه متأخر ، يبدو أنه من فعل مصنف المكتبة ، وبه خرم فى ورقة (١٠١) .

وقد قابلت بين هذه النسخ فتبين أنها ثلاث نسخ لتفسير العـــز ابن عبد السلام ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم من تأليفه بعبارة مختصرة ، اهتم فيه ببيان معانى الكلمات ، وذكر الوجوه اللغوية وبعض الوجـــوه النحوية والنكات البلاغية مع العناية بالاحكام الفقهية .

وستأتى فى الباب الثانى مقارنة بينه وبين تفسيره الذى اختصـــر فيه تفسير الماوردى .

وقد ذكر بروكلمان أنه يوجد لتفسير العز بن عبد السلام نسخة فـــى مكتبة دمار زادة باستنبول برقم (٨١) [1] وبعد اطلاعى عليها تبين أنهـــا نسخة لتفسير السلمى أبى عبد الرحمن " الحقائق والاشارات " كما يوجـــد له نسخة أخرى فى نفس المكتبة برقم (٨٢) .

---

(١) راجع : ذيل كتابه " تاريخ الادب العربى " (١/٧٦٦ — ٧٦٩) ، ترجم لى ذلك الاستاذ المرحوم رشاد عبد المطلب سكرتير معهـــد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

٣ ـ آمالى عزالدين بن عبد السلام :

يوجد لهذا الكتاب خمس نسخ مخطوطة ، كل نسخة عليها عنوان يخالف الاخرى ، وهى كالاتى :

الاولى : نسخة المتحف البريطانى برقم ٧٧١٣ ـ ٥٧٠ وعنوانها " مسائل وأجوبة فى علوم متعددة من القرآن والحديث والفقه " . وقد نسخت فى ٢٢ صفر سنة (٨٤٥هـ) .

الثانية : نسخة أخرى فى المتحف البريطانى برقم ٩٦٩١ ـ Add ضمن مجلد يتعلق بالفقه مكتوب بخط مغربى جميل ، من ورقة (١١٢) الى (١٦١ ب) وليس لها عنوان ، لكن القسم الذى يحتوى على التفسير ينتهى بالملاحظة التالية : " هنا ينتهى ما أملاه الشيخ فى تفسير القرآن " وقد سقط منها عشر ورقات من وسطها ، وليس عليها تاريخ النسخ .

الثالثة : نسخة دار الكتب المصرية برقم (٧٧ تفسير م) وعنوانها " فوائد العز بن عبد السلام " وتسمى ـ أيضا ـ باعجاز القرآن . مخطوطة سنة (٩٨٢ هـ) بخط أحمد خطاب المنشاوى الشعراوى ، وخطها جيد . عدد أوراقها ١٦٦ ورقة .

وتمتاز النسختان السابقتان على هذه النسخة بأن الفوائد فيهما مرتبة فأولا فوائد فى القرآن مرتبة حسب ترتيب الايات والسور ، ثانيا : فوائد فى الحديث ، ثالثا : فوائد فى الفقه . بينما هذه النسخة الفوائد فيها متداخلة ففائدة فى القرآن تليها فائدة فى الفقه أو الحديث ، وهكذا .

وقد اعتمد الدكتور رضوان الندوى على هذه النسخ الثلاث فى تحقيق القسم الاول من الكتاب ، وهو الفوائد المتعلقة بالقرآن .

وقد عثرت على نسختين أُخريين :

إحداهما : نسخة مخطوطات الخزانة الالوسية فى مكتبة المتحف العراقى ، وعنوانها : " فوائد فى علوم القرآن " برقم (٨٧٥٤) ، وخطها

جيد مرقمة الصفحات وهى ٢٣٤ صفحة ، مقاس (٢٠ × ١٤ سم) عدد الاسطر (٢١) .

والاخرى : نسخة مكتبة كوبر للى باستنبول برقم (٤٤) وعنوانها : "آمالى عز الدين بن عبد السلام على القرآن العظيم" ، ومكتوب بعد العنوان : "تضمن أحكام وأبحاث على شىء من المشكل وأجوبة عنها ، وعلى شىء من الحديث الشريف له ـ أيضا ـ وقواعد وفوائد" .

ومعلوماتها مرتبة كالنسختين السابقتين ، وخطها لا بأس به ، وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ، عدد أوراقها (٩٣) ورقة ، مقاس ٢٦ × ١٦ ، وفى الصفحة (٢٣) سطرا ، وفى السطر (١٢) كلمة تقريبا .

وقد ذكرت هذه "الامالى" هنا لأن غالب ما ورد فيها فى التفسير وعلومه حتى أن بعض النسخ وردت بعنوان "آمالى عز الدين بن عبد السلام على القرآن العظيم" .

٤ ـ فوائد فى مشكل القرآن :

هذا الكتاب مطبوع بوزارة الاوقاف فى الكويت عام ١٩٦٧ م بتحقيق الدكتور رضوان الندوى .

وهو القسم الاول من "الامالى" المتعلق بالقرآن .

ولعل العز أملاه فى دروسه فى التفسير التى أشار اليها مترجموه اذ قالوا : "وهو أول من ألقى التفسير دروسا بمصر" .

وطريقته فى هذا الكتاب أنه يصور اشكالا حول آية من آيات القرآن الكريم فى مسئلة ، ثم يجيب عنها بجواب موجز مفيد . وقد تناول فى هذه المسائل بعض الآيات من سور القرآن مرتبة من سورة الفاتحة الى سورة الناس .

وأكثر هذه المسائل فى اللغة والنحو والبلاغة قد اعتمد على مصادر أصيلة مشهورة . فمن مصادره " معانى القرآن " للفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، و" الحجة فى القراءات السبع " لابى على الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ويقتبس منه أكثر من المصدر الاول ، و " المحرر الوجيز " لابن عطية (ت ٥٤١ هـ) ، و" الكشاف" للزمخشرى (ت ٥٢٨ هـ)ويتعقبه كثيرا واليك أمثلة من هـــذا الكتاب لبيان منهج العز واسلوبه : —

المثال الأول : تفسيره لقوله تعالى : (إياك نعبد واياك نستعين) قال (ص ١٤) : " وقدم (إياك نعبد) على (واياك نستعيـــن) لأ ن (إياك نستعين) خبر بمعنى الدعاء ، فيكون من النصف المختص بالعبد ، والعبادة مختصة بالله تعالى ، وقد قال عليه السلام حكاية عن الله سبحانه وتعالى : « قسمتُ الصلاة بينى وبين عبدى نصفين » ، ثم قال: « واذا قال العبد : إياك نعبد واياك نستعين قال الله : هذه بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل » فقدم إياك نعبد ليقع ما لله فى نصفه ، وما للعبد فـــى نصفه ، أو قدم اهتماما بذكر العبادة ، لأنهم يقدمون الاهم فالاهم ".

المثال الثانى : تصويره لاشكال حول آية واجابته عليه حيث قـال (ص ٢٨) : " فى قوله عز وجل (ذلك الكتاب لا ريب فيه) [البقرة/ ٢] فيه سؤالان :

أحدهما : كيف يقول : (لا ريب فيه) وقد وقع الريب فيـــه من أهل الملل ؟

الثانى : أن الريب فى المرتاب لأن الريب الشك ، وهو فى الشاك لا فى المشكوك فيه ، ونفيه عن الكتاب يستلزم صحة وقوعه فيه ، وليس كذلك؟

والجواب عن الاول يجوز أن يكون عاما مخصوصا بأهل الكفـــر ، أو على حذف مضاف تقديره : لا سبب ريب فيه . يعنى من الركاكة والعمـى والتناقض والاختلاف ، أو يكون خبرا بمعنى الامر كقوله : (فلا رفـــث ولا فسوق) [البقرة / ١٩٧] أى لا ترفثوا ولا تفسقوا .

وعن الثانى : أن معنى قولنا : ارتبت فى كذا شككت فيه واحترت فيه وأكثرت النظر فيه ، وما أشبه ذلك مما يستحيل فيه ظرفية هذه المعانى ولكنها تتعلق بالمشكوك فيه تعلق المظروف الجسمى بالظرف الجسمى ".

من المثالين السابقين يتضح تمكن العز من اللغة العربية وفهمه للفروق الدقيقة بين معانى الالفاظ والحروف وادراكه للنكات البلاغية .

٥ ـ الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز :

ويذكر فى مصادر قديمة بـ " مجاز القرآن " . وقد لخصه مع زيادات كثيرة السيوطى (ت ٩١١ هـ) فى كتاب سماه " مجاز الفرسان الى مجاز القرآن "[1] ، ولكنه لم يصل الينا .

وقد طبع كتاب العز فى استنبول مرتين سنة ١٣١١ هـ وسنة ١٣١٣ هـ ، وهذه الطبعة تقع فى ٢٩٦ صفحة ، وقد صورت هذه الطبعة بالاوفست بمطبعة دار الفكر بدمشق وقد اعتمدت عليها فى التعريف به .

وموضوعه فى علم البيان والمعانى ، وقد قال ابن السبكى : إنه وكتاب " قواعد الاحكام " شاهدان بامامة العز وعظيم منزلته فى علوم الشريعة .[2]

لذا رأيت أن أتوقف عند هذين الكتابين ، وأتأمل فيهما لأتحقق مما قاله ابن السبكى .

ويتكون كتاب العز " الاشارة الى الايجاز " من مقدمة ، وبابين فيهما فصول كثيرة .

وهذه المقدمة قصيرة تقع فى خمسة أسطر ، ومما قاله فيها تعريف الاختصار وهو : " الاقتصار على ما يدل على الغرض مع حذف ، أو اضمار ،

---

(١) راجع : كتابه " الاتقان فى علوم القرآن " (٢/٣٦) .
(٢) راجع : كتابه " طبقات الشافعية " (٨/٢٤٧) .

والعرب لا يحذفون مالا دلالة عليه ولا وصلة اليه ، لأن حذف ما لا دلالة عليه مناف لغرض وضع الكلام من الافادة والافهام . وفائدة الحـــذف : تقليل الكلام وتقريب معانيه الى الافهام ".

والباب الاول فى أنواع الحذف . وقد ذكر فيه تسعة عشر نوعـا ، منها : ١ ـ حذف المضاف ـ ٢ ـ حذف المفعولات ـ ٣ ـ حـــذف الموصوفات ـ ٤ ـ حذف الاقوال ـ ٥ ـ حذف الشروط ـ ٦ ـ حـــذف أجوبة الشروط ـ ٧ ـ حذف جواب لو ..... الخ .

ثم تحدث عن كل نوع من أنواع الحذف وأدلته ومثل له مـــــن القرآن والحديث وكلام العرب وشعرهم .

فقال (ص ٧) : "النوع الاول : حذف المضافات ، وله أمثلـة منها نسبة التحليل والتحريم والكراهة والايجاب والاستحبـــاب الى الاعيان ، فهذا من مجاز الحذف ، اذ لا يتصور تعلق الطلـــب بالاجرام ، وانما تطلب أفعال يتعلق بها . فتحريم الميتة تحريم لأكلهـا وتحريم الخمر تحريم لشربها ، وتحريم الحرير تحريم لاستعماله ، وكـــذا تحريم أوانى الذهب والفضة ، وتحريم الصدقة فى قوله عليه السـلام « لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد » وفى قوله : « لا تحل الصدقة لغنى » تقديره فيهما : لا يحل أخذ الصدقة ، أو تناول الصدقـــة ، والمراد بالصدقة ههنا : الزكاة ، اذ لا تحرم صدقة التطوع على الغنـى ولا على ذى المرة السوى . وكذلك قوله تعالى : (حرمنا عليهم طيبـات أحلت لهم) [النساء/ ١٦٠] أى حرمنا عليهم أكل طيبات أحل لهـم أكلها ، أو تناولها ، وتقدير التناول أولى ليدخل فيه شرب ألبانها الابـل فانها من جملة ما حرم عليهم ".

ففى هذا النص بين النوع الاول من أنواع الحذف ، وهو حـذف المضافات ، ومثل له من القرآن والحديث . ويلاحظ أن ثقافته الفقهيـــة والاصولية قد أثرت على بحثه البلاغى هنا .

وقال فى ص (١٤) : " فائدة : ليس حذف المضاف من المجاز ، لان المجاز استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أولا . والكلمة المحذوفة ليست كذلك وانما التجوز فى أن ينسب الى المضاف اليه ما كان منسوبا الى المضاف كقوله تعالى : (واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا)[يوسف / ٨٢] ، فنسبة السؤال الى القرية والعير هو التجوز ، لان السؤال موضوع لمن يفهمه ، فاستعماله فى الجمادات استعمال اللفظ فى غير موضعه فكونهما مسؤولين من جهة اللفظ دون المعنى هو المجاز .

ومصحح هذا المجاز ما بين أهل القرية وأصحاب العير من ملازمتهما ، وشرط مجاز الملازمة أن تقع الملازمة فى غالب الأمر ولا يشترط عدم الانفكاك " .

ففى هذا النص بين أن حذف المضاف ليس من المجاز ، وقد وجه ذلك بتوجيه دقيق فى عبارة واضحة وموجزة . واسلوب سلس ، ومثل لذلك بآية من القرآن ، وطبق عليها ما قرره .

فتطرقه لهذا المبحث الدقيق من المجاز وتقريره وشرحه على هذا النحو الذى لا يصل اليه الا أصحاب الاختصاص ، دليل على سعة علمه بهذا الفن وتمكنه منه .

والباب الثانى فى المجاز ، وقد عرفه وفرق بينه وبين الحقيقة بقوله (ص ٢٨) : " المجاز فرع للحقيقة ، لان الحقيقة استعمال اللفظ فيما وضع دلا عليه أولا . والمجاز استعمال لفظ الحقيقة فيما وضع دالا عليه ثانيا لنسبة وعلاقة بين مدلولى الحقيقة والمجاز ، فلا يصح التجوز الا بنسبة بين مدلولى الحقيقة والمجاز ، وتلك النسبة متنوعة على ما سنذكره ، فاذا قوى التعلق بين محلى الحقيقة ، والمجاز فهو الظاهر الواضح ، واذا ضعف التعلق بينهما الى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظيره فى المجاز فهو مجاز التعقيد فلا يحمل عليه شىء من الكتاب والسنة ولا ينطق به فصيح . وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فمن العلماء من يتحوز بها لقوتها بالنسبة الى العلاقة الضعيفة ، ومنهم من لا يتجوز بها لا نحطاطها

عن العلاقة القوية . مثال العلاقة القوية قول الرجل لامرأته : اعتـــدى ، واستبرئى رحمك ، يريد بذلك الطلاق ، فهذا مجاز قوى من جهـــة أن الاستبراء والاعتداد مسببان عن الطلاق ، والتعبير بلفظ المسبب عن السبب كثير فى كلام العرب . ومثال العلاقة الضعيفة : قول الزوج لامرأته : بـارك الله فيك ، أو اطعمينى ، أو اسقينى ، أو تنعمى ينوى بذلك الطـلاق ، فهذا لا يقع به طلاق لضعف العلاقة المصححة للتجوز اذ لم تستعمـــل العرب مثله .... الخ .

ففى هذا النص عَرَفَ الحقيقة والمجاز وقسم المجاز ـ باعتبار علاقته ـ الى ثلاثة أقسام : أحدها : الظاهر الواضح ، والثانى : المعقـــد ، والثالث بينهما . ومثل لذلك ، وطبق على الامثلة ما قرره وشرحه .

كل ذلك بعبارة سهلة واضحة موجزة ، وما ورد فى هذا النـــص دليل على سعة علمه وطول باعه فى هذا الفن ، كما فيه أثر ثقافته الفقهيـــة والاصولية على بحثه البلاغى . وهذا مؤكد لما سبق ذكره .

ثم قال فى ص (٣٠) : " وقد تجوز العرب فى الاسماء والحـــروف والافعال " ثم فصل أنواع ذلك ، ومثل عليها من القرآن والحديث وكـــلام العرب وشعرهم .

ومن فصول هذا الباب الفصل السادس والاربعون فى مجاز المجاز ، قال (ص ١٤٥) : " وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابـــة الحقيقة بالنسبة الى مجاز آخر ، فتجوز بالمجاز الاول عن الثانى لعلاقـــة بينه وبين الثانى ، مثال ذلك قوله تعالى : (ولكن لا تواعدهن ســـرا) [البقرة / ٢٣٥] ، فانه مجاز عن مجاز ، فان الوطء يتجوز عنه بالسر ، لانه لا يقع غالبا الا فى السر ، فلما لازم السر فى الغالب سمى ســـرا ، ويتجوز بالسر عن العقد لانه سبب فيه ، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة ، والمصحح للمجاز الثانى التعبير باسم السبب الذى هو السر عن العقـــد الذى هو سبب ، كما سمى عقد النكاح نكاحا لكونه سببا فى النكـــاح ، وكذلك سمى العقد سرا لانه سبب فى السر الذى هو النكاح ، فهذا مجاز

عن مجاز مع اختلاف المصحح ، فمعنى قوله : (ولكن لا تواعدهن سرا) لا تواعدوهن عقد نكاح ".

ففى هذا النص تناول العز مسألة من أدق مسائل المجاز ، وهى مجاز المجاز ، فبينها أوضح بيان فى عبارة سلسة موجزة لا يقدر عليها الا أصحاب الاختصاص .

ومن فصول هذا الباب الفصل الثامن والاربعون فى أمثلة من حذف المضافات على ترتيب السور والايات .

وهذا الفصل من أطول فصول الكتاب حيث بدأ من (ص ١٤٩) الى (ص ٢٥٧) وهو فصل تطبيقى فقد طبق فيه العز أنواع الحذف التى شرحها وقررها فى الباب الاول . فقال فى ص (١٤٩) : " سورة البقرة : (لا ريب فيه) أى لا تشكوا فى انزاله . أو فى هدايته . أو لا سبب ريب فيه ، كالتناقض والاختلاف . أو لا ريب فيه عند المؤمنين تعبيرا بالعام عن الخاص . (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الاخر) أى آمنا بواحدانية الله ، وباتيان اليوم الاخر : أو لا حاجة الى حذف فى قوله : (وباليوم الاخر) " .

وختم هذا الفصل بقوله : (ص ٢٥٧) : " فهذا ما حضر من المضافات المحذوفة ، ووراء ما ذكرته حذف كثير فى مضافات خفية . ومهما تردد المضاف بين المجاز والحقيقة نظرت الى أحسنهما وقدرته محذوفا ، فان استويا نظرت الى أيهما أشد ملائمة للسياق وموافقة له فقدرته ، وقد يتردد المضاف بين أن يكون مجملا أو مبينا ، وتقدير المبين أحسن ، مثاله قوله تعالى : (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) [الانبياء/ ٧٨]، والمراد بالحرث الزرع ، أو الكرم ، لك أن تقدر اذ يحكمان فى أمر الحرث ، ولك أن تقدر اذ يحكمان فى تضمين الحرث ، وهذا أولى لتعينه ، والامر مجمل مردد بين أنواع ، ومهما تردد المحذوف بين الحسن والاحسن وجب تقدير الاحسن ، لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات ".

فهذه الخلاصة التى ذكرها العز فى ختام هذا الفصل من الفوائد الجليلة النافعة ، فعلى من يتصدى لتفسير كتاب الله أن يتدبر ما جاء فيها ، ويسير على نهجه حتى يقدر كتاب الله حق قدره ويضعه فى منزلته .

وقد ختم العز كتابه بفصول فى مقاصد القرآن وبيان اللغات التى نزل بها ، واسمائه ، واعجازه ، وأنواع الحمد ، وأقسام التفسير من صفحة ٢٥٩ الى آخر الكتاب .

بعد هذه الجولة المتعة السريعة فى هذا الكتاب يستطيع البحث أن يقول : إن العز بلغ فى كتابه مبلغا عظيما ، وحقق نتائج جليلة ، وأبرز ما اشتمل عليه كتاب الله من فنون البيان والمعانى ، وحقق ما فيه من اعجاز لم يستطع العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله رغم ما كانوا يجيدون من فنون القول .

وقد ركز العز فى كتابه على القرآن الكريم ، وتناول أثناء ذلك بعض الاحاديث ، فهو من الكتب التى أفردت مجاز القرآن بالدرس والبحث والتطبيق .

وأول كتاب ألف فى هذا الشأن كتاب الشريف الرضى " تلخيص البيان فى مجازات القرآن " (١) . ولكن كتاب العز يمتاز عليه حيث جمع بين ذكر قواعد المجاز ومصطلحاته وتطبيق ذلك على آيات القرآن مع الشرح والتقرير ، بينما اقتصر الشريف الرضى على التطبيق فقط ، ولم يتقيد بمصطلحات علماء البلاغة ، قال الدكتور طه محمد الزينى : " فان الشريف رحمه الله لم يتقيد بما اصطلح عليه علماء البلاغة من أسماء الاستعارة

---

(١) راجع : مقدمة تحقيقه للاستاذ محمد عبد الغنى حسن ص ٣٠ .

والتشبيه والكناية والمجاز وغيرها . فهو يجعل التشبيه مجازا مـــــرة ، واستعارة مرة أخرى ، ولا يبين الاستعارة التصريحية من المكنية ولا الاصلية من التبعية ، ولا يفرق بين التشبيه البليغ والتشبيه المرسل ، ولا بيـــن المجاز العقلى والمرسل "(١) أ هـ .

قلت : وللشريف العذر فى ذلك ، فقد عاش فى القرن الرابـــع والبلاغة لم تستكمل أبحاثها ولم تنضج بعد ، فلم يأتِ الجرجانـــــى (ت ٤٧١ هـ) صاحب كتاب " أسرار البلاغة " و " دلائل الاعجـــاز " والسكاكى (ت ٦٢٦ هـ) صاحب كتاب " مفتاح العلوم " ، وابن الاثيـــر (ت ٦٣٧ هـ) صاحب كتاب " المثل السائر " و " البرهان فى علـــم البيان " . أما العز فقد جاء بعد هؤلاء الاساطين الذين قعـــدوا القواعد وحرروا المصطلحات فنهل من علمهم ، واستطاع أن يهضمه بما وهبه الله من ذكاء حاد ، ويعالج به أساليب كتاب الله فيظهر ما فيها مـــن روعة وجمال .

وسوف أنقل لك نبذة من كتاب الشريف الرضى حتى يتضح لك الفرق بين منهج الكتابين :

قال الشريف (ص ١٧٣) : " قوله سبحانه : (واسأل القريـــة التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) [يوسف/٨٢] ،وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات ، والمراد : واسأل أهل القرية التى كنا فيهـــا ، وأصحاب العير التى أقبلنا فيها . ومما يكشف عن ذلك قوله تعالى فـــى السورة التى يذكر فيها الانبياء عليهم السلام : (ونجيناه من القرية التـــى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) [٧٤] والقرية هـــى الابنية المفروشة والخطط المسكونة لا يصح منها عمل الخبائث فعلـــم أن المراد بذلك أهلها ".

---

(١) راجع : مقدمة تحقيقه لكتاب الشريف الرضى " المجازات النبويـــة " صفحة (د ، هـ) .

فقارن هذا النص بنص العز السابق فى أن حذف المضـــــاف ليس من المجاز فقد استدل بهذه الاية ، فقال : إن قدرنا المضـــــاف المحذوف فى الاية ، وهو الاهل فليس فيها مجاز ، لان توجيه السؤال الى أهل القرية وأهل العير استعمال حقيقى للفظ ، وانما التجوز فـــى عدم تقدير المضاف فيتوجه السؤال الى القرية والعير ، وهى لا تعقـــل ، فيكون اللفظ استعمل فى غير ما وضع له .

بينما ذكر الشريف أن فى الاية استعارة من مشاهير الاستعارات وأن المراد أهل القرية ، ولم يتناول التفاصيل الدقيقة التى جاء بهـــا العـــز .

من هذه المقارنة السريعة يتضح أن الرجلين يختلفان فى المنهج ، فالشريف يبين المجاز فى آيات القرآن من كل سورة بالترتيب ، ولا يعنـى بتقرير قواعد المجاز ومصطلحات علماء البلاغة ، بل يكتفى بالتطبيق ، بينما العز يقرر القاعدة ثم بعد ذلك يطبقها على آيات من القرآن من ســـور مختلفة .

وهناك أمثلة كثيرة تدل على نتائج هذه المقارنة السريعـــــة تركتها خشية الاطالة .

ثانيا : الحديـــث :

١ ــ شرح حديث "لا ضرر ولا ضرار" :

نسبه اليه رضوان الندوى . (١)

٢ ــ شرح حديث "أم زرع" الذى روته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

يوجد بمكتبة الفاتح باستنبول برقم (١١٤١) ويقع فى ثـــلاث ورقات ، وفى الصفحة (٢١) سطرا ، وفى السطر تسع كلمات تقريبا وهـــو

---

(١) راجع : كتابه "العز بن عبد السلام" ص ٧٥ .

ملحق بمجلد كبير به مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى (ت ٦٥٦ هـ) مخطوط فى منتصف جمادى الاخر سنة (٧١٥هـ) بدمشق بيد محمد ابن الحسين الحنفى . وخطه جميل مقاس ٢٧ × ١٨ ½ سم .

وأول الشرح قوله : "بسم الله الرحمن الرحيم : شرح حديث أم زرع وهو قول النسوة اللاتى اجتمعن وتعاهدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا ، قول الاولى زوجى لحم جمل غث يعنى المهزول على راس جبل تصف قلة خيره وبعده مع القلة كالشىء فى قلة الجبل الصعب ، لا ينال الا بالمشقة ، قال الخطابى : معنى البعد فى هذا أن يكون وصفته بسوء الخلق والترفع فى نفسه ، والذهاب بهاتيها وكبرا تريد أنه مع قلة خيره ونزارته قد يتكبر على العشيرة فيجمع الى منع الرفد الاذى وسوء الخلق " . وهكذا ينقل عن أبى عبيدة والاصمعى والهروى وابن الاعرابى وغيرهم .

وفى آخره "تم شرح حديث أم زرع والحمد لله وحده وصلوات الله على سيدنا محمد وآله أجمعين عنى به الشيخ الامام العلامة الفقير الى الله تعالى عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى نور الله مضجعه".

٣ ـ مختصر صحيح مسلم :

نسبه ابن السبكى (١) اليه ، ولم يذكر أحد من المترجمين له مكان وجوده ـ حسب علمى ـ ولعله مما نسب اليه خطأ لأننى اطلعت على رسالة العز فى شرح حديث أم زرع ملحقة فى آخر مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى المعاصر للعز ـ كما سبق بيانه ـ فلعل الذى نسبه الى العز اطلع على آخر الكتاب فنسبه كله اليه بدون تحقيق . والله أعلم .

---

(١) راجع : كتابه "طبقات الشافعية" (٨/٢٤٨) .

ثالثا : العقيـــــدة :

فى المكتبة الظاهرية بدمشق برقم(٥٢٠٧) ضمن مجموع من ورقـة ٨ ــ ٩ ، وهى ورقة فقطعدد أسطرها (٤٥) سطرا ، عدد كلمات السطـــر(١٣) كلمة تقريبا مقاس ٥ر٢٠ × ١٤ سم خطها صغير وواضح .

وقد ذكر الدكتور على مصطفى أنها تقع فى (٢٣) ورقة، وهـــذا خطأ لأننى قد اطلعت على نسخة المكتبة الظاهرية فى ورقة واحدة فقـــط، وهو لم يطلع عليها كما قال . (١)

وقد جاء فى أولها " بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخ الاســـلام عز الدين بن عبد السلام ــ رحمه الله تعالى ــ : أما بعد فانى نظـــرت فرأيت دايرالشقاوة والسعادة يدور على مراكز الارادة وبينهما دقيق يـدق عن التحقيق ومضيق يفتقر صاحبه الى رفيق التوفيق ، فالارادة تهـــب والارادة تنهب فما وهبه الامر نهبته الارادة ، والامر يقول افعلى والارادة تقول لا تفعل والفعال لما يريد لا يُسأل عما يفعل . قوم علقوا بالامـــر فزلوا ، وقوم علقوا بالارادة فضلوا وقوم جمعوا بين الأمر والارادة فهـــدوا الى الصراط المستقيم واستقلوا " وهكذا أخذ يفصل مذهب كل فريق وفـــى آخر الرسالة قال " ثم اعلم أن هذه المسألة المشكلة المعضلة هى أصـــل منشأ الهدى والضلالة ومفرق طريق العلم والجهالة ، ولقد تورط فـــى تحقيقها كثير من الجهال وعمى عن طريقها أمم من الضلال، والحمد للـــه وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم".

---

(١) راجع : رسالته " الامام العز بن عبد السلام" (١/٢٣٢) .

٢ ـ وصية الشيخ عز الدين :

هذه رسالة صغيرة فى العقيدة موجودة بالمكتبة الظاهرية برقم (٥٢٥٨) ضمن مجموع من الورقة ١٨٨ ـ ١٨٩ . وهى ورقتان ، فى الصفحة (١٦) سطرا وفى السطر سبع كلمات تقريبا مقاس ١٨ × ٥ر١٢ سم وخطها واضح .

أولها : " اعلم أن حقوق الله تعالى على القلوب منقسمة الى المقاصد والوسائل . فاما المقاصد : فكمعرفة ذات الله تعالى وصفاته . وأما الوسائل فكمعرفة أحكامه تعالى فانها ليست مقصودة لعينها وانما هى مقصودة للعمل بها ، وكذلك الاحوال قسمان : أحدهما : مقصود لنفسه ، كالمهابة والاجلال ، والثانى : وسيلة الى غيره كالخوف والرجاء ، فان الخوف وازع عن المخالفات لما رتب عليها من العقوبات .

والرجاء حاثٌ على تكثير الطاعات لما رتب عليها من المثوبات والحقوق المتعلقة بالقلوب أنواع . النوع الاول : معرفة ذات الله تعالى ، وما يجب لها من الازلية والأبدية والاحدية وانتفاء الجوهرية والعرضية والجسمية والاستغناء عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن سائر الذوات .....

.....

النوع السادس عشر : النظر فى تعرف ذلك واعتقاده ، وهو واجب وجوب الوسائل . تمت العقيدة بحمد الله وحسن توفيقه ".

وهذه الوصية أو العقيدة قد ذكرها العز فى كتابه " قواعد الأحكام فى مصالح الانام " (١/١٩٨ ـ ٢٠٥) وسيأتى فى الدراسة الموجزة لهذا الكتاب التنبيه على أن ايرادها فى كتاب يركز على الأحكام الفقهية من قبيل الاستطراد .

وفى ايراد العز لهذه الوصية فى كتابه " قواعد الاحكام " ردٌّ على الدكتور على مصطفى الفقير حيث نفى نسبتها اليه ونسبها الى عز الدين ابن عبد السلام المقدسى . (١)

---

(١) انظر رسالته " الامام العز بن عبد السلام " (١/٢٥٥) .

٣ ـ نبذة مفيده فى الرد على القائل بخلق القرآن :

موجودة بدار الكتب المصرية برقم (٢٠٧٤٠) ضمن مجموع من ورقة ٤٤ ـ ٤٦ .

٤ ـ الفرق بين الاسلام والايمان :

توجد منه عدة نسخ كالاتى :

أ ـ نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٦٥١) علم الكلام .

ب ـ نسخة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية مع كتاب آخر للعز وهو شجرة المعارف برقم (٣٨٣) تصوف .

جـ ـ فهرس مكتبة اسكوريال ج ٢ رقم ١٥٣٦/٢ .

د ـ مكتبة قيروان ١٨٤ .

٥ ـ بيان أحوال الناس يوم القيامة :

نسبه اليه رضوان الندوى (١) .

٦ ـ ملحة الاعتقاد أو العقائد :

هذه رسالة مطبوعة ضمن ترجمة العز فى طبقات الشافعية لابن السبكى (٢١٩/٨ ـ ٢٣٤) نقلا عن الشيخ عبد اللطيف بن العز . كما طبع قسم منها ضمن رسالة بعنوان : " ايضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام فى مسألة الكلام " بقلم ابنه الشيخ عبد اللطيف . طبع دار الانوار بالقاهرة سنة ١٣٧٠ هـ .

ومنها نسخة مخطوطة فى مكتبة ليبزغ برقم (٨٨١) (٢) وفى برلين برقم (٢٨٠) (٣).

---

(١) راجع : كتابه " العز بن عبد السلام " ص ٨٣ .
(٢) راجع : العز بن عبد السلام للدكتور رضوان ص ٧٥ .
(٣) راجع : تاريخ الادب العربى لبروكلمان (٤٨٨/١ ـ ٥٥٤) .

وسبب تأليفها مسألة الكلام التى وقع فيها خلاف كبير بينه وبين بعض الحنابلة الذين يقولون فى كلام الله بالصوت والحرف ، وأثروا على الملك الاشرف واعتقد بما يقولون ثم وشوا بالشيخ عنده وقالوا إنه أشعرى لا يقول بالصوت والحرف، ويقول بقول الاشعرى إن الماء لا يروى والخبز لا يشبع والنار لا تحرق فاستهول الاشرف ذلك ، ولم يصدقهم ولكنهم كتبوا بذلك فتيا وقدموها للشيخ فعلم أنها مكيدة له ، ولكنه أصر أن يجب عليها بمر الحق ، فعرضوا ذلك على الاشرف فغضب على الشيخ ونال منه فى مجلسه ، وكان ذلك فى رمضان عند الافطار بحضرة العلماء ولم يتكلموا بشىء خشية من غضب السلطان ، وامتحن الشيخ بسبب هذه الفتنة .اذ كتب اليه الاشرف بالاّ يُفتى ، ولا يجتمع بأحد ، ويلزم بيته ، وبقى على ذلك ثلاثة أيام الى أن ذهب الامام جمال الدين الحصيرى شيخ الحنفية فى زمانه الى الاشرف وبين له أن ما عليه ابن عبد السلام هو "اعتقاد المسلمين وشعار الصالحين ويقين المؤمنين " . فقال الاشرف : " نحن نستغفر الله مما جرى ، ونستدرك الفارطة فى حقه ، والله لاجعلنه أغنى العلماء ، وأرسل الى الشيخ ، واسترضاه ، وطلب محاللته ومخاللته " . راجع تفاصيل ذلك فى المصدرين السابقين . وقد تقدم الاستشهاد بنصوص من هذه الرسالة فى مبحث" اتجاهاته الفكرية فى العقيدة ".

رابعا : الفقه وأصوله :

١ ــ قواعد الاحكام فى مصالح الانام :

هذا الكتاب اسمه فى المصادر القديمة " القواعد الكبرى" ويوجد منه نسخ خطية كثيرة فى مكتبات العالم .(١)

وقد طبع ثلاث طبعات فى جزأين بالقاهرة ، الاولى : طبعة المكتبة الحسينية سنة ١٣٥٣ هـ . والثانية : طبعة المكتبة التجارية .

---

(١) راجع : تاريخ الادب العربى لبروكلمان (١/ ٤٨٨) والعز بن عبد السلام لرضوان الندوى ص ٧٨ ، ٧٩ .

والثالثة : طبعة دار الشرق سنة ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م. وقد اعتمدت على الطبعة الاخيرة ، وتقع فى جزأين فى (٥٢٦) صفحة وفيها أخطاء كثيرة .

وهذا الكتاب جدير بأن يُخرج فى طبعة محققة تحقيقيا علميا خالية من الاخطاء .

وهذا الكتاب وكتاب " الاشارة الى الايجاز " شاهدان بامامة العز وعظيم منزلته فى علوم الشريعة كما قال ابن السبكى . (١)

لذا رأيت أن أتوقف عند هذا الكتاب ، وأتأمل فيه كثيرا ، وأدرس بعض مسائله كما فعلت فى الكتاب الاخر لاتبين إمامة العز وعظمته فى علوم الشريعة . وموضوع هذا الكتاب بيان الاحكام الشرعية باعتبار جلب المصالح ودرء المفاسد .

وقد أوضح العز مقاصد كتابه بقوله (١/ ١٠) : " الغرض بوضع هذا الكتاب بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد فى تحصيلها ، وبيان مقاصد المخالفات ليسعى العباد فى درئها ، وبيان مصالح العبادات ليكون العباد على خبر منها ، وبيان ما يقدم من بعض المصالح على بعض ، وما يؤخر من بعض المفاسد على بعض ، وما يدخل تحت اكتساب العبيد دون ما لا قدرة لهم عليه ولا سبيل لهم اليه ".

وقال فى بيان حقيقة المصالح والمفاسد (١/ ١١ ، ١٢) " المصالح أربعة أنواع : اللذات وأسبابها ، والافراح وأسبابها . والمفاسد أربعة أنواع : الالام وأسبابها والغموم وأسبابها . وهى منقسمة الى دنيوية وأخروية ، فأما لذات الدنيا وأسبابها وأفراحها والامها وأسبابها وغمومها

---

(١) راجع : كتابه " طبقات الشافعية " (٨/ ٢٤٧) .

وأسبابها فمعلومة بالعادات ، ومن أفضل لذات الدنيا لذات المعارف وبعض الاحوال ، ولذات بعض الافعال فى حق الانبياء والابدال ، فليس من جعلت قرة عينه فى الصلاة كمن جعلت الصلاة شاقة عليه ، وليس من يرتاح الى إيتاء الزكاة كمن يبذلها وهو كاره لها .

وأما لذات الاخرة وأسبابها وأفراحها وأسبابها ، وآلامها وأسبابها وغمومها وأسبابها فقد دل عليه الوعيد (١) ، والزجر والتهديد ، وأما اللذات فمثل قوله : (وفيها ما تشتهيه الا نفس وتلذ الاعين) [الزخرف / ٧١] وقوله : (يُطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين) [الصافات / ٤٥ ، ٤٦] واما الافراح ففى مثل قوله تعالى : (ولقاهم نضرة وسرورا) [الانسان/ ١١] وقوله : (فرحين بما آتاهم الله من فضله) [آل عمران/ ١٧٠] وفى مثل قوله : يستبشرون بنعمة من الله وفضل) [آل عمران / ١٧١] .

وأما الالام ففى مثل قوله : (ولهم عذاب أليم) [المائدة/ ٣٦] وقوله : (ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) [ابراهيم / ١٧] وأما الغموم ففى مثل قوله : (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها) [الحج / ٢٢] "

ثم شرع بعد ذلك يذكر قواعد فى المصالح والمفاسد ويقررها بالشرح ثم يوضحها بالامثلة الكثيرة المتنوعة .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره فى اجتماع المصالح المجردة عن المفاسد فقال (١/ ٦٢) : "اذا اجتمعت المصالح الاخروية الخالصة ، فان امكن تحصيلها حصلناها ، وان تعذر تحصيلها حصلنا الاصلح فالاصلح والأفضل فالافضل لقوله تعالى : (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) [الزمر / ١٧ ، ١٨] وقوله : (واتبعوا أحسن ما أُنزل اليكم من ربكم) [الزمر / ٥٥] وقوله : (وأمر قومك يأخذوا

---

(١) هكذا فى المطبوعة ولعل الصواب "الوعد".

بأحسنها) [الاعراف / ١٤٥] فاذا استوت مع تعذر الجمع تخيرنا ، وقد يقرع ، وقد يختلف فى التساوى والتفاوت ، ولا فرق فى ذلك بين المصالح والواجبات والمندوبات . ولهيان الافضل وتقديم الفاضل على المفضول أمثلة :

أحدها : تقديم العرفان بالله وصفاته على الايمان بتلك ، ويقوم الاعتقاد فى حق العامة مقام العرفان ، ويقوم الايمان المبنى على العرفان لتعذر وصول العامة الى العرفان وما يتبعه من الايمان ....." الخ

"المثال الثانى من تقديم الفاضل على المفضول : تقديم بعض الفرائض على بعض كتقديم الصلاة الوسطى على سائر الصلوات".

المثال الثالث : تقديم كل فريضة على نوعها من النوافل ، كتقديم فرائض الطهارات على نوافلها ، وفرائض الصلوات على نوافلها ، وفرائض الصدقات على نوافلها ....." الخ .

وهكذا استمر يذكر أمثلة لتوضيح هذه القاعدة ويفرع عليها فروعا حتى ذكر ثلاثة وعشرين مثالا . فى تقديم الفاضل على المفضول .

وقال فى تساوى المصالح مع تعذر جمعها (ص ٨٨) : "اذا تساوت المصالح مع تعذر الجمع تخيرنا فى التقديم والتأخير للتنازع بين المتساويين ولذلك أمثلة :

أحدها : اذا رأينا صائلا يصول على نفسين من المسلمين متساويين وعجزنا عن دفعه عنهما نتخير .

المثال الثانى : لو رأينا من يصول على بضعين متساويين وعجزنا عن الدفع عنهما فانا نتخير . ولو وجدنا من يقصد غلاما باللواط وامرأة بالزنا ففى هذا نظر وتأمل . فيجوز أن يدفع الزانى ، لان مفاسد الزنا لا يتحقق مثلها فى اللواط ، ولان العلماء اتفقوا على حد الزنا واختلفوا فى حد اللائط .

ويجوز أن يبدأ بدفع اللائط لان جنسه لم يحلل قط ولما فيه من ازلال الذكور وابطال شهامتهم ، ويجوز أن يتخير فى ذلك .

المثال الثالث : لو رأينا من يصول على ما لين متساويين لمسلمين معصومين متساويين تخيرنا ".

وهكذا استمر في التمثيل حتى ذكر احدى عشر مثالا . ثم ذكر فصلا في الاقراع عند تساوى الحقوق فقال (١/ ٩٠) : " وانما شرعت القرعة عند تساوى الحقوق دفعا للضغائن والاحقاد وللرضا بما جرت به الاقدار وقضاه الملك الجبار ، فمن ذلك الاقراع بين الخلفاء عند تساويهم في مقاصد الخلافة ، ومن ذلك الاقراع بين الأئمة عند تساويهم في مقاصد الامامة . ومن ذلك تقارعهم على الاذان عند تساوى المؤذنين . . . " الخ .

ثم ذكر فصلا في اجتماع المفاسد المجردة عن المصالح فقال : (١/ ٩٣) : " اذا اجتمعت المفاسد المحضة فان أمكن دروءها درأنا ، وان تعذر درء الجميع درأنا الأفسد فالافسد والارذل فالارذل ، فان تساوت فقد يتوقف وقد يتخير وقد يختلف في التساوى والتفاوت ، ولا فرق في ذلك بين مفاسد المحرمات والمكروهات ، ولاجتماع المفاسد أمثلة .

أحدها : أن يكره على قتل مسلم بحيث لو امتنع منه قُتل فيلزمه أن يدرأ مفسدة القتل بالصبر على القتل ، لأن صبره على القتل أقل مفسدة من اقدامه عليه ، وان قدر على دفع المكروه بسبب من الاسباب لزمه ذلك لقدرته على درء المفسدة ، وانما قدم درء القتل بالصبر لاجماع العلماء على تحريم القتل واختلافهم في الاستسلام للقتل . فوجب تقديم درء المفسدة للجمع على وجوب درئها على درء المفسدة المختلف في وجوب درئها . وكذلك لو أكره على الزنا واللواط فان الصبر مختلف على جوازه ، ولا خلاف في تحريم الزنا واللواط . . . . . " الخ

وقد استمر في التمثيل على ذلك حتى ذكر سبعة أمثلة .

ثم ذكر فصلا في اجتماع المصالح مع المفاسد فقال (١/ ٩٨) : " اذا اجتمعت مصالح ومفاسد فان أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك امتثالا لامر الله تعالى فيهما لقوله سبحانه وتعالى : (فاتقوا الله ماستطعتم)

[التغابن / ١٦] وان تعذر الدرء والتحصيل فان كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة ولا نبالى بفوات المصلحة قال الله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما) [البقرة / ٢١٩] حرمهما لان مفسدتهما أكبر من منفعتهما .

أما منفعة الخمر فبالتجارة ونحوها ، واما منفعة الميسر فبما يأخذه القامر من المقمور . واما مفسدة الخمر فبازالتها العقول ، وما تحدثه من العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وأما مفسدة القمار فبايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهذه مفاسد عظيمة لا نسبة الى المنافع المذكورة اليها . وان كانت المصلحة أعظم من المفسدة حصلنا المصلحة مع التزام المفسدة ، وان استوت المصالح والمفاسد فقد يتخير بينهما وقد يتوقف فيهما ، وقد يقع الاختلاف فى تفاوت المفاسد " .

ثم ذكر أمثلة على ذلك .

ثم ذكر فصلا فى بيان الوسائل الى المصالح ، فقال (١ / ١٢٣) : " يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها ، فالوسيلة الى المقاصد أفضل من سائر الوسائل ، فالتوسل الى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل الى معرفة أحكامه ، والتوسل الى الجهاد أفضل من التوسل بالسعى الى الجمعات ، والتوسل بالسعى الى الجمعات أفضل من التوسل بالسعى الى الجماعات فى الصلوات المكتوبات ..... " .

ثم ذكر فصلا فى بيان وسائل المفاسد فقال (١ / ١٢٦) : " يختلف وزن وسائل المخالفات باختلاف رذائل المقاصد ومفاسدها ، فالوسيلة الى أرذل المقاصد أرذل من سائر الوسائل ، فالتوسل الى الجهل بذات الله وصفاته أرذل من التوسل الى الجهل باحكامه ، والتوسل الى القتل أرذل من التوسل الى الزنا ، والتوسل الى الزنا أقبح من التوسل الى أكل بالباطل ، والاعانة على القتل بالامساك أقبح من الدلالة عليه ، وكذلك مناولة آلة القتل أقبح من الدلالة عليه ..... " الخ .

وقال فى آخر الجزء الثانى (ص ١٨٩) : " مؤكدا ما سبق من أن الله أمر بكل خير ونهى عن كل شر ، فالخير يعبر به عن جلب المصالح

والشر يعبر به عن جلب المفاسد ، ومن المصالح والمفاسد مالا يعرفه الا كل ذى فهم سليم وطبع مستقيم .

فقال : " ولو تتبعنا مقاصد ما فى الكتاب والسنة لعلمنا أن الله أمر بكل خير دقه وجله ، وزجر عن كل شر دقه وجله ، فان الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد ، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح ، وقد قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) [الزلزلة / ٧ ، ٨] . وهذا ظاهر فى الخير الخالص والشر المحض . وانما الاشكال اذا لم يعرف خير الخيرين وشر الشرين ، أو يعرف ترجيح المصلحة على المفسدة ، أو ترجيح المفسدة على المصلحة أو جهلنا المصلحة والمفسدة ، ومن المصالح والمفاسد ما لا يعرفه الا كل ذى فهم سليم وطبع مستقيم يعرف بهما دق المصالح والمفاسد وجلهما وأرجحهما من مرجوحهما ، وتفاوت الناس فى ذلك على قدر تفاوتهم فيما ذكرته ، وقد يغفل الحاذق الأفضل عن بعض ما يطلع عليه الأخرق المفضول ولكنه قليل .

وأجمع آية فى القرآن للحث على المصالح كلها والزجر عن المفاسد بأسرها قوله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) [النحل / ٩٠] " أ هـ .

وأسلوب الكتاب جيد واضح خالى من تعقيدات الفقهاء فيه سجع غير متكلف ، وأثر التصوف ظاهر عليه ، فنجده فى بعض المواضع يغلب عليه أسلوب الوعظ والخطابة .

ومن أمثلة ذلك ما قاله فى كلام طويل اجتزىء منه قوله (١ / ١٣) : " وعلى الجملة فمن أقبل على الله أقبل الله عليه ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه ، ومن تقرب الى الله شبرا تقرب منه ذراعا ، ومن تقرب منه ذراعا تقرب منه باعا ، ومن مشى اليه هرول اليه ، ومن نسب شيئا الى نفسه فقد

زل وضل ، ومن نسب الأشياء الى خالقها المنعم بها كان فى الزيـــادة لان الله ــ تعالى ــ قال : (لئن شكرتم لازيدنكم)[ابراهيم / ٧] ، (وسنجزى الشاكرين) [آل عمران / ١٤٥] وأفضل ما تقرب بـــــه التذلل لعزة الله والتخضع لعظمته والإ يحاش لهيبته والتبرى من الحول والقول الا به ، وهذا شأن العارفين ومن خرج عنه فهو طريق الجاهليـــن أو الغافلين ، وقد تمت الحكمة ، وفرغ من القسمة ، وسينزل كل أحد فـــى دار قراره حكما عدلا وحقا قصدا وفضلا ، وما ثبت فى القِدم لا يخلفـــــه العدم ، ولا تغيره الهمم بعد أن جرى به القلم وقضاه العدل الحكـــم ، فأين المهرب والى أين المذهب ، وقد عز المطلب ، ووقع ما يذهـــب . فيا خيبة من طلب مالم تجرِ به الاقدار ، ولم تكتبه الأقلام ، يالها مـــن مصيبة ما أعظمها ، وخيبة ما أفحمها ، أين المهرب من الله وأيـــن الذهاب عن الله ، وأين الفرار من قدرة الله ؟ بينما يرى أحدهم قريبـــا دانيا اذ أصبح بعيدا نائيا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حفظـــا ولا رفعا .

بأى نواحى الارض نرجوا وصالكـم
وأنتم ملوك ما لقصدكم نحـــو

والله لن تصل الى شىء الا بالله فكيـف توصل بغيـــره "

وروح العز بارزه فى كتابه هذا ، فالقارىء له يشعر كأن العـــز أمامه يناقش الأقوال ويرجح ويستدل ويرد قول المخالف ، كما يلحـــظ القارىء سعة علمه وقوة جدله فى بيان ما ترجح له .

ومن أمثلة ذلك ما نقله عن الامام مالك ــ رضى الله عنه ــ من أنـــه يفضل المدينة المنورة على مكة المكرمة ، فدلل العز على أن مكة تفضـــل المدينة باثنى عشر دليلا ، ورد على ما استدل به المخالف . راجـــع (١/ ٤٥ ــ ٥٠) .

ويمتاز العز فى كتابه هذا أنه يخرج بعض الاحاديث التى يستـــدل بها . ومن أمثلة ذلك النص الآتى . قال (١/ ٣٥) : " ومما يدل علـــى أن

الثواب لا يترتب على قدر النصب فى جميع العبادات ما روى أبـــو الدرداء عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : ألا انبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق ، وخيـــر لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : بلـــى ، قال : ذكر الله . قال معاذ بن جبل ما شىء أنجا من عذاب الله من ذكـــر الله . رواه الترمذى .

ومما يدل على ذلك ــ أيضا ــ ما رواه أبو هريرة عن النبى ــ صلـى الله عليه وسلم ــ أنه قال : من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان اللـــه وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قـــال مثل ما قال أو زاد عليه . أخرجه مسلم فى صحيحه .

وكذلك قوله عليه السلام فيما رواه أبو هريرة ــ أيضا ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فـــى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيـم . أخرجاه فى الصحيحين .

والحاصل بأن الثواب يترتب على تفاوت الرتب فى الشرف ، فـــان تساوى العملان من كل وجه كان أكثر الثواب على أكثرهما . لقوله تعالـــى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) [الزلزلة / ٧] ".

والكتاب يركز على الاحكام الفقهية يجمعها تحت قواعد أصولية فهـــو من كتب الفقه والاصول ولكنه ــ أحيانا ــ يستطرد فيبحث أمورا فى العقيـدة أو التصوف .

ومن أمثلة ذلك قوله (١ / ١٩٩) : " والحقوق المتعلقة بالقلـــوب أنواع :

النوع الاول : معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وما يجب لها مـــن الأزلية والابدية والاحدية وانتفاء الجوهرية والعرضية والجسمية والاستغنـاء عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن سائر الذوات .

النوع الثانى : معرفة حياته بالأزلية والأبدية والاحدية والاستغناء عن الموجب والموجد والتوحد بذلك عن غيرها من الحياة .

النوع الثالث : معرفة علمه بالازلية والأبدية والأحدية والاستغناء عن الموجب والموجد ، والتعلق بكل واجب وجائز ومستحيل والتوحد بذلك عن سائر العلوم " .

وهكذا استمر يعدد هذه الانواع ويفصلها فذكر أربعة عشر نوعا تتعلق بالتوحيد ، ثم ذكر اختلاف الناس فى صفات الله وخلقه لافعال العباد ، وذكر تفاصيل فى ذلك محلها كتب التوحيد .

وقال فى التصوف (١/ ٢٠٦) : " النوع الرابع والعشرون : الاحوال الناشئة عن معرفة الصفات : اعلم أن الخوف ناشئ عن معرفة شدة النقمة ، والرجاء ناشئ عن معرفة سعة الرحمة ، والتوكل ناشئ عن معرفة تفرد الرب بالضرور والنفع والخفض والرفع ، والمحبة تنشأ تارة عن معرفة الاحسان والانعام وتارة عن معرفة الجلال والجمال ، والمهابة ناشئة عن معرفة كمال الذات والصفات ..... " الخ ..

وهكذا نجده فى أثناء كتابه يبحث أمورا فى العقيدة أو التصوف بل إنه أفرد آخر الجزء الثانى من ص (٢١٢ — ٢٣٨) بفصول فى التصوف.

ويلاحظ فى كتابه تكرار بعض الامور فى مواضع متعددة وقد اعتذر عن ذلك بقوله (١/ ١٦١) : " وانما أتيت بهذه الالفاظ فى هذا الكتاب التى أكثرها مترادفات ، وفى المعانى متلاقيات حرصا على البيان والتقرير فى الجنان كما تكررت المواعظ والقصص والامر والزجر والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وغير ذلك فى القرآن ، ولا شك أن فى التكرير والاكثار من التقرير فى القلوب ما ليس [فى] الايجاز والاختصار ، ومن نظر الى تكرير مواعظ القرآن ووصاياه الفاها كذلك ، وانما كررها الاله لما علم فيها من إصلاح العباد ، وهذا هو الغالب المعتاد ، ولو قلت فى حق العباد هو أن يجلب اليهم كل خير ، ويدفع عنهم كل ضير لكان ذلك جامعا عاما ولكن لا يحصل به من البيان ما يحصل بالتكرير وتنويع الانواع . وكذلك لو قلت فى حق الاله هو أن يطيعوه ولا يعصوه لكان مختصرا عاما ولكن لا يفيد ما يفيده

الاطناب والاسهاب . وكذلك لو قلت فى بعض حقوق المرء على نفسه هو أن ينفعها فى دينها ودنياها ولا يضرها فى أولاها وأخراها لكان ذلك شاملا لجميع حقوق المرء . وقد يظن بعض الجهلة الاغبياء أن الايجاز والاختصار أولى من الاسهاب والاكثار ، وهو مخطىء فى ظنه لما ذكرنا من التكرير الواقع فى القرآن والعادة شاهدة بخطئه فى ظنه ، وما دلت العادة عليه ، وأرشد القرآن اليه أولى مما وقع للاغبياء الجاهلين الذين لا يعرفون عادة الله ولا يفهمون كتاب الله ، وفقنا الله لاتباع كتابه وفهم خطابه " . اهـ .

وخلاصة القول : أن العز بحث فى كتابه هذا مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات ليسعى العباد فى تحصيلها ، ومقاصد المخالفات ليسعى العباد فى درئها .

وطريقته فى ذلك أنه يذكر القاعدة الأصولية فى المصالح والمفاسد ، ويقررها بالشرح ، ثم يوضحها بالأمثلة الفقهية الكثيرة المتنوعة . فهو من كتب الفقه التى تربط الفروع الفقهية بالقواعد الاصولية . وأسلوبه سهل واضح خالى من التعقيدات ، فيه سجع غير متكلف ، وأثر التصوف ظاهر عليه ، فيغلب عليه فى بعض المواضع أسلوب الوعظ والخطابة ، كما أن روحه بارزة فى كتابه ، فهو يناقش الأقوال ويرجحها ويوجه ما يرجحه ، ويرد قول المخالف . كما يلحظ القارىء له سعة علمه وقوة جدله فى بيان ما ترجح له ، وفكره الثاقب الذى يلحظ دقائق الامور .

٢ ـ القواعد الصغرى :

فى هذا الكتاب اختصر العز كتابه السابق " قواعد الأحكام " فترك بعض الفروع الفقهية والاستطرادات والتعليقات ، وما عدا ذلك نجد نفس الكتاب بأبوابه وفصوله وموضوعاته . ويوجد منه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم (٨٤٦) فقه شافعى . (١)

---

(١) راجع : رسالة عبد العظيم فوده " عز الدين بن عبد السلام " ص ١٥٨

ونسخة أخرى فى المكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٦٠) فقـــه شافعى وهناك نسخ أخرى متفرقة فى مكتبات العالم. (١)

٣ ــ الامام فى بيان أدلة الأحكام :

ويذكر فى بعض المصادر بعنوان :الدلائل المتعلقة بالملائكـــة والنبيين عليهم السلام والخلق أجمعين ".

وقد عدهما ابن السبكى كتابين للعز(٢) ، والصواب أنهما اسمـان لكتاب واحد ، والاسم الثانى مكمل للأول ، بدليل ما جاء فى أول الكتاب ، وهو : "بسم الله الرحمن الرحيم . قال الشيخ الامام العالم العلامـــة الحافظ المجتهد الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : هذا بيـان لأدلة الأحكام المتعلقة بالملائكة والمرسلين وسائر العالمين ... "الخ .

وهذا الكتاب مخطوط ، وتوجد منه نسخ متفرقة فى مكتبات العالـم كالاتى :

أ ــ نسخة فى مكتبة برلين برقم(٤٧٨٧) فى (٤٢) ورقة .

ب ــ نسخة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (٣٦) توحيد .

جـ ــ نسخة أخرى بالمعهد برقم(٢٤) فقه شافعى .

د ــ نسخة فى مكتبة جامعة استنبول برقم(١١٩٧) .

وقد اطلعت على هذه النسخة وتقع فى (٥٤) ورقة ، مقاس ١٣×١٨ سم ، وفى الصفحة (١٧) سطرا ، وفى السطر سبع أو ثمان كلمات تقريبا . وخطها واضح ، ورؤوس المواضيع مكتوبة بالحمرة . وعليها تمليك لعبـــد السلام بن قاسم بن موسى بن على رحمه الله .

---

(١) راجع : تاريخ الادب العربى لبروكلمان(١/ ٤٨٨ ــ ٥٥٤) وكتاب رضوان الندوى "العز بن عبد السلام" ص ٨٠ .

(٢) راجع : كتابه" طبقات الشافعية " (٨/ ٢٤٨) .

وموضوع الكتاب بيان وجه دلالة آيات الأحكام على الأحكام من أمر ونهى وتخيير واباحة . وهو من كتب أصول الفقه وقد أخطأ الدكتور رضوان حيث عده من كتب العقيدة(١) . ويدل على ذلك ما سيأتى من نصوص هذا الكتاب .

وقد قسم العز الاحكام الى قسمين فى هذا الكتاب فقال : "والاحكام ضربان : أحدهما : ماكان طلبا لاكتساب فعل أو تركه ، والثانى : ما لا طلب فيه كالاباحة ونصب الأسباب والشرائط والموانع والصحة والفساد وضرب الاجال وتقدير الاوقات والحكم بالقضاء والاداء والتوسعة والتضييق والتعيين والتخيير ونحو ذلك من الاحكام الوضعية الخبرية ".

ثم قسم أدلة الاحكام الى قسمين ، فقال (٣ ق) : "ثم أدلة الاحكام ضربان . أحدهما : لفظى يدل بالصيغة تارة ، وبلفظ الخبر أخرى . والثانى : معنوى يدل دلالة لزوم اما بواسطة ، واما بغير واسطة . فكل فعل طلبه الشارع أوأخبر عن طلبه أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو نصبه سببا لخير عاجل أو آجل فهو مأمور به . وكل فعل طلب الشارع تركه أو اخبر أنه طلب تركه أو ذمه أو ذم فاعله لأجله أو نصبه سببا لشر عاجل أو آجل فهو منهى عنه .

وكل فعل خير الشارع فيه مع استواء طرفيه أو أخبر عن تلك التسوية فهو مباح . ويتصرم عرض هذا الكلام بعشرة فصول . الفصل الاول فى الدلالة اللفظية : اما الصيغة فكقوله تعالى : (خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) [الاعراف / ٣١] فخذوا أمر . وكلوا واشربوا اباحة . ولا تسرفوا نهى ....."الخ

الفصل الثانى فى تقريب أنواع الامر : كل فعل كسبى عظمه الشرع أو مدحه او مدح فاعله لأجله او فرح به او احبه أو أحب فاعله أو رضى به

---

(١) راجع : كتابه "العز بن عبد السلام" ص ٧٦ .

أو رضى عن فاعله أو وصفه بالاستقامة أو البركة أو الطيب أو أقسم بـــــه أو بفاعله ، أو نصبه سببا لمحبته ، أو لثواب عاجل أو آجل أو نصبه سببـا لذكره أو لشكره أو لهدايته أو لارضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه أو لتكفيـــــره أو لقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته ، أووصف فاعله بالطيب أو وصفه بكونـــه معروفا أو نفى الحزن أو الخوف عن فاعله أو وعده بالامن أو نصبه سببـــا لولاية الله تعالى أووصف فاعله بالهداية أو وصفه بصفة مدح كالحيـــاة أو النور والشفاء ، أو دعا الله به الانبياء فهو مأمور به . فنذكر بعـــض أمثلة هذه الانواع ، وهى ثلاثة وثلاثون مثالا .

المثال الاول : تعظيم الفعل وتوقيره (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر / ١٠] (هى أشد وطأ وأقوم قيـــلا) [المزمل / ٧] وكذلك الاقسام بالفعل ضرب من تعظيمه وتوقيـــــره (وانك لعلى خلق عظيم) [القلم / ٤] ....."الخ .

وهكذا استمر فى ذكر بقية الأمثلة ، والفصول ، ويتخلل هـــذه الفصول فوائد كثيرة . ونلاحظ أن هذه الفصول شبيهة بالفصول التى ختـم بها كتابه "الاشارة الى الايجاز فى بعض أنواع المجاز" . فراجع ص ٢٥٩ — ٢٧٦ تجد نفس المادة العلمية مع اختلاف فى طريقة العرض . وقد لاحظت عليه تكرار بعض المواضيع فى كتب أخرى .

وهذا الكتاب يدل على طول باع العز فى أصول الفقه ، وسعة علمه بمقاصد كتاب الله تعالى ، ومعرفته لدلالة الالفاظ واختلافها وتمكنه مـــن اللغة العربية .

٤ — مقاصد الصـــلاة :

وهى رسالة صغيرة توجد منها عدة نسخ متفرقة فى مكتبات العالـم كالاتـــى : —

أ ـ نسخة فى مكتبة باريس برقم(٢ / ١١٧٨) (١)

ب ـ نسخة فى مكتبة اسكوريال برقم (٤ / ٦٧٩) وأخرى برقم(١١٧٨)(٢)

جـ ـ ثلاث نسخ فى دار الكتب المصرية برقم(٢ مجاميع) و(٢٦ مجاميع) و (٣٦٦ مجاميع) .

د ـ نسخة فى مكتبة شهيد على باشا باستنبول برقم(١٣٧٢) وهـذه النسخة تقع فى ثمان ورقات . فى الصفحة (١٩) سطرا ، وفى السطر تسع كلمات تقريبا خطها جيد ، وهى غير مؤرخـة

مقاس = ٢٢ × ١٥ سم .

وموضوعها فضل الصلاة وبيان شرفها وأنها أفضل العبادات بعـد الايمان بالله لانها قد اشتملت من أفعال القلوب واللسان والجوارح ندبـا وفرضا ما لم تشتمل عليه عبادة أخرى وفيها من الأعمال ما هو خاص لله تعالى وخاص بالعبد وخاص بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبالمؤمنين . ثـم فصل ذلك فى سورة الفاتحة التى تقرأ فى الصلاة ، وحديث " قسمـت الفاتحة بينى وبين عبدى قسمين " وهكذا تكلم عن أفعال الصلاة كلها حتـى ختمها بالكلام عن التحيات ومعناها والصلاة على النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ وآله والصلاة على ابراهيم وآله ، ثم أثار اشكالا فقال " فان قيل هـذا يشعر بأن ابراهيم أفضل من نبينا فان المشبه دون المشبه به ولا شـك أن من كانت الصلاة عليه اكثر كان أفضل والجواب عنه من وجهين أحدهما : أنه شبه الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالصلاة على ابراهيـم . والثانى وهو أقرب أنه شبه الصلاة على النبى وآله بالصلاة على ابراهيم وآلـه فيحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولآله من آثار الرحمة والرضوان ما يقارب ما حصل لابراهيم ولآل ابراهيم ومعظم الانبياء من آل ابراهيم ، ثم تنقسم الجملة على محمد وعلى آل محمد ولا يحصل لآل محمد من الجملة ما حصـل لآل ابراهيم لانهم أنبياء ولن يبلغ آل محمد الى مراتب الانبياء فيتوفر ما بقـى من آثار الرحمة الشاملة لابراهيم وآله على محمد ـ صلى الله عليه وسلـم ـ فيكون ذلك مشعرا بأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل من ابراهيم" .

---

(٢٥١) راجع : تاريخ الادب العربى لبروكلمان (١ / ٤٨٨ ـ ٥٥٤) وذيله (١ / ٧٦٦ ـ ٧٦٩) .

وقد ورد ذكر هذه الرسالة بتنويه عظيم فى أخبار الشيخ عبد اللطيف عن والده العز . حيث ذكر أنها قرئت على الملك الاشرف فاستحسنها ، وأمر بتكرار قراءتها كلما دخل عليه أحد من خواصه . ولما دخل عليه الشيخ شمس الدين سبط بن الجوزى ، وكان واعظ زمانه ، ويحضر له الالوف من الناس ناوله إياها فقرأها واستحسنها ، وقال : لم يصنف أحد مثلها ، فأمره الملك بأن يطرز مجلسه بالحديث عنها ، ويحث الناس على قراءتها . فلما علم الناس بها أعجبتهم ، وقصدوا العز يستنسخونها ويسمعونها منه .(١)

٥ ـ الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة ، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة .

هذه رسالة صغيرة طبعت بالمكتب الاسلامى بدمشق بتحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، ومحمد زهير الشاويش ، بعنوان " مساجلة علمية بين الامامين الجليلين العز بن عبد السلام وابن الصلاح " . وقد اشتملت هذه المساجلة على ثلاث رسائل وفتوى للامام النووى ، وهى كالاتى :

أ ـ الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة ، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة للعز بن عبد السلام .

ب ـ الرد على الترغيب عن صلاة الرغائب الموضوعة ، وبيان ما فيها من مخالفة السنن المشروعة لابن الصلاح .

جـ ـ رسالة للعز بن عبد السلام فى تفنيد رد ابن الصلاح .

د ـ فتوى للامام النووى ، ألحقها الناسخ نقلا عن أحد تلامذة النووى ، الشيخ نجم الدين حسن النبهانى .

وقد ذكر ابن السبكى فى ترجمة العز هذه الرسالة(٢) إلا أن فيها نقصا كثيرا عما فى المطبوعة .

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٨/ ٢٣٩) وايضاح الكلام فيما جرى للعز فى مسألة الكلام ص ١١ ـ ١٢ .

(٢) راجع : كتابة " طبقات الشافعية " (٨/ ٢٥١ ـ ٢٥٥) .

وصلاة الرغائب هى اثنتا عشرة ركعة تصلى فى أول ليلة جمعة من شهر رجب ، يقرأ المصلى فى كل ركعة الفاتحة مرة ، وسورة القدر ثلاث مرات ، وسورة الاخلاص اثنتى عشرة مرة ، ويفصل فيها بين كل ركعتين بتسليمه ، فاذا انتهى من صلاته صلى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبعين مرة ، ثم يسجد ويقول فى سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة ، ثم يرفع رأسه فيقول : رب اغفر لى وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الاعظم سبعين مرة ، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال فى السجدة الاولى ، ثم يسأل الله تعالى حاجته ، فانها تقضى .

وقد ورد فى هذه الصلاة حديث مطول ذكره ابن الجوزى فى كتابه "الموضوعات" (٢/ ١٢٤) وقال : "هذا حديث موضوع على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد اتهموا به ابن جهيم ، ونسبوه الى الكذب".

لذا منع منها العز وقال : إنها بدعة مكروهة لان الحديث الوارد فيها موضوع ، ولم يقل بها أحد من العلماء السابقين وأئمة الدين ، وصلاتها على هذا النحو فى ليلة مخصوصة ابتداع فى الدين لا يجوز لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من أحدث فى أمرنا ما ليس فيه فهو رد ، وقوله : كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

أما ابن الصلاح فانه يحبذها ويرغب فيها لأن الناس اعتادوها ، فنهيهم عنها ربما يشغلهم فى غير عبادة . وهى وان كان الحديث الوارد فيها موضوع الا أن الأحاديث الواردة فى الصلاة ، وأنها نور وخير ترشد اليها .

وقد رد عليه العز بأن الأحاديث الواردة فى الصلاة بأنها نور وخير مخصوصة بالصلاة المشروعة ، وصلاة الرغائب مخالفة للصلاة المشروعة ، فهى بدعة مخالفة للشرع وأمور العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع .

٦ ـ مقاصد الصـــوم :

رسالة صغيرة يوجد منها نسخة فى مكتبة اسكوريال برقـــــم (٢/١٥٣٦) [١] . ونسخة أخرى فى معهد مخطوطات جامعة الـــدول العربية برقم(٢٥٣) فقه شافعى . وتقع هذه الرسالة فى خمس ورقـــات تحدث فيها العز عن الصوم وفضائله وفوائده الدنيوية والاخرويـــة ، وما اختص به من الاحكام ، ومكانته عند الله فى الدنيا والاخرة وتطـــرق فى النهاية الى مفسدات الصوم ، وما يوجب منها الكفارة ، وما يوجـــب القضاء وصيام التطوع وأيامه والآثار الواردة فى ذلك . ثم تناول الاعتكـــاف وسننه وآدابه والمرغبات فيه . [٢]

٧ ـ مناسك الحج :

هذه رسالة صغيرة توجد نسخة منها فى مكتبة اسكوريال برقـــم (٦/١٥٣٦) [٣] ، ونسخة أخرى بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم(٢٥٣) فقه شافعى .

وهذه الرسالة تقع فى خمس ورقات تحدث فيها العز عن الحـــج والعمرة ، وآداب السفر وأدعيته المأثورة ، وكيفية الاحرام والتلبية والطواف والسعى ، وأعمال الحج من أولها الى آخرها . [٤]

٨ ـ أحكام الجهاد وفضلـه :

يوجد منه نسخة فى مكتبة برلين برقم(٤٠٨٨) تقع فى ٥٣ ورقـــة

---

(١) راجع : ذيل تاريخ الادب العربى لبروكلمان(١/٧٦٦ ـ ٧٦٩) وكتاب رضوان الندوى " العز بن عبد السلام " ص ٧٧ .

(٢) راجع : رساله على مصطفى " الامام العز بن عبد السلام "(١/٢٣٦)

(٣) راجع : ذيل تاريخ الادب العربى لبروكلمان(١/٧٦٦ ـ ٧٦٩) وكتاب رضوان " العز بن عبد السلام " ص ٧٧ .

(٤) راجع : رسالة على مصطفى " الامام العز بن عبد السلام "(١/٢٣٦)

مقاس = ١٢٫٥ × ١٨٫٥ سم ، وفى الصفحة (١٧) سطرا . وهو كتـــاب مهم كما يظهر من وصفه فى فهرس مكتبة برلين (١) .

٩ ــ الغاية فى اختصار نهاية المطلب فى دراية المذهب لامـــام الحرمين الجوينى (ت ٤٧٨ هـ) :

يوجد منه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم (١٨٩) تقع فى خمسة أجزاء من الحجم الكبير ينقصها الجزء الثالث لا الرابع كما قال رضـــوان الندوى (٢) ويوجد نسخة أخرى فى مكتبة جوته برقم (٩٤٩) بخط المؤلف سنة (٦٤٥هـ) (٣) ويوجد الجزء الاول من نسخة أخرى فى معهـــد مخطوطات جامعة الدول العربية مصور على ميكروفلم عن نسخة خطية فـــى مكتبة سراى أحمد الثالث باستنبول . وقد اختصر العز فى كتابه هـــذا نهاية المطلب فى دراية المذهب لامام الحرمين الذى يقع فى (٢٧) مجلدا وتوجد نسخة خطية منه فى معهد مخطوطات جامعة الدول العربية ينقصها بعض الاجزاء . وقد قام امام الحرمين باختصار كتابه "، وسماه " المعتصـر " وقد اتجهت جهود العلماء الى هذا المختصر شرحا واختصارا ، ولعـــل العز اختصر مختصر امام الحرمين لا كتابه الاصلى (٤) .

وطريقة العز فى اختصاره "أنه يترك التفريعات والاستطرادات البعيدة عن الموضوع ، ويهتم بذكر الموضوع الفقهى تحت باب أو فصـــل خاص ثم يذكر الادلة الواردة فيه ، ثم يذكر أقوال ائمة المذهب وأدلتهم ، وكذلك رأى الامام الجوينى ودليله ، واحيانا نجد الشيخ عز الدين يذكـــر رأيه هو ودليله الذى قد يتفق فيه مع رأى الامام الجوينى ، أو يختلـــف

---

(١) راجع : تاريخ الادب العربى لبروكلمان (١/ ٤٨٨ ــ ٥٥٤) وكتاب رضوان " العز بن عبد السلام " ص ٧٧ .

(٢) راجع : كتابه " العز بن عبد السلام" ص ٧٧ .

(٣) راجع : بروكلمان (١/ ٤٨٨ ــ ٥٥٤) .

(٤) راجع : رسالة على مصطفى " الامام العز بن عبد السلام" (١/ ٢٣٣) وقد اعتمد عليه فى معظم آراء العز التى درسها فى القسم الفقهـــى من رسالته .

معه ، وقد يذكر فى بعض الاحيان رأى الامام الشافعى الذى يختلف معه فيه مع بيان حجته ودليله .

فهو ليس اختصارا تقليديا يعتمد فيه على الكتاب الاصلى فقط ، ولكنه اختصار فيه نوع من الاجتهاد ، بحيث يذكر الاراء ويعلق عليها اما بالموافقة ، أو الرفض مع ذكر الحجة والدليل)" . (١)

١٠ ـ الجمع بين الحاوى والنهاية :

ذكره ابن السبكى ، وقال عنه : " وما أظنه كَمُلَ "(٢) . ولم أعثر على مكان وجوده فى المصادر التى تعنى بذلك ، ولعله مفقود .

وهو كتاب يجمع فيه العز بين الحاوى للماوردى (ت ٤٥٠ هـ) ، الذى يقع فى (٢٣) جزءا ، وتوجد منه نسخة كاملة بدار الكتب المصرية برقم(٨٢) فقه شافعى ، كما توجد منه نسخ غير كاملة وأجزاء متفرقة فى مكتبات العالم . (٣)

وقد طبع منه ما يتعلق بالقضاء فى جزأين بعنوان "أدب القاضى" بتحقيق محى هلال السرحان .

أما "النهاية" فهى نهاية المطلب فى دراية المذهب لامام الحرمين (ت ٤٧٨) ويقع فى (٢٧) مجلدا ، وقد اختصره العز كما سبق بيانه ، وهنا جمع بينه وبين الحاوى .

وهذان الكتابان من أعظم الكتب وأكثرها توسعا فى المذهب الشافعى .

---

(١) راجع : رسالة عبد العظيم فوده "عز الدين عبد السلام وأثره فى الفقه والاصول" ص ١٦١ .

(٢) راجع : كتابه" طبقات الشافعية " (ص ٨/ ٢٤٨) .

(٣) راجع : مقدمة تحقيق كتاب "أدب القاضى " للسرحان ، وقد ذكر أسماء هذه المكتبات وأرقام الكتاب فيها .

١١ ـ شرح منتهى السؤ ل والامل فى علمى الاصول والجد ل لا بى عمـرو ابن الحاجب المالكى (ت ٦٤٦هـ)

نسبه الى العز رضوان الندوى . (١)

خامسا : الفتاوى :

١ ـ الفتاوى الموصليـــة :

يوجد منها نسختان فى المكتبة الظاهرية بدمشق ، الاولى برقـــم (٧٨٢٦) تقع فى (٢٣) ورقة ، فى الصفحة (٢٤) سطرا ـ وفى السطر عشر كلمات تقريبا ، مقاس ١٧ × ١٢ر٥ سم . نسخت سنة ٧٦٧ هـ ،وخطـها جيد .

والنسخة الثانية برقم (٦٩٦٢) ضمن مجموع من ورقة (٤٤ ـ ٧٠) فى الصفحة ٢١ سطرا ، وفى السطر ١٧ كلمة تقريبا مقاس ٥ر٢١ × ٥ره١سم نسخت سنة ٨٧٨ هـ . خطها ردىء ، رؤوس المسائل مكتوبة بالمـــــداد الاحمر .

ويوجد نسخة ثالثة فى مكتبة برلين برقم(٤٩٨٦) (٢) .

ونسخة رابعة بدار الكتب المصرية برقم(١٤ مجاميع) اشتملت عليهـا وعلى الفتاوى المصرية كما سيأتى .

وقد أجاب العز بهذه الفتاوى على تسعين سؤالا وردت من خطيب الموصل شمس الدين عبد الرحيم الطوسى سنة(٦٥٤) بالقاهرة . وهـــى متضمنه معظم أبواب الفقه ، ويتخللها أسئلة قليلة فى علم الكلام والحديـــث والتفسير وموضوعات أخرى .

---

(١) راجع : كتابه " العز بن عبد السلام " ص ٨٠ .

(٢) راجع : بروكلمان (١/ ٤٨٨ ـ ٥٥٤) وكتاب رضوان " العز بـــن عبد السلام " ص ٧٨ .

٢ ـ الفتاوى المصريـــة :

توجد نسخة منها فى دار الكتب المصرية برقم(١٤ مجاميـــع)
وقد اشتملت على " الفتاوى الموصلية " أيضا .

ونسخة أخرى فى مكتبة برلين برقم(٤٩٨٦) (١)

وهذه الفتاوى أجوبة على أسئلة فى الفقه والتفسير وعلم الكـــلام ، وموضوعات أخرى .

سادسا : التصـــــوف :

١ ـ شجرة المعارف والاحوال وصالح الأقوال والاعمال :

هذا الكتاب فى التصوف ، قال عنه ابن السبكى : " حسن جدا "
وتوجد منه النسخ الآتية :

أ ـ نسخة فى مكتبة برلين برقم(٢٣٠٤) تقع فى (١٥١) ورقة مقـاس = ١٦ ٢/٣ × ٢٤ ١/٢ سم . (٢)

ب ـ نسخة فى مكتبة اسكوريال برقم(١/١٥٣٦) (٣) .

جـ ـ نسخة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقـــم (٣٨٣) تصوف .

(وقد تكلم العز فى هذا الكتاب على صفات الله وكيفية توحيـــده وتنزيهه ، والوجه الأسلم فى ذلك ، وكيفية التخلق بصفات الله سبحانـــه وتعالى . وجاء هذا الكتاب فى عشرين بابا وفصولا تمهيدية .

تكلم فى الفصول التمهيدية عن القربات وآداب القرآن ، وبيـــان فضائل الأعمال الظاهرة والباطنة ، وبيان رتب الوسائل والأسباب وثمـــرات

(١ ، ٢ ، ٣) راجع : المصدر السابق .

المعارف وفوائدها وما يتفاضل به العباد . وهذه الفصول موجـــــودة في مقدمة وخاتمة كتابه « قواعد الاحكام في مصالح الانام » .

ثم تكلم في الباب الاول في التخلق بصفات الرحمن على حســـب الامكان .....

أما الباب الثاني فقد تكلم فيه عن كل صفة من صفات الرب مـــــع ذكر دليلها وثمرة معرفتها وكيفية التخلق بها .

وفي الباب الرابع تكلم عما يتعلق بالقلوب والجوارح من الأحكـام من المأمورات والمنهيات والمعفوات والمباحات .

أما الباب الخامس ففي المأمورات الباطنة . وفيه ستة وخمســـون ومائة فصل . تتعلق بكل ما أمر الله به من الاعمال الباطنة كالتوكل علـــى الله ، والتعزز بالله ، والتذلل لاولياء الله ، وذكر الدليل على كل خلـق من هذه الاخلاق من القرآن والسنة .

وأما الباب السادس فقد تكلم فيه عن المنهيات الباطنة كالجهـــل بما يجب تعلمه ، وانشراح الصدر بالباطل ، وفي محبة الكفار والأنـداد ، وما شابه ذلك . وتكلم فيه في ثلاثة ومائة فصل .....

وأما الباب الثامن عشر في تعرف المصالح والمفاسد وما يقدم فيهـا عند التعارض وهذا تكرار لما هو موجود في أول كتاب" قواعد الاحكام " .

وفي الباب التاسع عشر تكلم عن حسن العمل بالظنون الشرعيـــة ، وهو تكرار لما هو موجود في قواعده أيضا .

وختم الكتاب بالباب العشرين في الورع في العبادات والمعامـلات) انتهى باختصار. (١)

---

(١) راجع : رسالة الدكتور علي مصطفى" الامام العز بن عبد السلام " (١/ ٢٤٧ — ٢٤٩) .

وقد اشتبه هذا الكتاب على الباحث عبد العظيم فودة[1] بكتاب عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسى (ت ٦٧٨ هـ) . وهو بعنوان "الشجرة" أو "شجرة الايمان" ، وقد اطلع على نسخة منه برقم (٢٦٠ فنون متنوعة) فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فراح يُعرف به وينقل نصوصا منه على أنه كتاب شيخى العز بن عبدالسلام السلمى ، ومما نقله منه قوله : "إنى نظرت الى الكون وتكوينه فرأيت الكون كله شجرة أصل بذرتها من حبة (كن) " ، وأما فروع هذه الشجرة وثمارها " فهو ما يحدث فى الكون من الحوادث كالنقص والزيادة والغيب والشهادة والكفر والايمان والطاعة والعصيان ....." الخ .

وقد قابلت ما نقله من نصوص ، وما قاله عن هذا الكتاب فوجدته منطبقا على نسخة مصورة عندى من مكتبة جامعة استنبول برقم (٣٨١٦) AY لكتاب عز الدين المقدسى فتبين لى ما وقع فيه من الاشتباه والوهم .

٢ ـ الفتن والبلايا والمحن والرزايا :

ويوجد فى مصادر قديمة أُخرى بعنوان "فوائد البلوى والمحن" توجد منه نسخة فى مكتبة اسكوريال برقم (١٥٣٦/٧) ونسخة مصورة فى معهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة برقم (٤٩٧ توحيد) .

ونسخة أخرى بالمعهد مع مجموع برقم (٢٥٣ فقه شافعى) وهى رسالة صغيرة تقع فى ورقتين ، ذكر فيها العز الفوائد التى يجنيها المسلم من جراء اصابته بالبلايا والرزايا والمحن والمصائب . وذكر سبعة عشرة فائدة ، منها معرفة ذلة العبودية وكسرها ، ومعرفة الربوبية وقهرها ، والاخلاص لله اذ لا مرجع فى دفع الشدائد الا اليه ، والانابة الى الله والاقبال عليه ".[2]

---

(١) راجع : رسالته "عز الدين بن عبد السلام وأثره فى الفقه والاصول" ص ١٤٨ .

(٢) راجع : رسالة على مصطفى "الامام العز بن عبد السلام وأثره فى الفقه الاسلامى" (١/ ٢٥٠) .

٣ ـ رسالة فى القطب والابدال الاربعين :

بين العز فى هذه الرسالة بطلان قول الناس فيهم ، وعـــدم وجودهم كما زعموا ، ومن الذين أشاروا اليها حاجى خليفة[1] ، ولم أعثـــر على مكان وجودها .

٤ ـ مقاصد الرعاية لحقوق الله للحارث المحاسبى :

ذكره ابن السبكى فى طبقاته ، وتوجد منه نسخة فى تشستربنـــى برقم(٢ / ٣١٨٤) [2] .

٥ ـ مسائل الطريقة فى علم الحقيقة :

هذه رسالة صغيرة تقع فى (١١) صفحة مطبوعة بمصر ضمن كتـــاب "تحفة الاخوان " لاحمد الدردير وقد اشتهرت بالستين مسألة ،لانها عبارة عن أسئلة فى التصوف والجواب عنها بعبارة موجزة ، وقد بين العز أهميـــة هذه المسائل والغرض منها بقوله : " فهذه مسائل حقيقية مأخوذة مـــن علم التوحيد يجب على كل متصوف أن يعرفها ، لأنهم قالوا من تشرع ولـــم يتحقق فقد تفسق ، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ، وقد جمعتهـــا ليكون المسئول حاضر الجواب " .

ومن هذه العبارة يتضح منهجه فى التصوف ، وهو الجمع بيـــن الشريعة والحقيقة ، وذم الفصل بينهما ، كما سبق بيانه فى " مبحـــث اتجاهاته الفكرية فى التصوف " .

واليك بعض المسائل من هذا الكتاب حتى يتضح لك اسلوبـــه وموضوعه :

---

(١) راجع : كتابه "كشف الظنون " (١ / ٨٨٣) .
(٢) راجع : رسالة على مصطفى " الامام العز بن عبد السلام " (١ / ٢٥٠)

" مسألة " : اذا قيل لك : ما الايمان ، وما رأس الايمان ، وما وسط الايمان ، وما شجرة الايمان ، وما ماء الايمان ، وما نهر الايمان ؟

فالجواب : أن تقول : الايمان هو الصدق . ورأسه التقوى . ووسطه الطاعة واليقين . وعروقه الصلاة والاخلاص ، وشجرته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وغصنه التوحيد وثمرته الزكاة . وأرضه المؤمنون ، وماؤه كلام الله ، ونهره العلم .

مسألة : إن قيل لك : لكل شئ جوهرة ، وجوهرة الانسان العقل ، وما جوهرة العقل ؟

فقل : جوهرة العقل الصبر ، والعمل بحركات القلوب عند مطالعة الغيوب . وأصل الطاعة الورع . وأصل الورع التقوى . وأصل التقوى محاسبة النفس بالخوف والرجاء من الله تعالى .

مسألة : إن قيل لك : ما الذى يجب على الشيخ فى حق المريد ، وما الذى يجب على المريد فى حق الشيخ ؟

فالجواب أن تقول : على الشيخ ثلاثة أشياء : التسليك فى البداية والتبليغ فى النهاية . والحفظ فى الرعاية . والمريد يجب عليه ثلاثة أشياء : امتثال أمره وكتمان سره وتعظيم قدره ".

سابعا : السيرة :

١ ـ بداية السول فى تفضيل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

هذه رسالة صغيرة ، توجد منها عدة نسخ متفرقة فى المكتبات كالاتى :

أ ـ أربع نسخ بدار الكتب المصرية برقم (٢ ، ٢٦ ، ٢٠٧ مجاميع) و (٥٠ حديث) .

ب ـ نسخة فى مكتبة برلين برقم (٢٥٦٨) [1]

---

(١) راجع : بروكلمان (١/ ٤٨٨ ـ ٥٥٤) .

جـ ــ نسخة فى مكتبة اسكوريال برقم(٥/ ١٤١١) وعنوانها "غايـــات الاصول فيما سنح من تفضيل الرسول " .

د ــ نسختان فى معهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقـــم (٤٧ توحيد) و (٧٨ تاريخ) .

وهذه الرسالة تقع فى خمس ورقات تقريبا ، وقد ذكر العز فيهـــا اثنين وثلاثين وجها لتفضيل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ على سائـــر المخلوقات .

ومن الوجوه التى ذكرها فى تفضيل الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما يلى : ــ

أ ــ أن الله أخبره بأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولم ينقـــل أنه أخبر أحدا من الانبياء بمثل ذلك .

ب ــ أنه أول شافع وأول مشفع ، وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله .

جـ ــ أن الله أقسم بحياته (لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهـــــون) [الحجر / ٧٢] ، للدلالة على شرف حياته وعزتها عند اللـــه عز وجل .

د ــ أن الله سبحانه ناداه بأحب أسمائه وأسمى صفاته بقولـــــه : (يا أيها النبى) (يا أيها الرسول) وهذه الخصيصة لم تثبـت لغيره ، فجميع الانبياء ناداهم الله بأسمائهم المجردة ،يا ابراهيم يا موسى ..... الخ .(١)

وهكذا استمر العز يذكر وجوه تفضيل النبى محمد ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ على سائر الخلق ومكانته عند الله ، ويرى أن هذه الأدلة اشـــارات تكفى العاقل الذكى لمعرفة منزلة الرسول عليه السلام ، ويدعو فى النهايـــة الى اتباعه فى سنته وطريقته وجميع أخلاقه .

---

(١) راجع : رسالة عبد العظيم فوده "عز الدين بن عبد السلام" ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

٢ ـ قصة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم :

توجد نسخة منها فى مكتبة برلين برقم(٩٦١٤) (١) H .

ثامنا : علوم أخـــرى :

١ ـ مجلس فى ذم الحشيشة :

يوجد منه نسخة فى مكتبة برل (ليدن) برقم(٢/١٠٥٦) (٢)

٢ ـ نهاية الرغبة فى أدب الصحبة :

يوجد منه نسخة فى مكتبة باريس برقم(٢٥/١١٧٦) (٣)

٣ ـ ثلاثة وثلاثون شعرا فى مدح الكعبة :

يوجد منها نسخة فى مكتبة برلين برقم(٦٠٦٨) (٤) .

ولعل هذه الابيات نُسبت اليه خطأ كما نسب اليه كتب أخـــرى ـ وسيأتى بيان ذلك ـ لان ابن السبكى روى عن الامام فخر الدين عثمـــان ابن بنت أبى سعد أن العز أنشد بيتا من لفظه لنفسه للطلبة ، وقال لهم : أجيزوه ، ولا يعرف له من النظم غيره ، وهو :

لو كان فيهم من عراه غـــرام ما عنفونى فى هواه ولامـــوا (٥)

كما أن المصادر القديمة لم تذكر هذه الابيات ضمن مؤلفاته رغـــم حرصها على ذكر جميع مؤلفاته .

---

(١) راجع : تاريخ الادب العربى لبروكلمان(١/٤٨٨ ـ ٥٥٤) .
(٢) راجع : ذيل كتاب بروكلمان(١/٧٦٦ ـ ٧٦٩) وكتاب رضـــوان "العز بن عبد السلام" ص ٨٣ .
(٣) راجع : المصدرين السابقين .
(٤) راجع : المصدرين السابقين .
(٥) راجع : كتابه " طبقات الشافعية " (٨/٢٤٦)

٤ ـ ترغيب أهل الاسلام فى سكنى الشام :

هذه رسالة صغيرة تقع فى (١٦) صفحة ، مطبوعة بالمطبعة التجارية بالقدس فى ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٣٥٩ هـ الموافق ٢٦ حزيران سنة ١٩٤٠ م بتحقيق أحمد سامح الخالدى الدير ى ، وقد اعتمد فى نشرها على نسخة المكتبة الخالدية المخطوطة فى ربيع الاول سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩م)

وقال المحقق عن اهمية هذه الرسالة : إنها " ترجع أولا : لقرب عهد المؤلف بالسلطان صلاح الدين ـ ثانيا : لانه جاء ذكرها غير مرة فى كتاب " اتحاف الاخصا فى فضائل المسجد الاقصى " للشمس السيوطى المتوفى سنة ٩٠٦ هـ وقد نقل عنها الاتحاف فهى مصدر مهم عن الشام وفضائله ، واعتقد أن صاحب مثير الغرام استعان بها وان لم يذكرها . وكذلك الانس الجليل والمنينى فى كتابه الاعلام فى فضائل الشام وغيرهم . ثالثا : لانها تبين لنا إحدى الاتجاهات الفكرية فى الحروب الصليبية فقد اراد بها المؤلف أن يشيد بذكر الشام وخطره وما ورد فيه من الايات لتشجيع المسلمين على سكناه والتمسك به والمدافعة عنه " ص ٣ ، ٤ .

وقد ذكر المحقق ترجمة مختصرة عن العز نقلا عن طبقات ابن السبكى .

وقد اشتملت هذه الرسالة على أحاديث وأخبار الله أعلم بصحتها فكان الاولى بالمحقق ، بل هو من منهج التحقيق أن يخرج هذه الاخبار ويعرف بالاعلام الواردة فى هذه الرسالة ، واليك نموذجا من هذه الرسالة حتى يتضح لك أسلوب العز وموضوعه ، قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم (ص ٧ ، ٨) " فان الله جعلنا من أهل الشام الذى بارك فيه للعالمين وأسكنه الانبياء والمرسلين والاولياء والمخلصين والعباد والصالحين وحفه بملائكته المقربين وجعله فى كفالة رب العالمين وجعل أهله على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم الى يوم الدين وجعله معقل المؤمنين وملجأ الهاربين ، ولا سيما دمشق الموصوفة فى القرآن المبين بأنها ربوة ذات قرار ومعين ، وكذا روى عن سيد المرسلين وجماعة من المفسرين . وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لاعزاز الدين ونصرة الموحدين وقتل الكافرين وابادة الملحدين وبغوطتها عند الملاحم فسطاط المسلمين .

ثم شرع بعد ذلك فى ذكر الايات والاحاديث والاخبار التى تدل على فضل الشام .

المبحث الثانى

كتب نُسبت اليه

١ ـ كشف الاشكالات عن بعض الآيات :

هذه رسالة صغيرة موجودة بدار الكتب المصرية برقم (٨٣٦) وتقع فى (١٢) ورقة مخطوطة بخط رقعة جيد . وقد نسبها مفهرس الدار الى العز بن عبد السلام . وفيها ورقة من مدير الدار يرجو من القراء ذكر المؤلف الحقيقى لهذه الرسالة .

وقد حققها الدكتور رضوان الندوى ، وأخرجها فى ملحق لكتاب العز " فوائد فى مشكل القرآن " ونبه على أنها ليست للعز وانما هى تعقيب عليه من أحد العلماء المتأخرين عنه ، واستدل على ذلك بأنه ورد فيها نقل عن أبى السعود المفسر ، وهو متأخر عن العز .

ثم اجتهد فى التعرف على المؤلف فترجح له أنه ناسخها " اسماعيل بن الشيخ محمد الشاش " .

ولكنى عثرت على نسخة أخرى فى الدار برقم (٢٩٧) تيمورية مكتوب عليها اسم المؤلف الحقيقى مع العنوان كالاتى : " أجوبة على استشكالات وقعت للعز بن عبد السلام تأليف محمد بن أحمد بن عبد الهادى " المتوفى سنة (٧٤٤ هـ) . مخطوطة سنة ١٣١٧ هـ بخط جميل واضح وناسخها : " اسماعيل بن الشيخ محمد الشاش " وتقع فى عشر ورقات . وعليها ختم مكتوب فيه : " وقف على أحمد بن على بن محمد تيمور بمصر " . وقد اشتملت على ثمانية عشر اشكالا ، وقعت للعز ، وقد أجاب عنها المؤلف من عنده وتارة ينقل من الكشاف للزمخشرى ، أو المغنى لابن هشام ، أو أبى السعود .

وأولها : " الحمد لله الذى أهلنى لكشف القناع عن وجوه المشكلات من معانى كتابه العظيم ، وأوصلنى الى استجلاء عرايس

الخفيات من مباني نظمه الكريم والصلاة والسلام على سيد الكل في الكل محمد المبعوث بالدين القويم ، وعلى آله وأصحابه الذين عرجوا معارج التكريم ما تفتحت أكمام المسايل بنسيم الفكر المستقيم . وبعد فقد وقفت على أسئلة نفيسه لسلطان العلماء العز بن عبد السلام تتعلق بكلام الملك العلام فسرحت النظر فيها ....." الخ .

٢ ـ العماد في مواريث العباد :

هذا الكتاب مخطوط من تأليف الشيخ عز الدين بن أحمد بن محمد بن عبد السلام المصري الشافعي المنوفي (١) ، وقد ذكر في بطاقات فهرس المخطوطات الظاهرية برقم (٦٦٩٠) من بين مؤلفات شيخي العز بن عبد السلام ، وهذا خطأ ، وسببه تشابه الاسمين . وقد سها عنه الاستاذ الباحث عمر رضا كحالة فنقل هذا الخطأ في كتابه " معجم المؤلفين" في ترجمة شيخي العز. (٢)

٣ ـ فرائد الفوائد وتعارض القولين لمجتهد واحد :

هذا الكتاب ذكره بروكلمان من بين مؤلفات شيخي العز بن عبد السلام ، وذكر أنه موجود بمكتبة برلين برقم (٤٣٥٩) وفهرس دار الكتب المصرية (٥٣٢/١) (٣) . وتابعه في ذلك رضوان الندوي وقد رجعت الى فهرس الدار ، واطلعت على هذا الكتاب فوجدته من تأليف شمس الدين بن محمد السلمي الشافعي الشهير بالمناوي . فنِسْبَتُه الى شيخي العز خطأ ، وسببه اشتراك الاسمين في " السُلمي ".

---

(١) راجع : كشف الظنون لحاجي خليفة (٩١١/٢) .
(٢) راجع : كتاب رضوان الندوي" العز بن عبد السلام" ص ٨٤ .
(٣) راجع : كتابه " تاريخ الادب العربي " (٤٨٨/١ ـ ٥٥٤) .

٤ ـ حل الرموز ومفاتيح الكنوز :

هذا كتاب صغير قد اشتمل على فصول فى التصوف وسبب تأليفه حل الرموز التى يستعملها المتصوفة مما فيه غموض بشكل ظاهره عند غيرهم .

وقد ذكره بروكلمان ضمن مؤلفات شيخى العز بن عبد السلام وذكر له نسخة مخطوطة فى رام بور بالهند برقم(١/ ٣٣٥)[1] . وقد طبع هذا الكتاب بمطبعة جريدة الاسلام فى مصر سنة ١٣١٧ هـ ، كما طبع بالمطبعة اليوسفية بطنطا . وقد نُسب الى شيخى العز فى كلا الطبعتين ، وكُتبت عليه ترجمته . والصواب أنه لعز الدين بن عبد السلام ابن الشيخ أحمد المقدسى الواعظ (ت ٦٧٨هـ) لاننى قد اطلعت على ثلاث نسخ مخطوطة لهذا الكتاب فى مكتبة جامعة استنبول واحدة برقم(٣٦٢٣) Ay وأخرى برقم(٢٧٨٦) Ay ، وثالثة برقم(١٤٦٨) Ay وكلها مكتوب عليها اسم المؤلف الحقيقى للكتاب وهو عز الدين المقدسى .

كما يوجد نسخ أخرى للكتاب فتوجد نسخة بمكتبة بايزيد باستنبول برقم(٣٣٢٩/ ٦٨) ونسخة أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم(١٦) تصوف ونسخة أخرى بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم(١٤٣) توحيد ، وهذا الخطأ فى نسبة الكتاب قد أوقع بعض المترجمين لشيخى العز فى الوهم ، فذكروه من بين مؤلفاته فى التصوف ، وعلى أنه يمثل اتجاهه الفكرى ومسلكه فى التصوف . وممن وقع فى ذلك الدكتور على صافى حسين[2] ومحمود رزق سليم[3] ، ومحمد حسن عبد الله[4] ، وعبد العظيم فوده[5] ،

---

(١) راجع : ذيل كتابه "تاريخ الادب العربى" (١/ ٧٦٩) .
(٢) راجع : كتابه "ابن دقيق العيد حياته وديوانه" ص ٥٠ .
(٣) راجع : كتابه "عصر سلاطين المماليك وانتاجه العلمى والادبى" ص ٣٠
(٤) راجع : كتابه "عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك" ص ١٧٣ وما بعدها .
(٥) راجع : رسالته للماجستير "عز الدين بن عبد السلام" ص ١٤٠ ـ ١٤٥ .

ومحمود الشرقاوى [1] وقد أطنبوا فى الكلام على تصوف العز من خلال هذا الكتاب ، وحاول محمد حسن أن يوفق بين ما جاء فى هذا الكتاب من تفريق بين الحقيقة والشريعة وبين ما جاء فى كتاب العز " قواعد الاحكام " الذى جمع فيه بين الحقيقة والشريعة .

كما أن الدكتور رضوان الندوى نسبه اليه فى كتابه " العز بن عبد السلام " ص ٨١ ، ولكنه تنبه الى ذلك الخطأ فنسبه الى مؤلفه الحقيقى فى مقدمة تحقيقة لكتاب العز " فوائد فى مشكل القرآن " .

٥ ــ كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار :

هذا الكتاب لعز الدين بن عبد السلام بن أحمد المقدسى الواعظ . وقد ذكره رضوان الندوى [2] ضمن مؤلفات شيخى العز ، وهذا خطأ ، وسببه تشابه الاسمين . وهذا الكتاب مطبوع فى رجب سنة ١٢٨٧ هـ بمطبعة وادى النيل ، وعليه اسم مؤلفة الحقيقى " عز الدين المقدسى " ويقع فى (٨٠) صفحة ، وهو كتاب طريف كتبه مؤلفه موعظة لاهل الاعتبار ، وتذكره لذوى الابصار والاستبصار فأكثر فيه من ضرب الامثال وذكر الحكايات والاشعار والالغاز كما اشتمل على فوائد فى اللغة والنحو .

٦ ــ نخبة العربية فى ألفاظ الاجرمية فى النحو :

هذا الكتاب نسبة الدكتور رضوان الندوى الى العز اعتمادا على كتاب " ايضاح المكنون " [3] . والصواب أنه لغيره وقد حقق ذلك الدكتور

---

(١) راجع : كتابه " سلطان العلماء " ص ٦٧ ــ ٧١ .
(٢) راجع : كتابه " العز بن عبد السلام " ص ٧٧ .
(٣) راجع كتابه " العز بن عبد السلام " ص ٨٣ .

على الفقير فقال : " ومما يؤيد أنه ليس من مؤلفات إمامنا العز أن ابن آجروم مؤلف متن الاجرومية كان قد ولد عام (٦٧٢ هـ) أى بعد وفاة الامام العز باثنى عشر عاما ومن المستحيل أن يكون امامنا العز قد شرح الاجرومية بعد وفاته ، فلا بد من أن يكون غيره هو الشارح .

وقد ذكر هذا صاحب كشف الظنون فقال : مقدمة الاجرومية فى النحو لابى عبد الله محمد بن محمد أبى داود الصنهاجى المعروف بابن اجروم .

ثم قال : وشرحها أحمد بن محمد بن عبد السلام شرحين أحدهما سماه (النخبة العربية فى حل ألفاظ الاجرومية)والاخر سماه (الجواهر المضية فى حل الفاظ الاجرومية) [1]

---

(١) راجع : رسالته " الامام العز بن عبد السلام" (١/ ٢٥٤ ، ٢٥٥) .

الباب الثانى

دراسة تفسير العز

يتكون من تمهيد وثلاثة فصول :

التمهيد : التعريف بتفسير الماوردى والعز

الفصل الاول : مصادر تفسير الماوردى وتأثر المفسرين به .

الفصل الثانى : منهج العز فى تفسيره المختصر .

الفصل الثالث : مقارنة بين تفسيرى العز .

التمهيـــــد

التعريف بتفسير المـــاوردى والعـــز

١ ـ التعريف بتفسير الماوردى " النكت والعيون " :

بدأت بالتعريف بتفسير الماوردى لأن تفسير العز اختصار لـــه ، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم اقتصر فيه مؤلفه على تفسير ما خفى مـــن آيات القرآن الكريم ، أما الجلى الواضح فتركه لفهم القارئ ، وقد جمـــع فيه بين أقاويل السلف والخلف ، كما أضاف الى ذلك ما ظهر له من معنـــى محتمل .

ورتبه ترتيبا بديعا ، فهو يحصر الأقوال الكثيرة فى تأويل الآيـــة فى عدد ، ثم يفصلها الأول فالثانى فالثالث . . . الخ . وينسب كل قـــول الى قائله غالبا ، مع توجيه لبعض الأقوال وترجيح ، كما أنه يترك كثيـــرا منها بدون توجيه وترجيح .

وقد اعتنى فيه بالتفسيرات اللغوية ، فيذكر أصول الكلمـــات ، ويوضحها بضرب الأمثال ، والاستشهاد عليها بالشعر ، ويربطها بالمعنـــى المراد من الآية فى عبارة موجزة ناصعة البيان .

قال الماوردى مبينا لمنهجه[1] : " ولما كان الظاهر الجلى مفهومـــا بالتلاوة ، وكان الغامض الخفى لا يعلم الا من وجهين [نقل وا][2] جتهاد ، جعلت كتابى هذا مقصورا على تأويل ما خفى علمه ، وتفسير ما غمض تصـــوره ، جعلته جامعا بين أقاويل السلف والخلف ، وموضحا عن المؤتلف والمختلف ، وذاكرا [ما سنح][3] به الخاطر من معنى محتمل ، عبرت عنه بأنه محتمـــل ليتميز ما قيل مما قلته ، ويعلم ما استخرج مما استخرجته ، وعدلت عما ظهـــر معناه من فحواه اكتفاء بفهم قارئه وتصور تاليه من أقرب مأخذا وأسهل مطلبا ،

---

(١) راجع مقدمة تفسيره (ق ١/ ١ ب) .
(٢ ، ٣) ما بين المعكوفين من (ك ١/ ١ ب) وقد سقط من (ق) .

وقدمت لتفسيره فصولا تكون لعلمه أصولا ، يتضح منها ما اشتبه تأويلـــه ، وخفى دليله ، وأنا استمد من الله ــ تعالى ــ حسن معونته ، وأسألـــه الصلاة على محمد وآله وصحابته ".

ولا يزال هذا التفسير مخطوطا ، وقد نال شهرة كبيرة ، لانتشار نسخه الخطية فى الشرق والغرب ، ونقل من جاء بعده من المفسرين عنه ، كالقرطبى الذى اعتمد عليه كثيرا وابن الجوزى والفخر الرازى وغيرهـــم . كما أن بعض العلماء قام باختصاره وتهذيبه . فقد ذكر حاجى خليفـــة [1] ، أن الشيخ أبا الفيض محمد بن على بن عبد الله الحلى قد اختصره ، ولكـــن هذا المختصر لم يصل الينا . ولم يذكر حاجى ـ خليفة اختصار العزلـــه .

٢ ــ التعريف بتفسير العـــز :

هو اختصار لتفسير الماوردى ولم يبين العز سبب اختصاره ، ولا منهجه فى الاختصار . فلم يزد فى مقدمته على قوله : "الحمد لله رب العالميـــن ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله " ثم شرع فى الاختصار .

ولعل سبب اختصاره ما يلى :

١ ــ قيمة تفسير الماوردى العلمية وأهميته ونفاسته .

٢ ــ ما فيه من تطويل يحتاج الى اختصار وتهذيب .

٣ ــ مجاراة للعصر الذى عاش فيه العز ، فقد كثرت فيه المختصرات ، لأن العلوم قد كملت تقريبا ونضجت . فالمطلع على مؤلفات العز يجـــد أن بعضها مختصرات ، حتى أنه اختصر كتابه " قواعد الأحكـــام " فى كتاب " القواعد الصغرى".

وهكذا شاعت المختصرات فى هذا العصر . كما سبق بيانه فى الحالة العلمية فى عصر العز .

وقد حافظ العز فى اختصار تفسير الماوردى على ما امتاز به مـــن جمع أقاويل السلف والخلف فى تفسير الآية ، ولكنه لا يحصرها فى عدد ثـــم

---

(١) انظر : كتابه "كشف الظنون" (١/٤٥٨).

مفصلا الاول فالثانى فالثالث .... الخ . كالماوردى . فالعز يذكرها ولعله بتصرفه هذا يميل الى ترجيح ما قدمه . ويترك نسبة كثير من الأقوال التى نسبها الماوردى الى قائليها ، ويترك تفسير بعض الآيات التى فسرها الماوردى ، أو يقتصر على تفسير جزء منها . ولا يعتنى بالقراءات كعناية الماوردى .

كما أنه يحذف صورة الاشكال أو صيغة السؤال التى أوردها الماوردى على بعض الآيات ، فيقتصر العز على ايراد الجواب فقط . ويختصر بعض أسباب النزول التى أطال فيها الماوردى فى عبارة موجزة تؤدى الغرض .

والماوردى ـ أحيانا ـ يستطرد فى ذكر بعض الاخبار الاسرائيلية ، أو تفصيل بعض الاحكام الفقهية . ولكن العز يهذب ذلك فى عبارة مختصرة كما اعتنى العز بالتفسيرات اللغوية التى امتاز بها تفسير الماوردى ، فذكرها فى عبارة موجزة مفصلة واضحة تاركا بعض الاستطرادات التى لا لزوم لها ، وقد اقتصر على بعض الشواهد الشعرية ، ولم يكثر منها كالماوردى .

وهكذا قدم العز تفسير الماوردى فى أسلوب جيد فى أقرب عبارة وأخصرها متوخيا الدقة فى ذلك حتى أنه يقتبس لفظ الماوردى فى بعض الحالات .

ولم يزد على تفسير الماوردى شيئا الا ما ندر من تعقيب أو توجيه وقد ميز ذلك بقوله : " قلت " مبالغة فى الدقة ، والامانة العلمية . لذا لم تبرز شخصيته فى هذا المختصر اللهم الا فى الأسلوب ، وطريقة عرض المعلومات وترتيبها .

هذا تعريف موجز بتفسير العز مقارنا بتفسير الماوردى ، أدخل منه الى بيان مفصل لمصادر الماوردى ، وتأثر المفسرين به ومنهج العز فى تفسيره الذى اختصر فيه تفسير الماوردى وقيمته العلمية .

الفصل الأول

مصادر تفسير الماوردى وتأثر المفسرين بـــه

يتكون من المباحث الآتية :

١ ـ مصـــادره .

٢ ـ اتهامه بالاعتزال وموقف العز منه .

٣ ـ تأثر المفسرين بـه .

المبحث الأول

مصادره

في هذا المبحث سأبين مصادر الماوردى التى استمد منها تفسيره، وهى مصادر تفسير العز ـ أيضا ـ لأنه اختصار لتفسير الماوردى ، فالعز قد نقل عنها بواسطته . لذا كان من الضرورى بيانها باعتبارها مقدمة لابد منها لدراسة المنهج الذى سار عليه العز فى تفسيره .

وقد استمد الماوردى مادة تفسيره من مصادر كثيرة ومتنوعة ، منها مصادر فى القراءات ، ومصادر فى التفسير بالمأثور ، ومصادر فى اللغة والنحو ، ومصادر أخرى جمعت بين التفسير بالمأثور والمعقول .

وسأذكر أهم هذه المصادر ، وأبين طريقة استفادته منها مقارنا ذلك باختصار العز .

أولا : مصادره فى القراءات :

الماوردى يذكر القراءات السبع ، أو الشاذة فى بعض الآيات ، ويبين معناها ووجهها ، ولكنه لا يشير الى المصادر التى نقل عنها .

ولعله اعتمد فى ذلك على كتب القراءات التى كانت موجوده فى عصره ككتاب القراءات الشاذة لابن خالوية (ت ٣٧٠ هـ) وكتاب "الحجة فى علل القراءات السبع "لابى على الحسن بن أحمد الفارسى (ت ٣٧٧ هـ) ، وكتاب "المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها "لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، وكتاب "التبصرة فى القراءات السبع " و "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها "لمكى بن أبى طالب القيسى (ت ٤٣٧ هـ) ، وقد ذكر مكى : أنه : ألف كتاب "التبصرة " بالمشرق سنة (٣٩١ هـ) (١) .

---

(١) انظر : مقدمة كتابه "الكشف عن وجوه القراءات السبع " (١/ ٣) .

ولعله استفاد ـ أيضا ـ من كتب أبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى (ت ٤٤٤ هـ) ، فهى كتب كثيرة ، ألفها فى القراءات السبع والشاذة ، مثل كتاب " التيسير فى القراءات السبع " و " جامع البيان فى القراءات السبع " و " المحتوى فى القراءات الشواذ " وغيرها .

ثانيا : مصادره فى التفسير بالمأثور :

يُعتبر تفسير الطبرى (ت ٣١٠) : " جامع البيان عن تأويل آى القرآن " من أهم مصادره فى التفسير بالمأثور ، فغالب ما نقله من الاحاديث ، وأسباب النزول ، وأقوال الصحابة والتابعين نقله منه .

ومنهج الطبرى فى ذكر اختلاف المفسرين أنه يلخص أقوال المفسرين المتفقه ثم يرويها ، ثم بعد ذلك يلخص أقوال آخرين مخالفة لأقوال السابقين ثم يرويها ، وهكذا حتى ينهى ما جمعه من الأقوال المختلفة ، ثم يرجح ما يراه ، ويدلل عليه ، ويرد ما خالفه .

وقد تأثر الماوردى بالطبرى كثيرا ، فهو ينقل تلخيصه للأقوال بتصرف ، وأحيانا بالنص ، ثم ينسبها الى من رواها عنه الطبرى ، وقد يتابعه فى ترجيحه لبعض الأقوال ، فينقل عبارته بتصرف وقد يتعقبه ، كما أنه ينقل عنه أقوال من يسميهم الطبرى بـ (أهل البحث ، أو الكلام) ولا ينسب ما نقله عنه اليه الا قليلا . واليك أمثلة توضح طريقة استفادته من الطبرى ، وتأثره به :

١ ـ مثال لترجيحه ما رجحه الطبرى دون الاشارة اليه :

قال الماوردى (د ١/ ٤٠ ـأ) وتابعه العز مرجحين نسخ حكم قوله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) [البقرة / ٢١٧] فقالا : " وتحريم ذلك محكم عند عطاء [يعنى ابن أبى رباح] منسوخ على الأصح ، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزا هوازن وثقيفا ، وأرسل أبا عامر الى أوطاس فى بعض الأشهر الحرم ، وبايع على قتال قريش بيعة الرضوان فى ذى القعدة " انتهى بعبارة العز .

هذا الترجيح قد سبق اليه الطبرى ، واليك عبارته حتى يتضح لك تأثر الماوردى به ونقله لعبارته بتصرف ، مع ترك الاشارة اليه :

قال الطبرى مرجحا : " والصواب من القول فى ذلك ما قاله عطاء ابن ميسرة من أن النهى عن قتال المشركين فى الأشهر الحرم منسوخ بقوله جل ثناؤه : (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا .....) . [التوبة / ٣٦] .

وانما قلنا ذلك ناسخ لقوله : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) [البقرة / ٢١٧] لتظاهر الأخبار عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف ، وأرسل أبا عامر الى أوطاس لحرب من بها من المشركين فى بعض الاشهر الحرم ، وذلك فى شوال وبعض ذى القعدة ، وهو من الاشهر الحرم .

فكان معلوما بذلك أنه لو كان القتال فيهن حراما وفيه معصية كان أبعد الناس من فعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخرى أن جميع أهل العلم بسير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا تتدافع أن بيعة الرضوان على قتال قريش كانت فى ذى القعدة ....." الخ (١) .

فاقرأ ترجيح الطبرى وقارنه بترجيح الماوردى يتضح لك أنه هو مع اختصار فى العبارة ، وتجده استدل بنفس أدلة الطبرى ، وساقها حسب ترتيبه وهى " لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزا هوازن وثقيفا وأرسل أبا عامر الى أوطاس ... الخ " وهذا الترجيح فيه نظر ، راجع التعليق على هذه الآية فى تفسير العز .

٢ ـ مثال لتعقيبه على قول الطبرى :

ذكر الماوردى (ق ١/١١٩ ب) فى تفسير قوله تعالى : (واهجروهن فى المضاجع) [النساء / ٣٤] خمسة أقوال ونسب القول

---

(١) راجع : تفسيره (٤/٣١٤) طبع دار المعارف .

الأخير الى الطبرى ، فقال الماوردى : " ..... والخامس : هو أن يربطها بالهجار ، وهو حبل يربط به البعير ليقرها على الجماع ، وهو قول أبى جعفر الطبرى واستدل برواية ابن المبارك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله نساؤنا ما نأتى منها وما نذر قال : حرثك فاتى حرثك أنى شئت غير أن لا تضرب الوجه ، ولا تقبح(١) ولا تهجر الا فى البيت ، وأطعم اذا طعمت واكس اذا اكتسيت ، كيف وقد أفضى بعضكم الى بعض . وليس فى هذا الخبر دليل على تأويله دون غيره ". (٢)

٣ ـ مثال لنقله تلخيص الطبرى لأقوال المفسرين :

قال الماوردى (ق ١/ ٨٥ ب) فى تفسير قوله تعالى : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخَرُ متشابهات) [آل عمران / ٧] :

" اختلف المفسرون فى تأويله على خمسة أقاويل : أحدها : أن المحكم الناسخ ، والمتشابه المنسوخ ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

والثانى : أن المحكم ما أحكم الله بيان حلا له وحرامه ، فلم تشتبه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه ، وهذا قول مجاهد .

والثالث : أن المحكم ما لم يحتمل من التأويل الا وجها واحدا . والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجها ، وهذا قول محمد بن جعفر بن الزبير .

والرابع : أن المحكم الذى لم تتكرر الفاظه . والمتشابه الذى تكررت ألفاظه ، وهذا قول ابن زيد .

والخامس : أن المحكم ما عرف العلماء تأويله وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لهم الى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه ، كقيام الساعة ، وطلوع الشمس

---

(١) فى تفسير الطبرى (٨/ ٣١٠) معارف "ولا تقبح ".
(٢) راجع : المصدر السابق (٨/ ٣٠٢ ـ ٣٠٩).

من مغربها وخروج عيسى ونحوه ، وهذا قول جابر بن عبد الله " .

فالماوردى قد لخص عبارة الطبرى فى القول الاول والرابع ، ونقل نصها تقريبا فى بقية الأقوال ، والتزم بترتيبه للأقوال ولم يشر اليه . ونقل العزعبارة الماوردى بتصرف قليل جدا . واليك عبارة الطبرى حتى يتضح لك ذلك :

وهى قوله : "وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخَرُ متشابهات) وما المحكم من آى الكتاب ، وما المتشابه منه ؟ .

فقال بعضهم : المحكمات من آى القرآن المعمول بهن وهن الناسخات ، أو المثبتات الأحكام . والمتشابهات من آية المتروك العمل بهن ، المنسوخات . ذكر من قال ذلك : "

ثم رواه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقتادة والربيع والضحاك ثم قال : "وقال آخرون : المحكمات من آى الكتاب : ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه . والمتشابه منها : ما أشبه بعضه بعضا فى المعانى وان اختلفت الفاظه . ذكر من قال ذلك : ".

فرواه عن مجاهد .

ثم قال : "وقال آخرون : المحكمات من آى الكتاب : ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد . والمتشابه منها : ما احتمل من التأويل أوجها . ذكر من قال ذلك " فرواه عن محمد بن جعفر بن الزبير .

ثم قال : "وقال آخرون : معنى المحكم : ما أحكم الله فيه من آى القرآن ، وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا اليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته . والمتشابه : هو ما اشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرير فى السور ، بقصه باتفاق الالفاظ واختلاف المعانى ، وبقصه باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى . ذكر من قال ذلك ".

فرواه عن ابن زيد .

وفناء الدنيا ، وما اشبه ذلك ، فان ذلك لا يعلمه أحد" .

ثم قال : "وهذا قول ذُكر عن جابر بن عبد الله بن رئـــاب" ثم رجح هذا القول (١) .

٤ ـــ مثال لنقله ما نقله الطبرى عمن يسميهم أهل البحث :

قال الماوردى (ق ١/٧٥ب) فى تفسير قوله تعالى : (اللـــه لا اله الا هو الحى القيوم) [البقرة / ٢٥٥] : "الحى فيه ثلاثـــة تأويلات : أحدها : أنه سمى نفسه لصرفه الامور مصارفها . وتقديـــره الأشياء مقاديرها ، فهو بالتقدير حى لا بحياة .

والثانى : أنه حى بحياة هى له صفة .

والثالث : أنه اسم من أسماء الله تسمى به فقلناه تسليما لأمره "اهـ

وهذا نص عبارة الطبرى تقريبا ، ولم يذكر الماوردى أنه نقله عنـــه بينما القرطبى نقل بعض هذا النص فى تفسيره (٣/ ٢٧١) ونسبه الـــى الطبرى عن قوم . واليك عبارة الطبرى حتى يتضح لك الامر :

وهى قوله : "وقد اختلف أهل البحث فى تأويل ذلك . فقـــال بعضهم : انما سمى الله نفسه حيا لصرفه الامور مصارفها ، وتقديره الأشيـاء مقاديرها ، فهو حى بالتدبير لا بحياة .

وقال آخرون : بل حى بحياة هى له صفة .

وقال آخرون : بل ذلك اسم من الاسماء تسمى به ، فقلنا تسليما لامره(٢) اهـ

---

(١) راجع تفسيره (٦/ ١٧٤ ـ ١٨٠) طبعة المعارف .

وقال آخرون : بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به ، فقلنـــــا تسليما لأمره "(١) أ . هـ .

وقد اختصر العز هذا النص فى عبارة موجزة مع تقديم القول الثانى على الاول . راجعها وقارنها بأصل النص فى الطبرى ، أو المـــاوردى تجدها صالحة أن تكون اختصارا لنص كل واحد منهما .

٥ ــ مثال لنقله نص عبارة الطبرى أو تلخيصها :

قال الماوردى (ق ١/١٢٤ ــأ) فى قوله تعالى : (كلمـــا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) [النساء/ ٥٦] : "فان قيـل وكيف يجوز أن يبدلوا جلودا غير جلودهم التى كانت لهم فى الدنيا فيعذبوا فيها ولو جاز ذلك لجاز أن يبدلوا أجساما وأرواحا غير أجسامهم وأرواحهم التى كانت فى الدنيا ، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون المعذبون فى الآخـــرة بالنار غير الذين وعدهم الله فى الدنيا على كفرهم العذاب بالنار؟ فقـــد أجاب أهل العلم عنه بثلاثة أجوبة :

احدها : أن ألم العذاب انما يصل الى الانسان الذى هـــــو غير الجلد واللحم ، وانما يحرق الجلد ليصل الى الانسان ألم العـــذاب ، أما الجلد واللحم فلا يألمان ، فسواء أعيد على الكافر جلده الذى كان عليـــه فى الدنيا أو جلد غيره .

والجواب الثانى : أنه تعاد تلك الجلود الاولى محترقة .

والجواب الثالث : أن الجلود المعادة انما هى سرابيلهم من قطران جعلت لهم لباسا فسماها الله جلودا . وأنكر قائل هذا القول أن تكـــــون الجلود تحترق وتعاد غير محترقة لأن فى حال احتراقها الى حال اعادتهـــا فناءها وفى فنائها راحتها ، وقد أخبر الله عنها أنها لا تموت ولا يخفـــف عنهم العذاب" أ . هـ.

---

(١) راجع ؛ تفسيره (٥/٣٨٧) طبعة المعارف .

فالماوردى ذكر السؤال بنفس عبارة الطبرى عدا تصرف قليل جدا وذكر الجواب الاول بنص عبارة الطبرى تقريبا . واختصر الجواب الثانى والثالث .

وراجع تفسير العز تجده حذف السؤال كعادته فى مثل هذه المواضع . وذكر الجواب الاول بعبارة الطبرى تقريبا ، واختصر الجواب الثانى والثالث بنفس اختصار الماوردى تقريبا .

واليك عبارة الطبرى حتى يتضح لك ذلك .

وهى قوله : "فان سأل سائل فقال : وما معنى قوله جل ثناؤه : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) ؟ وهل يجوز أن يبدلوا جلودا غير جلودهم التى كانت لهم فى الدنيا فيعذبوا فيها ؟ فان جاز ذلك عندك ، فأجز أن يبدلوا أجساما وأرواحا غير أجسامهم وأرواحهم التى كانت لهم فى الدنيا فتعذب ، وان أجزت ذلك لزمك أن يكون المعذبون فى الآخرة بالنار ، غير الذين أوعدهم الله العقاب على كفرهم به ومعصيتهم إياه ، وأن يكون الكفار قد ارتفع عنهم العذاب .

قيل : إن الناس اختلفوا فى معنى ذلك .

فقال بعضهم : العذاب انما يصل الى الانسان الذى هو غير الجلد واللحم وانما يحرق الجلد ليصل الى الانسان ألم العذاب وأما الجلد واللحم فلا يألمان . قالوا : فسواء أعيد على الكافر جلده الذى كان له فى الدنيا أو جلد غيره ....." . وقال آخرون : بل الجلود تألم واللحم وسائر أجزاء جرم بنى آدم . واذا أحرق جلده أو غيره من أجزاء جسده وصل ألم ذلك الى جميعه . قالوا : ومعنى قوله : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) بدلناهم جلودا غير محترقة ، وذلك أنها تعاد جديدة ، والاولى كانت قد احترقت فأعيدت غير محترقة ....."

" وقال آخرون : معنى قوله : (كلما نضجت جلودهم) سرابيلهم بدلناهم سرابيل من قطران غيرها فجعلت السرابيل من القطران لهم جلودا ..... قالوا : وأما جلود أهل الكفر من أهل النار فانها لا تحترق لأن فى احتراقها ـ الى حال اعادتها ـ فناءها ، وفى فنائها راحتها . قالوا : وقد أخبر

الله تعالى ذكره عنها : أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم من عذابها ... " الخ (١) .

هذا وهناك أمثلة كثيرة تركتها خشية التطويل . ومن هذه الأمثلة نستنتج أن الماوردى اعتمد كثيرا على تفسير الطبرى فى المأثور ،وأحيانا فى الرأى . فهو ينقل عبارته نصا أو بتصرف أو باختصار ، وأحيانا يرجح مايرجحه الطبرى . ولا يشير اليه ، وأحيانا يتعقبه .

ثالثا : مصادره اللغوية والنحوية :

استمد الماوردى مادته اللغوية والنحوية من مصادر كثيرة ومتنوعة . منها مصادر جمعت بين اللغة والنحو ، ولها صلة وثيقة بالنص القرآنى ، كالكتب التى ألفت فى معانى القرآن وغريبه ومجازه ، ومنها كتب لغوية ونحوية بحتة . فنقل عن الكسائى (ت ١٨٣ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) والاخفش (ت ٢١٠ هـ) وثعلب (ت ٢٥١ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) والمفضل بن سلمة بن عاصم (ت ٢٩١ هـ) والزجاج (ت ٣١١ هـ) ولهم كلهم مؤلفات فى " معانى القرآن " .

ونقل عن مؤرج بن عمر السدوسى (ت ١٩٥ هـ) وله كتاب " غريب القرآن " ، وعن محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) وله كتاب " اعراب القرآن " و " مجاز القرآن " ، وعن معمر بن المثنى أبى عبيدة (ت ٢١٠ هـ) وله كتاب " مجاز القرآن " ، وعن ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وله كتاب " غريب القرآن " و " تأويل مشكل القرآن " ، وعن عيسى بن على الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) وله " الجامع لعلم القرآن "(٢) ورسالة فى اعجاز القرآن .

---

(١) راجع : تفسيره (٨/ ٤٨٥ — ٤٨٧) طبعة المعارف .

(٢) هذا التفسير مخطوط يوجد منه الجزء السابع بمكتبة باريس برقم (٢٦٥٢٣) وقطعة من الجزء (١٢) فى (١٥٠) ورقة مصورة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية عن نسخة مكتبة المسجد الاقصى برقم (٢٩) ويوجد منه " تفسير جزء عم " بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية .

كما نقل نقولا قليلة عن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) وسيبوية (ت ١٨٠ هـ) وعمرو بن العلاء (ت ٢٥٤ هـ) . وينقل عن هـــؤلاء جميعا ولا يشير الى كتبهم ، وقد عزوت بعض هذه النقول الى مصادرها .

واليك أمثلة توضح طريقة استفادته من هذه المصادر .

١ ــ نقل الماوردى (ق ١/٩٤ ب) عن الكسائى والفراء فـــى تفسير قوله تعالى : (أو يحاجوكم عند ربكم) [آل عمران / ٧٣]: فقال: "فيه قولان : أحدهما : يعنى ولا تؤمنوا أن يحاجوكم عند ربكم لانـــه لا حجة لهم ، وهذا قول الحسن وقتادة . والثانى : أن معناه حتـــى يحاجوكم عند ربكم على طريق التبعيد ، كما يقال : لا تلقاه أو تقـــوم الساعة ، وهذا قول الكسائى والفراء "أ . هـ .

٢ ــ نقل الماوردى (ق ١/١٢ ب) عن الخليل والأخفـــش فى تفسير قوله تعالى : (إياك نعبد)[الفاتحة / ٥] فقـــال : "قوله : (إياك) فهو كناية عن اسم الله تعالى ، وفيه قولان : أحدهما : أن اسم الله تعالى مضاف الى الكاف وهذا قول الخليل . والثانى : أنهـا كلمة واحدة ، كنى بها عن اسم الله تعالى ، وليس فيها إضافة ، لأن المضمر لا يضاف ، هذا قول الأخفش"أهـ .

٣ ــ نقل الماوردى (ق ١/٥٢ ب) عن الاخفش والزجـــاج وأبى عبيدة والمبرد وثعلب فى تفسير قوله تعالى : (ومن يرغب عن ملـــة ابراهيم الا من سفه نفسه) [البقرة / ١٣٠] فقال : "فيه ثلاثة تأويـلات أحدها : أن ذلك سفه نفسه أى فعل بها السفه ما صار به سفيها ، وهـــذا قول الاخفش . والثانى : أنها بمعنى سفه فى نفسه فحذف حرف الجـــر كما حذف من قوله (ولا تعزموا عقدة النكاح) [٢٣٥] أى على عقدة النكاح وهذا قول الزجاج . والثالث : أنها بمعنى أهلك نفسه وأوبقها ، وهـــذا قول أبى عبيدة . قال المبرد وثعلب : سَفِه بكسر الفاء يتعدى ، وسَفُـــه بضم الفاء لا يتعدى"أهـ .

وقد نقل العز هذا النص فحذف نسبة التأويلات الثلاثة . ونسـب قول المبرد وثعلب اليهما . وهذا من الامثلة على ترك العز نسبة كثير مـــن الأقوال الى أصحابها .

٤ ـ نقل الماوردى (ق ١/ ٢٠ ب) عن المفضل بن سلمة فى تفسير قوله تعالى : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) [البقرة / ٢٥] فقال : " والجنات جمع جنة ، وهى البستان ذو الشجر ، وسمى جنة لأن ما فيه من شجر يستره . وقال المفضل : الجنة كل بستان فيه نخل ، وان يكن فيه شجر غيره(١) وان كان غيره (٢) ، وان كان فيه كرم فهو فردوس كان فيه شجر غير الكروم أو لم يكن ".

٥ ـ نقل الماوردى (ق١/١٧٦ ب) عن الزجاج فى تفسير قوله تعالى : (ولتنذر أم القرى) [الانعام /٩٢] فقال : " وأم القرى مكة ، وفى تسميتها بذلك ثلاثة أقاويل: أحدها : لأنها مجتمع القرى كما يجتمع الاولاد الى الام . والثانى : لأنها أول بيت وضع بها فكأن القرى نشأت عنها قاله السدى . والثالث : لأنها معظمة كتعظيم الام قاله الزجاج " أ هـ .

٦ ـ نقل الماوردى (ق ١/١١٦ ـ أ) عن سيبوية فى تفسير قوله تعالى : (إن الله كان عليما حكيما) [النساء / ٢٤] فقال : " فيه ثلاثة أقوال : أحدها ، كان عليما بالأشياء قبل خلقها ، حكيما فى تقديره وتدبيره لها ، وهذا قول الحسن . والثانى : أن القوم شاهدوا علما وحكمة ، فقيل لهم : إنه كان كذلك لم يزل ، وهذا قول سيبويه . والثالث أن الخبر عن الماضى يقوم مقام الخبر عن المستقبل ، وهذا مذهب الكوفيين " أ هـ .

---

(١) هكذا فى (ق) وفى اختصار العز " وان لم يكن فيه شجر غيره "

(٢) قوله : " وان كان غيره " لعلها زيادة من الناسخ لان النص يستقيم بدونها . وليست موجودة فى اختصار العز .

٧ ــ نقل الماوردى (ق ١/ ٤١ ب) عن عمرو بن العلاء فى تفسير قوله تعالى : (وان يأتوكم أسارى تفادوهم) [البقرة / ٨٥] فقال : "فقرأ حمزة (أَسرى) ، وفى الفرق بين أَسرى ، وأُسارى قولان : أحدهما : أن أَسرى جمع أَسير ، وأُسارى جمع أَسرى . والثانى : أن الأُسارى الذين فى وثاق ، والأَسرى الذين فى اليد وان لم يكونوا فى وثاق ، وهذا قول أبى عمرو بن العلاء ".

وراجع جميع الأقوال السابقة فى اختصار العز فقد نقلها نصا أو بتصرف .

٨ ــ نقل الماوردى (ق ٢/ ١٢٥ ــ أ) عن مؤرج فى تفسير قوله تعالى : (وانهما لبإمام مبين) [الحجر / ٧٩] فقال : "فيه تأويلان أحدهما لبطريق واضح قاله قتادة ، وقيل للطريق إمام لأن المسافر يأتم به حتى يصل الى مقصده . والثانى : لفى كتاب مستبين قاله السدى ، وانما سمى الكتاب إماما لتقدمه سائر الكتب ، وقال مؤرج : هو الكتاب بلغة حمير ، ويعنى بقوله (وانهما) أصحاب الايكة وقوم لوط " أ هـ .

وقد نقل العز هذا النص بتصرف وترك نسبة قول قتادة والسدى .

٩ ــ نقل الماوردى (ق ٢/ ٢٣ ب) عن قطرب ، وابن قتيبة فى تفسير قوله تعالى : (وتودون أن ذات الشوكة تكون لكم) [الانفال / ٧] فقال : "وفى الشوكة التى كنى بها عن الحرب وجهان : أحدهما : أنها الشدة فكنى بها عن الحرب ، لما فيها من الشدة ، قاله قطرب . والثانى : أنها السلاح من قولهم : رجل شاكٍ فى السلاح ، فكنى بها عن الحرب لما فيها من السلاح قاله ابن قتيبة .

وقد نقل العز القولين باختصار ، ولم ينسبها .

١٠ ــ نقل الماوردى (ق ٢/ ٦٦ ب) عن على بن عيسى فى تفسير قوله تعالى : (ويبغونها عوجا) [هود / ١٩] فقال : "فيه ثلاثة أوجه : أحدها : يعنى يرجون بمكة غير الاسلام دينا قاله أبو مالك .

والثانى : أن يبغوا محمدا هلاكا قاله السدى .

والثالث : أن يتأولوا القرآن تأويلا باطلا قاله على بن عيسى " أ هـ .

وقد نقل العز هذه الأقوال الثلاثة بالنص تقريبا ولم ينسبها كعادته فى ترك نسبه كثير من الأقوال .

رابعا : مصادره الفقهية :

كان الماوردى شافعى المذهب ، ورئيسا لجماعة الشافعية فى عصره ، فيمثلهم ويتكلم باسمهم . وكان متبحرا فى المذهب ، فقد ألف فيه " الحاوى " الذى يقع فى أكثر من عشرين جزءا . وقد أثر هذا فى تفسيره ، فتجده يعنى بذكر أقوال الامام الشافعى فى المسائل الفقهية ، ويرجحها كما يشير الى أقوال أئمة المذاهب الاخرى كالامام أبى حنيفة ، والامام مالك ، وداود الظاهرى ، ولم أجد فيه ذكرا لأقوال الامام أحمد بن حنبل . ولعله فى هذا متأثر بالطبرى ، فانه يشير الى أقوال أئمة المذاهب عدا الامام أحمد ، لأنه ـ فى نظره ـ محدث لا فقيه .

واليك أمثلة توضح عنايته بذكر أقوال أئمة المذاهب :

١ ـ نقل الماوردى (ق ١/٥٩ ـ أ) عن أبى حنيفة والشافعى ومالك فى تفسير قوله تعالى : (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) [البقرة /١٥٨] فقال : " ورفع الجناح من أحكام المباحات دون الواجبات ، فذهب أبو حنيفة الى أن السعى بين الصفا والمروة غير واجب فى الحج والعمرة تمسكا بأمرين : أحدهما : (فلا جناح عليه أن يطوف بهما)ورفع الجناح من أحكام المباحات دون الواجبات . والثانى : ابن عباس وابن مسعود قرأا : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) .

وذهب الشافعى ومالك وفقهاء الحرمين الى وجوب السعى فى النسكين تمسكا بفحوى الخطاب ، ونص السنة ، وليس فى قوله : (فلا جناح عليه) دليل على اباحته دون وجوبه لخروجه على سبب ، وهو أن الصفا كان عليه فى الجاهلية صنم اسمه (إساف) وعلى المروة صنم اسمه (نائلة) ..... " الخ .

راجع البقية فى اختصار العز ، وقارن تجده قد حذف بعض هذا النص اختصارا ، وذكر بعضه بعبارة موجزة ، ولم ينسب قول الشافعى ومالك وهذا ـ أيضا ـ من الامثلة على تركة نسبة كثير من الأقوال الى قائليها .

٢ ـ نقل الماوردى (ق ١/ ٦٢ ـ أ) عن داود الظاهـــرى فى تفسير قوله تعالى : (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزيـــر [البقرة / ١٧٣] فقال : " ولحم الخنزير فيه قولان : أحدهمـــا : أن التحريم مقصور على لحمه دون غيره اقتصارا على النص ، وهذا قـــول داود بن على . والثانى : أن التحريم عام فى جملة الخنزير ، والنص علـــى اللحم ينبهه على جميعه لأنه معظمه ، وهذا قول الجمهور " أ هـ.

خامسا : مصادر أخـــرى :

وهناك مصادر أخرى استمد منها الماوردى تفسيره . فقد نقـــل عن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة (١٤٦ هـ) وله " تفسير القرآن " و " تفسير الآى الذى نزل فى أقوام بأعيانهم " و " ناسخ القرآن ومنسوخه " .

ونقل عن مقاتل بن سليمان المتوفى سنة (١٥٠ هـ) ، ولـــه تفسير كامل للقرآن ، جمع فيه بين المأثور والمعقول ، ويعتبر أقدم تفسيـــر كامل للقرآن وصل الينا [1] وله " تفسير خمسمائة آية من القرآن الكريـــم " وكتاب " الاشباه والنظائر فى القرآن الكريم " [2] .

ونقل عن محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة المتوفى سنـــة (١٥١ هـ) بعض أسباب النزول وتفسير بعض الآيات .

ونقل عن سهل بن عبد الله التُسْتَرِى المتوفى سنة (٢٨٣ هـ) وله " تفسير القرآن العظيم " وهو تفسير صوفى مختصر مطبوع .

---

(١) طبع منه الجزء الاول بتحقيق د . عبد الله شحاته ، وباقيه مطبوع بالاستنسل بتحقيقه ـ أيضا ـ موجود فى مكتبة جامعة القاهرة .

(٢) مطبوع بتحقيق د . عبد الله شحاته .

وقد نقل عن هؤلاء ولم يشر الى كتبهم ، واليك أمثلة توضح طريقة استفادته من هذه المصادر :

١ ـ نقل الماوردى (ق ١/١٥٣ ـ أ) عن الكلبى ومقاتل فى تفسير قوله تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) [المائدة / ٦٤] فقال : " قال الكلبى ومقاتل : القائل لذلك فنحاص وأصحابه من يهود بنى قينقاع . (غلت أيدهم) فيه قولان : أحدهما : أنه قال : ذلك الزامـا لهم البخل على مطابقة الكلام . قاله الزجاج [1] والثانى : أن معناه : غلت أيدهم فى جهنم على وجه الحقيقة قاله الحسن . (ولعنوا بما قالوا) قال الكلبى : يعنى تعذيبهم بالجزية . ويحتمل أن يكون لعنهم هو طردهم حين أجلوا من ديارهم " أ هـ

وقد ذكر العز هذه الأقوال بتصرف ولم ينسب منها الا قول الكلبى .

٢ ـ نقل الماوردى (ق ٢/١٥٩ ب) عن مقاتل فى تفسير قوله تعالى : (فوجدا عبدا من عبادنا أتيناه رحمة من عندنا) [الكهف / ٦٥] فقال : " فيه أربعة تأويلات : أحدها : النبوة ، وهو قول مقاتل . والثانى : النعمة . والثالث : الطاعة . والرابع : طول الحياة " أ هـ .

وقد نقل العز هذه الاقوال ، ولم ينسب قول مقاتل .

٣ ـ نقل الماوردى (ق ١/١٠٢ ب) عن ابن اسحاق فى تفسير قوله تعالى : (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم) [آل عمران / ١٤٦] فقال : " ومعناه فلم يهنوا بالخوف ولا ضعفوا بنقصان القوة ولا استكانوا بالخضوع . وقال ابن اسحاق : فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ، ولا استكانوا لما أصابهم " أ هـ .

وقد نقل العز هذا النص بتصرف .

---

(١) فى (ق) " وقال الزجاج " وهذا خطأ من الناسخ والصواب ما أثبته .

المبحث الثانـــى

اتهام الماوردى بالاعتزال وموقف العز منـــــه

وحيث إن الماوردى نقل فى تفسيره بعض أقوال المعتزلة كمحمد بـــن المستنير المعروف بقطرب ، وعلى بن عيسى الرمانى ، وغيرهما ، وقد سبـــق التمثيل على ذلك فى مصادره اللغوية كما نقل عن الأصم[1] لذا اتهمه ابـــن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) بالاعتزال فقال : " هذا الماوردى ـ عفا الله عنه ـ يتهم بالاعتزال وقد كنت لا أتحقق ذلك عليه وأتأول له واعتذر عنه فى كونـــه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيها أهل التفسير تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها ، وأقول : لعل قصـــده إيراد كل ما قيل من حق أو باطل ، ولهذا يورد من أقوال الشبهة أشيـــاء مثل هذا الايراد ، حتى وجدته يختار فى بعض المواضع قول المعتزلـــة وما بنوه على أصولهم الفاسدة ومن ذلك مصيره فى الاعراف الى أن اللـــه لا يشاء عبادة الاوثان وقال فى قوله تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبـــى عدوا شياطين الانس والجن) [الانعام / ١١٢] وجهان فى (جعلنـــا)

أحدهما : معناها حكمنا بأنهم أعداء .

والثانى : تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها .

وتفسيره عظيم الضرر لكونه مشحونا بتأويلات أهل الباطل تلبيســـا وتدسيسا على وجه لا يفطن له غير أهل العلم والتحقيق مع أنه تأليف رجـــل لا يتظاهر بالانتساب الى المعتزلة بل يجتهد فى كتمان موافقتهم فيما هو لهـــم فيه موافق ، ثم هو ليس معتزليا مطلقا فانه لا يوافقهم فى جميع أصولهـــم ، مثل خلق القرآن كما دل عليه تفسيره فى قوله ـ عز وجل ـ (ما يأتيهم مـــن ذكر من ربهم محدث) [الأنبياء / ٢] وغير ذلك ، ويوافقهم فى القـــدر ،

---

(١) راجع : تفسير العز للآية / ٤ من سورة الفاتحة ، والاية / ٢ من ســـورة البقرة والتعليق على ذلك .

وهى البلية التى غلبت على البصريين وعيبوا بها قديما "[1] انتهى .

فابن الصلاح قد اتهمه بذلك ، ومن جاء بعده نقل قوله منسوبا اليه لعدم تحقق اتهامه ، قال الداودى (ت ٩٤٥ هـ) : "وذكره ابن الصلاح فى (طبقاته) ، واتهمه بالاعتزال فى بعض المسائل بحسب ما فهمه عنه فى تفسيره فى موافقة المعتزلة فيها ، ولا يوافقهم فى جميع أصولهم ، ومما خالفهم فيه أن الجنة مخلوقة . نعم يوافقهم فى القول بالقدر ، وهى بلية غلبت على البصريين .

قال ابن السبكى : والصحيح أنه ليس معتزليا ، ولكنه يقول بالقدر فقط[2]" أ هـ .

فقول ابن الصلاح بعضه مُسلم ، والبعض الآخر غير مُسلم . فقوله : "وأنا أتأول له واعتذر عنه فى كونه يورد فى تفسيره فى الآيات التى يختلف فيها أهل التفسير ، تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة غير متعرض لبيان ما هو الحق منها ، وأقول : لعل قصده ايراد كل ما قيل من حق وباطل .....

ثم هو ليس معتزليا مطلقا ، فانه لا يوافقهم فى جميع أصولهم .....

ويوافقهم فى القدر ....." الخ . فقوله هذا مُسلم ، ولاحظته فى تفسير الماوردى ، ولعل موافقته لهم فى القدر أمر أدى اليه اجتهاده .

وكان موقف العز منه سلبيا ، فهو يختصر ذلك كما هو ولا يَرُدُ عليه . فلعله ترك ذلك مبالغة فى المحافظة على بيان ما قصده الماوردى دون زيادة . ولكن هذا لا يعفيه من المسؤلية لان بامكانه أن يجمع بين بيان قصد الماوردى ومناقشته فى مسألة القدر ، لذا لم تبرز شخصية العز فى هذا المختصر كمفسر يستعرض الاقوال ويرجح ويوجه ويرد على القول المخالف .

---

(١) راجع : طبقات الشافعية لابن السبكى (٥ / ٢٧٠) .
(٢) انظر : طبقات المفسرين للداودى (١ / ٤٢٤) .

أما قول ابن الصلاح : "وتفسيره عظيم الضرر ، لكونه مشحونـــا بتأويلات أهل الباطل تلبيسا وتدسيسا . ." فقوله هذا غير مُسلم ، وفيـــه تحامل شديد على الماوردى وعدم انصاف . فتفسيره مشحون بتأويلات السلف من الصحابة والتابعين ، وقد اعتمد فى نقل ذلك غالبا على تفسير الطبرى ، كما سبق تقريره فى مبحث المصادر .

وهو ينقل بجانب ذلك تأويلات الخلف ، ومن ضمنها تأويـــلات المعتزلة لبيان ما قيل فى الاية من حق وباطل ، وغالبا ما يقدم أقوال السلف فى الذكر ، وهو حريص جدا على نسبة الأقوال الى أصحابها الا فـــى حالات قليلة . فهو يذكر أقوال المعتزلة منسوبة غالبا الى أصحابها كابـــى على الجبائى والاصم وعلى بن عيسى الرمانى وأبى مسلم محمد بن بحـــر الاصفهانى وغيرهم كما سبق فى مبحث المصادر . وما دام ينسب الأقـــوال الى أصحابها فلا لوم عليه اذا حكى أقوال المعتزلة ، وليس من الانصـــاف أن نجعل ذلك " تلبيسا وتدسيسا ".

وقد نحا الدكتور عدنان زرزور منحى بعيدا ، فلم يعرض من ابـــن الصلاح مجرد الاتهام ، بل عد تفسير الماوردى من تفاسير المعتزلة ، وأنـــه وضع على أصولهم ومنهجهم فى التفسير . ونقل نصا منه دليلا على ما ذهـــب اليه . فقال : ((والناظر فى هذا التفسير قد لا يقف فيه سريعا على أثـــر واضح لمذهب المصنف الذى كان لا يجاهر بالاعتزال فيما يبدو ، ولكنـــه كان ينتصر فيه لمذهب المعتزلة على التحقيق مرة بالاشارة العابرة وأخـــرى بوضع القارىء أمام وجوه كثيرة فى تفسير الآية الواحدة يوردها موجزة ملخصـــة وليس من بينها ما يناقض مذهب المعتزلة بحال قال فى قوله تعالـــى : (هدى للمتقين) ـ البقرة ٢ ـ " وفى المتقين ثلاثة تأويلات : أحدهـــا : الذين اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم وهذا قول الحســـن البصرى . والثانى : أنهم الذين يحذرون من الله العقوبة ويرجون رحمتـــه وهذا قول ابن عباس . والثالث : أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق ، وهذا فاسد لانه قد يكون كذلك وهو فاسق وانما خص به المتقين وان كـــان هدى لجميع الناس لأنهم آمنوا به وصدقوا بما فيه ".

وقال فى قوله تعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة)ـ البقرة ٧ ـ " والختم : الطبع ، ومنه ختم الكتاب ، وفيه أربع تأويلات : أحدهما : وهو قول مجاهد أن القلب مثل الكف فاذا أذنب العبد ينضم جميعه ثم يطبع عليه بطابع . والثانى : أنها سمة تكون علامة فيهم تعرفهم الملائكة بها من بين المؤمنين . والثالث : أنه اخبار من الله تعالى عن كفرهم واعراضهم عن سماع ما دعو اليه من الحق تشبيها بما قد سد وختم عليه فلا يدخله خير .والرابع : أنها شهادة من الله على قلوبهم بأنها لا تعى الذكر ولا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم بأنها لا تصغى اليه . والغشاوة : تعاميهم عن الحق وسمى القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر :

ما سُمى القلب الا من تقلبه ... والرأى يصرف والانسان أطوار

والغشاوة الغطاء الشامل ".

وأيا ما كان الامر فان الماوردى وضع تفسيره على أصول المعتزلة ومنهجهم فى التفسير ، سواء أخالفهم فى بعض المسائل أم لا ، وسواء أجاهر فيه بالاعتزال أم لا ، وان كنا لا ندرى ما هو " حد " الجهر عند ابن الصلاح » (١) أ هـ .

وهذا الحكم يعوزه التحقيق ، فلو أن الباحث تصفح هذا التفسير ، وقرأ فيه لتبين له أنه تسرع فى الحكم عليه ، ورجع عن قوله : « فان الماوردى وضع تفسيره على أصول المعتزلة ومنهجهم فى التفسير » لأن قوله هذا يعنى أن الماوردى يقول بجميع أصول المعتزلة . وهذا قول لا دليل عليه ، ومخالف لما فى تفسير الماوردى ، ولو صح ما قال لم يقل ابن الصلاح : " هو ليس معتزليا مطلقا فانه لا يوافقهم فى جميع أصولهم مثل خلق القرآن ، كما دل عليه تفسيره فى قوله عز وجل : (وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) [الانبياء / ٢] وغير ذلك ، ويوافقهم فى القدر " .

---

(١) راجع : كتابه " الحاكم الجشمى ومنهجه فى تفسير القرآن" ص ١٤٣ ـ ١٤٦ .

فكان الاولى بالباحث أن يكون منصفا فى حكمه ، متحققا من قوله بقراءة قسم من هذا التفسير يكفى للحكم عليه . أما اصدار الحكم بناء على قراءة المقدمة وتفسير آيتين من سورة البقرة لا يكفى وليس فى هاتين الآيتين ما يدل على حكمه واليك بيان ذلك :

فقوله : ولكن الماوردى " كان ينتصر فيه لمذهب المعتزلة على التحقيق مرة بالاشارة العابرة " واستدل على ذلك بتعقيب الماوردى على القول الثالث فى تفسير قوله تعالى : (هدى للمتقين) حيث قال: " والثالث : أنهم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق ، وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق " .

فهذا التعقيب لا يدل على قول الباحث لأنه ليس انتصارا لمذهب المعتزلة وانما هو بيان أن هذا التأويل يتعارض مع قوله تعالى : (هدى للمتقين) لدخول الفاسق فى هذا التأويل وهو فى تعقيبه هذا متابع للطبرى . واليك عبارة الطبرى حتى يتضح ذلك .

قال الطبرى : " فقد تبين اذا بذلك فساد قول من زعم أن تأويل ذلك انما هو : الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق ، لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق غير مستحق أن يكون من المتقين ....." (١) الخ .

وقول الباحث : إن الماوردى كان فى تفسيره ينتصر لمذهب المعتزلة : " بوضع القارىء أمام وجوه كثيرة فى تفسير الآية الواحدة ، يوردها موجزة ملخصة ، وليس من بينها ما يناقض مذهب المعتزلة بحال" واستدل على ذلك بالوجوه التى ذكرها الماوردى فى تفسير قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) الآية / ٧ من سورة البقرة .

وهذا الدليل لا يدل على قوله ـ أيضا ـ ، لأن الماوردى قد ذكر وجوها فى تفسير الآية ، ومن بينها ما يناقض مذهب المعتزلة وقد بدأ به

---

(١) راجع : تفسيره (١/ ٢٣٤) معارف .

أولا ، وهو قول مجاهد الذى فسر الآية بحسب ظاهرها الموافق للغة .

وقد روى الطبرى قول مجاهد من طرق ، ورجحه ، ورد على من تأول الآية بخلافه . (١)

وقد أخذ أهل السنة بتفسير مجاهد ، فتوسع فى تقرير ذلك أبو الحسن الاشعرى (٢) ، والقرطبى (٣) ، وابن كثير (٤) ، وابن المنير الاسكندرى (٥) ، وردوا على تأويلات المعتزلة التى صرفوا فيها الآية عن ظاهرها فقال ابن كثير : " وقد أطنب الزمخشرى فى تقرير ما رده ابن جرير ههنا ، وتأول الآية من خمسة أوجه وكلها ضعيفة جدا ، وما جرأه على ذلك الا اعتزاله لان الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحق اليها قبيح عنده بتعالى الله عنه فى اعتقاده ، ولو فهم قوله تعالى : (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) [الصف / ٥] وقوله : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) [الانعام / ١١٠] وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى انما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم فى الباطل وتركهم الحق ، وهذا عدل منه ـ تعالى ـ حسن ، وليس بقبيح ، فلو أحاط علما بهذا لما قال ما قال ، والله أعلم " أ هـ .

أمثلة على موقف المعز من أقوال المعتزلة فى تفسير الماوردى :

١ ـ قوله تعالى : (ختم الله على قلوبهم) الآية/ ٧ من سورة البقرة

ذكر الماوردى فى تفسير هذه الآية خمسة أقوال ـ كما سبق بيانه ـ وقد ذكرها المعز فى مختصره بتصرف قليل فى العبارة وقدم القول الثانى على

---

(١) راجع : تفسير (١/ ٢٥٨ ـ ٢٦١) معارف .
(٢) راجع : كتابه " الابانة عن أصول الديانة " ص ٥٧ ، ٥٨ .
(٣) راجع : تفسيره (١/ ١٨٦ ، ١٨٧) .
(٤) راجع : تفسيره (١/ ٤٥ ، ٤٦) .
(٥) راجع : كتابه " الانتصاف " حاشية على تفسير الزمخشرى (١/ ٤٩ ، ٥٠)

الاول الذى قاله مجاهد ، مما يشعر بأنه يميل اليه . ووقف موقفا سلبيا من تأويلات المعتزلة التى ذكرها الماوردى فى تفسير هذه الآية ، ولم يناقشها فيرجح الراجح ويدلل عليه ويرد ما خالفه ، وكان الاولى به أن يفعل ذلك .

٢ ـ قوله تعالى : (واذ قال ربك للملائكة) الآية / ٣٠ من سورة البقرة .

قال الماوردى (ق ١/ ٢٣ ب) فى تفسيرها : " والملائكة أفضل الحيوان وأعقل الخلق إلا أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ولا يتناسلون وهم رسل الله لا يعصونه فى صغير ولا كبير ، ولهم أجسام لطيفة ، لا يرون الا اذا قوى الله أبصارنا على رؤيتهم " .

فالماوردى قد اقتصر على قول المعتزلة فى تفضيل الملائكة على البشر ، وهذا دليل على أنه يرجحه ، لأنه لم يذكر قول أهل السنة الذين يرون أن الانبياء وصالحى البشر أفضل من الملائكة .

والعز قد ذكر فى مختصره ما ذكره الماوردى ، ولم يناقشه فى ذلك بينما هو يرى خلاف ذلك كما فى كتابه " قواعد الأحكام " (٢/ ٢٣٢) ، فالملائكة عنده أفضل من البشر من جهة تفاوت الاجساد ، أما من جهة الأرواح فأرواح الانبياء أفضل من أرواح الملائكة ، واستدل على ذلك بخمسة وجوه :

أحدها : الارسال ورسل الملائكة قليل . . . . . .

الثانى : القيام بالجهاد فى سبيل الله . الثالث : الصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله يحب الصابرين . الرابع : الرضا بمر القضاء وحلوه . الخامس : نفع العباد بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجلب المنافع ودفع المكاره ، وليس للملائكة شىء مثل هذا . . . . " الخ (١)

---

(١) اذا اردت مزيدا من التفصيل فراجع : تفسير الفخر الرازى (٢/ ٢١٥ ـ ٢٣٥) فقد بسط القول فى ذلك ، ولخص النيسابورى فى تفسيره (١/ ٢٦٢ ـ ٢٧١) ما قاله الفخر الرازى .

ومن هذا المثال نستنتج أن العز اذا أورد قول الماوردى وسكت عنه فلم يناقشه لا يدل ذلك على موافقته له . ولعله يفعل ذلك مبالغة فى بيان ما قصده الماوردى بدون زيادة . وهذا لا يعفيه من المسئولية لأن بامكانه الجمع بين قصد الماوردى ومناقشته والرد عليه .

٣ ـ قوله تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا) الآية / ١١٢ من سورة الانعام .

قال الماوردى (ق ١ / ١٨١ ب) : " وفى قوله جعلنا وجهان : أحدهما : معناه حكمنا بأنهم أعداء . والثانى : تركناهم على العداوة فلم نمنعهم منها " أ هـ .

فالماوردى تأول (جعلنا) بمعنى الحكم والبيان بأنهم أعداء ، أو التخلية بينهم وبين أعدائهم فلم يمنعهم منها .

وهذان التأويلان من تأويلات المعتزلة لانهم لو أخذوا بظاهر الآية للزم عليه أن الله يخلق العداوة والحب ، والشر والخير ، والكفر والايمان . وهذا مخالف لمذهبهم القائل : " بأن الانسان يخلق أفعاله من خير وشر .

وتأويل الماوردى الآية بذلك يدل على أنه يقول بمذهب المعتزلة فى القدر .

وقد ذكر العز فى مختصره عبارة الماوردى ـ كما هى تقريبا ـ بدون مناقشة كعادته .

من هذه الأمثلة يتبين موقف العز من أقوال المعتزلة التى أوردها الماوردى فى تفسيره .

فالعز يذكرها ولا يناقشها ولا يردها : بل إنه كثيرا ما يترك نسبة الأقوال التى نسبها الماوردى الى أصحابها من المعتزلة . وكان الاولى به أن ينسب الأقوال تثبيتا لها ودفعا للبس .

المبحث الثالث

تأثر المفسرين بتفسير الماوردى

امتاز تفسير الماوردى بأمور منها :

١ — جمعه لأقوال السلف والخلف التى قيلت فى تفسير الآية .

٢ — تحليلاته اللغوية الدقيقة فى بيان مفردات الآية .

٣ — منهجه الدقيق فى حصر الأقوال فى عدد ثم ذكرها الأول فالثانى . .الخ

فقد كانت هذه الامور وغيرها سببا فى اقبال المفسرين عليه ، وتأثرهم بمنهجه ونقلهم عنه ، واستشهادهم بأقواله وترجيحاته ، فتأثر به ابن الجوزى والفخر الرازى والقرطبى فى تفاسيرهم ، وغيرهم .

وسأتكلم عن مُفسرَين تأثرا به كثيرا هما :

١ — ابن الجوزى :

هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى القرشى البغدادى المتوفى سنة (٥٩٧ هـ) ، وله مصنفات كثيرة فى علوم متنوعة ، منها تفسيره : (زاد المسير فى علم التفسير) ، وقد تأثر فيه بمنهج الماوردى فى تفسيره ، فى طريقة عرضه للأقوال التى قيلت فى تفسير الآية ، حيث إنه يحصرها فى عدد ، ثم يفصلها الاول فالثانى فالثالث . . . . الخ ، وينسب كل قول الى قائله غالبا ، ويحاول أن يستقصى الوجوه التى قيلت فى الآية ، ويعنى بالتفسيرات اللغوية ، كما أنه نقل عنه كثيرا من الأقوال ، واليك أمثلة توضح مدى تأثره به : —

أ — مثال تأثره بالماوردى فى منهجه قوله تعالى : (إن ابراهيم لاواه حليم) الآية / ١١٤ من سورة التوبة ، قال ابن الجوزى (٣/ ٥٠٩) : " وفى الاواه ثمانية أقوال : أحدها : أنه الخاشع الدَّعَاء المتضرع ، رواه عبد الله ابن شداد بن الهاد عن النبى — صلى الله عليه وسلم —.

والثانى : أنه الدعاء ، رواه زر عن عبد الله ، وبه قال عبيد بن عمير .

والثالث : الرحيم ، رواه أبو العبيد بن العامرى عن ابن مسعود وبه قال الحسن ، وقتادة ، وأبو ميسرة .

والرابع : أنه الموقن ، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وعطاء وعكرمة والضحاك .

والخامس : أنه المؤمن ، رواه العوفى ، ومجاهد ، وابن أبى طلحة عن ابن عباس . . . . . الخ ".

فيلاحظ فى هذا المثال أن ابن الجوزى قد حصر الأقوال التى قيلت فى تفسير (لأواه) فى عدد ، وهو ثمانية أقوال ، ثم فصلها الأول والثانى . . . الخ ، وقد جرى على هذا المنهج فى عرضه لأقوال المفسرين فى تفسيره كله ، متأثرا بالماوردى الذى نهج هذا المنهج فى عرض أقوال المفسرين ، واليك نص الماوردى فى تفسير قوله تعالى (لاواه) حتى يتضح لك ذلك : ـ

قال الماوردى (ق ٢/ ٥٤ ـأ) :" فيه عشرة تأويلات :أحدها : أن الاواه الدعاء الذى يكثر الدعاء قاله ابن مسعود . والثانى : أنه الرحيم قاله الحسن . والثالث : أنه الموقن قاله عكرمة . والرابع : أنه المؤمن بلغة الحبشة قاله ابن عباس . والخامس : أنه المسبح قاله سعيد بن المسيب . . . . . "الخ راجع بقية الأقوال فى اختصار العز .

ب ـ مثال نَقْلِ ابن الجوزى من تفسير الماوردى قوله تعالى : (وقلبوا لك الامور) الآية / ٤٩ من سورة التوبة . قال ابن الجوزى (٣/ ٤٤٨) فى تفسيرها : " خمسة أقوال : أحدها : بغوا لك الغوائل قاله ابن عباس ، وقيل إن اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على طريقه ليلا ليفتكوا به فسلمه الله منهم .

والثانى : احتالوا فى تشتت أمرك وابطال دينك قاله أبو سليمان الدمشقى ، قال ابن جرير : وذلك كانصراف ابن أُبى يوم أحد باصحابه .

والثالث : أنه سيلهم اليك فى الظاهر ، وسالأة المشركين فى الباطن .

والخامس : أنه حلفهم بالله (لو استطعنا لخرجنا معكم) . ذكر هذه الاقوال الثلاثة الماوردى "أ هـ .

مثال آخر على نَقْلِه من الماوردى قوله تعالى : (والسابقون الأولون) الآية / ١٠٠ من سورة التوبة . قال ابن الجوزى (٣/ ٤٩٠) فى تفسيرها ستة أقوال فذكرها الى أن قال: "والخامس : أنهم السابقون بالموت والشهادة سبقوا الى ثواب الله تعالى ، ذكره الماوردى "أ هـ.

وراجع ـ أيضا ـ تفسير ابن الجوزى (٤/ ٧) لقوله تعالى (ما من شفيع الا من بعد إذنه) الآية / ٣ من سورة يونس ، وتفسيره (٤/ ٢٥٣) لقوله تعالى : (ذلك كيل يسير) الآية / ٦٥ من سورة يوسف .

وتفسيره (٤/ ٣٣٥) لقوله تعالى : (ومن الاحزاب من ينكر بعضه) الآية / ٣٦ من سورة الرعد .

وتفسيره (٥/ ١٢٧) لقوله تعالى : (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) الآية / ٢٢ من سورة الكهف .

وتفسيره (٥/ ١٢٨) لقوله تعالى : (واذكر ربك اذا نسيت) الآية / ٢٤ من سورة الكهف .

وهناك أمثلة كثيرة تركتها خشية الاطالة ، وكلها تدل على أن ابن الجوزى ، استفاد من تفسير الماوردى كثيرا وتأثر بمنهجه .

٢ ــ القرطبـــى :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى المتوفى سنـــــة (٦٧١ هـ) ومن مصنفاته تفسيره المسمى : (الجامع لأحكام القرآن) .

وقد تأثر فى تفسيره بتفسير الماوردى بكثرة ما نقله عنه من أقوال السلف والخلف ، وبعض التفسيرات اللغوية مع الاشارة اليه ، وأحيانا ينقل عنه بدون اشارة اليه . وقد استشهد بأقواله وترجيحاته كما شرح بعض أقواله .

وقد اعتمدت عليه فى مقابلة اختصار العز لكثرة نقوله عن تفسيـــــر الماوردى .

واليك أمثلة توضح مدى تأثره به .

١ ــ قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلـــخ منها) الآية / ١٧٥ من سورة الاعراف قال القرطبى (٧/ ٣٢٠) فى تفسيرها : "... قال عكرمة : كان نبيا وأوتى كتابا . وقال مجاهد : إنه أوتـــى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه . قال الماوردى : وهذا غير صحيح ، لأن الله تعالى لا يصطفى لنبوته الا من علم أنه لا يخـرج عن طاعته الى معصيته ".

٢ ــ قوله تعالى : (بئس الرِّفْد المرفود) الآية / ٩٩ من ســورة هود .

قال القرطبى (٩/ ٩٤) "... وذكر الماوردى : أن الرفد بفتح الراء القدح ، والرفد بكسرها ما فى القدح من الشراب ، حكى ذلك عن الاصمعى"

٣ ــ قوله تعالى : (قال اجعلنى على خزائن الارض) الآية / ٥٥ من سورة يوسف .

قال القرطبى (٩/ ٢١٥) : فى بيان ما دلت عليه الآية : " قـــال الماوردى : فان كان المولى ظالما فقد اختلف الناس فى جواز الولاية من قبله على قولين : أحدهما : جوازها اذا عمل بالحق فيما تقلده ، لأن يوســـف ولى من قبل فرعون ، ولأن الاعتبار فى حقه بفعله لا بفعل غيره .

الثانى : أنه لا يجوز ذلك ، لما فيه من تولى الظالمين بالمعونـــة لهم وتزكيتهم بتقلد أعمالهم ..... "الخ .

وهكذا نقل القرطبى بعد ذلك عشرة أسطر نصا . والعز قد نقـــل نص الماوردى هذا لكن بتصرف .

٤ ــ قوله تعالى : (الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبيـــن) الآية / ١٨ من سورة الحجر .

فقد نقل القرطبى (١٠/ ١١) فى تفسير هذه الآية أربعة أسطـــر عن الماوردى ونسبها اليه .

هذا وهناك أمثلة أخرى كما أن هناك أمثلة على نقله عنه بـــدون أن ينسب اليه . وقد تركت التمثيل على ذلك خشية الاطالة .

الفصل الثانـــى

منهج العز فى تفسيـــره المختصـــــر

أقام العز منهجه فى التفسير على بحث الموضوعات الآتية :

١ ـ القـــراءة

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة .

٣ ـ أسباب النزول .

٤ ـ اللغة والنحو .

٥ ـ الأحكـــام الفقهية .

٦ ـ الاسرائيليـــات .

٧ ـ الترجيح والتوجيه .

وسأفرد كل موضوع ببحث أُبين فيه منهج العز فى عرضه وبيانه .

المبحث الأول

القراءة

من المعروف أن قراءة لفظ القرآن بطريقة معينة من ترتيب الحروف وتشكيلها له أثر فى توجيه المعنى وجهات أخرى اذا ما اختلف ترتيب تلك الحروف وضبطها بالشكل فى اللفظة عينها .

لذا اهتم المفسرون بذكر القراءات التى تقرأ بها بعض ألفاظ الآية لاثرها فى توجيه معنى الآية .ولهذا كان ذكر القراءة جزءا من منهج العز فى تفسيره إلا أن عنايته بها قليلة . فمنهجه فى عرض القراءات يتلخص فيما يلى :

١ ـ أنه يذكر القراءة ومن قرأ بها ومعناها .
٢ ـ أنه يذكر القراءة ومعناها دون من قرأ بها .
٣ ـ انه يذكر رسم القراءة ومعناها دون الاشارة الى أنها قراءة .
٤ ـ أنه يذكر معنى القراءة بدون أن يشير اليها .
٦ ـ أنه يوجه بعض القراءات المخالفة للغة المشهورة .
٦ ـ أنه قد يرد بعض المطاعن الموجهه لبعض القراءات .
٧ ـ أنه قد يذكر بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات بدون رد أوتعقيب .

والماوردى أكثر عناية بالقراءة من العز ، فهو يذكر القراءة ومن قرأ بها ويوجه معناها غالبا .

وقد قمت فى تحقيق تفسير العز بالتعليق على بعض القراءات التى ترك نسبتها فنسبتها الى من قرأ بها معتمدا فى ذلك على تفسير الماوردى ، وكتب القراءات كالكشف عن وجوه القراءات لمكى بن أبى طالب ، والتيسير فى القراءات السبع لابى عمرو الدانى والمختصر فى شواذ القراءات لابن خالوية ، كما رجعت الى التفاسير التى تعنى بالقراءات كتفسير الطبرى والطوسى والطبرسى وابن الجوزى ، ومعانى القرآن للزجاج .

واليك أمثلة توضح منهجه فى عرض القراءات :

١ ـ أمثلة على ذكره للقراءة ولمن قرأ بها ومعناها :

من أمثلة ذلك قوله تعالى : (فما استمتعتم به منهن) الآية / ٢٤ من سورة النساء .

قال العز : " (فما استمتعتم) قلت تكون (ما) ها هنا بمعنى من ، فما نكحتم منهن فجامعتموهن ، أو المتعة الموجلة ، كان أبي وابن عباس يقرأ ان فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى " .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (فتيمموا صعيدا طيبا) الآية / ٤٣ من سورة النساء .

قال العز : " (فتيمموا) تعمدوا وتحروا . أو اقصدوا . وقرأ ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ فاتوا صعيدا " .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك) الآية / ١٢٧ من سورة الأعراف .

قال العز : " (وآلِهَتَك) كان يعبد الأصنام وقومه يعبدونه " ثم ذكر أقوالا أخرى ، ثم قال : " قرأ ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنه ـ (وإلٰهَتَك) أى وعبادتك ، وقال : كان فرعون يُعبد ولا يَعبد " .

ويلاحظ أن تصريح العز بنسبة القراءة الى قارئها واضح في القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف ، ولعله بذلك يشير الى ضعفها .

٢ ـ أمثلة على ذكره للقراءة ومعناها دون نسبتها :

من أمثلة ذلك قوله تعالى : (انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه) الآية / ٩٩ من سورة الانعام .

قال العز : (ثمره) الثُمر جمع ثمار والثَمر جمع ثمرة . أو الثُمر المال ، والثَمر ثمر النخل ، قُرئ بهما " .

فذكر القراءتين وبين معناهما ولم ينسبهما الى من قرأ بهما . فحمزة والكسائى قرأا بضم الثاء والميم ، وقرأ الباقون بفتحهما .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دَرَسْتَ) الآية / ١٠٥ من سورة الانعام .

قال العز : "(دَرَسْتَ) قرأت وتعلمت قالته قريش و (دارستَ) ذاكرت وقارأت ، و (دَرَسَتْ) انمحت وتقادمت ، و (دُرِسْتَ) تُليت وقرئت ، و (دَرَسَ) محمد صلى الله عليه وسلم وتلا : فهذه خمس قراءات ".

فالعز بين هذه القراءات الخمس ومعناها ، ولكنه لم ينسبها الى من قرأ بها ، فالقراءات الثلاث الاولى سبعية . (١)

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (فاما الزبد فيذهب جفاء) الآية / ١٧ من سورة الرعد .

قال العز : "(جُفاء) منتشفا ، أو جافيا على الارض ، أو ممحقا . ومن قرأ (جُفالا) أخذه من قولهم : انجفلت القدر اذا قذفت بزبدها " فذكر فى هذه اللفظة قراءتين وبين معناهما ولكنه لم ينسبهما الى من قرأ بهما . والقراءة الثانية قرأ بها رؤبة بن العجاج ، وهى شاذة .

٣ ـ أمثلة على ذكره لرسم القراءة ومعناها دون الاشارة اليها :

من هذه الأمثلة قوله تعالى : (مالك يوم الدين) الآية / ٣ من سورة الفاتحة .

قال العز : " (مَلِك) (مَالك) " فاكتفى بالرسم ولم يبين أنهما قراءتان ، وقد أطال فى تأويلهما . بينما الماوردى بين أن (مالك) قراءة عاصم والكسائى . و(مَلِك) قراءة الباقين .

---

(١) راجع : التيسير لابى عمرو الدانى ص ١٠٥ .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِين) الآية / ١٢٥ من سورة آل عمران .

قال العز : " (مُسَوَّمِين) بالفتح أرسلوا خيلهم في المرعى وبالكسر سوموها بعلائم ... " الخ .

فذكر لفظ القراءة ومعناها ، ولم يبين أنها قراءة فكَسْرُ الواو قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم ، وفتحُها قراءة الباقين .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (فإذا أحصن) الآية / ٢٥ من سورة النساء .

قال العز : " (أُحصِن) أسلمن ، و (أَحصَن) تزوجن " فذكر لفظ القراءتين ومعناهما ، ولم يبين أنهما قراءتان ففتح الالف والصاد قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم . وقرأ الباقون بضم الألف وكسر الصاد .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم) الآية / ١٢ من سورة التوبة .

قال العز : (لا أيمان لهم) بارة ، و (لا إيمان) من الأمان ، أو التصديق ".

فذكر رسم القراءتين ومعناهما ، ولم يشر الى أنهما قراءتان . فَكسْر الهمزة قراءة ابن عامر ، وبفتحِها قرأ الباقون .

هذا وهناك أمثلة كثيرة جمعتها ، وتركت تسجيلها هنا خشية الاطالة ، وكلها تدل على أن هذه هي طريقته الغالبة في عرض القراءات .

٤ ـ أمثلة على ذكره لمعنى القراءة دون الاشارة اليها :

من أمثلة ذلك قوله تعالى : (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فَتُذَكِّرَ إحداهما الاخرى) الاية / ٢٨٢ من سورة البقرة .

قال العز : " (فَتُذَكِّرَ) من الذُكر ، أو بجعلها كذكر من الرجال "

فالتأويل الاول على قراءة (فتذكر) بضم التاء وفتح الذال وتشديد الكاف ، والتأويل الثانى على قراءة (فتذكر) بتسكين الذال وتخفيف الكاف وهى قراءة شاذة وكان الاولى به أن يذكر هذه القراءة حتى يتضح هذا التأويل ، وقد أوضحت ذلك فى تحقيق تفسيره .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) الآية / ٤٦ من سورة هود .

قال العز : " (إنَّه عملٌ غيرُ صالح) سؤالك إياى أن أنجيه ، أو إن ابنك عمل غير صالح لغير رِشدة قاله الحسن ـ رضى الله تعالى عنه ـ أو إن ابنك عَمِلَ عملاً غير صالح "ع" .

فالتأويل الاخير على قراءة (إنَّه عَمِلَ غيرَ صالح) بكسر الميم وفتح اللام ونصب الراء ، وقد قرأ بها الكسائى ويعقوب .

فكان الاولى به أن يذكر هذه القراءة حتى يتضح هذا التأويل .

وراجع أيضا تفسيره لقوله تعالى : (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) الآية (١) من سورة النساء .

٥ ـ أمثلة على توجيهه لبعض القراءات المخالفة للغة المشهورة :

منها قوله تعالى : (إنْ هذان لساحران) الاية / ٦٣ من سورة طه .

قال العز : " (إنَّ هذان) رفع الاثنين ونصبهما بالالف على لغة بلحارث بن كعب وكنانة وزبيد .

قـــال :

فاطرق إطراق الشجاع ولـــو رأى

مساغا لناباه الشجاع لصمـــــــا

إن أباها وأبا أباهـــــا قد بلغا فى المجد غايتاهـا

أو تقديره "إنَّه هذان" فحذف الهاء وان لم تكن هذه اللغة فصحى فيجوز ورود القرآن بالافصح وبما عداه قاله متقدموا النحاة[1] ، أو "هذان" مبنى كبناء الذين لا يتغير فى أحوال الاعراب ، أو "إن" بمعنى نعم .

ويقلن شيب قد عـــــلا ك وقد كبرت فقلت إنَّـــه"

فالعز ذكر هذه القراءة ولم ينسبها وهى قراءة الاكثرين وقرأ ابن كثير وحفص (إنْ هذان) باسكان نون "إنْ" وقراءة الاكثرين تخالف اللغـــة المشهورة المستعملة فى نصب اسم "إنَّ" بالياء اذا كان مثنى . لذا نجـــد العز قد وجه هذه القراءة بأربعة وجوه :

الأول : أنها على لغة بلحارث بن كعب وكنانة وزبيد واستدل علـى ذلك بالشعر.

الثانى : أنها على تقدير "إنَّه هذان" فحذف الهاء .

الثالث : أن "هذان" مبنى كبناء الذين لا يتغير فى أحـــوال الاعراب .

الرابع : أن "إنَّ" بمعنى نعم . واستدل على ذلك بالشعر.

٦ ـ أمثلة على رده لبعض المطاعن الموجهه لبعض القراءات :

منها قوله تعالى : (وقضى ربك ألَا تعبدوا إلا إياه) الآية / ٢٣ من سورة الاسراء .

---

(١) هذا القول لا دليل عليه فلا يجوز ورود القرآن بغير الافصح والا لكان مأخذا للعرب الذين عارضوه .

قال العز : " (وقضى) أمر "ع" قال الضحاك : كانت فـــى المصحف " ووصى" فالصق الكاتب الواو بالصاد فصارت وقضى قلت : هـــذا هوس".

وقد رده ــ أيضا ــ غيره من المفسرين . راجع تحقيق تفسيـــره .

٧ ــ أمثلة على عدم رده على بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات :

منها قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غيـــر بيوتكم حتى تستأنسوا) الآية / ٢٧ من سورة النور.

قال العز : " (تستأنسوا) تستأذنوا ، قال ابن عباس ــ رضـــى الله تعالى عنهما : أخطأ الكاتب فكتب (تستأنسوا) " وكان الاولى بالعز أن يرد هذا الكلام الباطل الذى لا تصح نسبته الى ابن عباس ولا يعقـــل أن يصدر منه مثل هذا لانه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطـــرق الى القرآن ولوجوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونـــه حجه .

وقد تعقبه المفسرون بالرد والابطال فقال القرطبى : " وهـــذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره فان مصاحف الاسلام كلها قد ثبت فيهـــا " (حتى تستأنسوا) وصح الاجماع فيها من لدن عثمان ، فهى التـــى لا يجوز خلافها . واطلاق الخطأ والوهم على الكاتب فى لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس "(١) ونقل عن ابن عطية رده .

وذكر هذا الاثر ابن كثير وقال : " وهذا غريب جدا عن ابن عباس "(٢) كما رده ــ أيضا ــ الالوسى (٣) والزرقانى (٤)

---

(١) راجع : تفسيره (١٢/ ٢١٤) .
(٢) راجع : تفسيره (٣/ ٢٧٩ ، ٢٨٠) .
(٣) راجع : تفسيره (١٨/ ١٣٣) .
(٤) راجع : كتابه " مناهل العرفان " (١/ ٣٨١ ، ٣٨٢) .

مما سبق يتضح منهج العز فى عرضه للقراءات فهو يذكر القراءات وتأويلها وينسبها الى من قرأ بها كالماوردى ولكن فى حالات قليلة .

وغالب أحواله أنه يذكر القراءة ومعناها ويترك نسبتها ، أو يكتفى بذكر رسم القراءة دون الاشارة اليها ، وقد يكتفى بذكر معناها دون الاشارة اليها ، وهو فى ذلك كله مخالف للماوردى .

وقد يوجه بعض القراءات المخالفة للقراءة المشهورة ، كما أنه قد يرد بعض المطاعن الموجهة لبعض القراءات ، وقد يتركها بدون رد أوتعقيب.

المبحث الثانـــي

تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنـــــــة

تفسير القرآن بالقرآن أصح طريق للتفسير ، فما أُجمل فى مكان فانـه قد بسط فى موضع آخر ، وما جاء مطلقا فى آية قد يلحقه التقييد فى آيـــة أخرى ، وما كان عاما فى آية قد يدخله التخصيص فى آية أخرى ، وما كـــان مبهما فى آية قد ينص على تعيينة فى آية أخرى .

لهذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر فـــى القرآن أولا ، ويفسر بعضه ببعض لان صاحب الكلام أدرى بمعانى كلامـه ، وأعرف به من غيره ، فان لم يجد ذلك فعليه بالسنة فانها شارحة للقـرآن وموضحة له قال تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نُزل اليهـــم ولعلهم يتفكرون) [النحل / ٤٤] .

وفى أثناء دراستى لتفسير العز لاحظت أنه يفسر بعض الآيـــات بآيات أُخرى ، أو بأحاديث فى بعض المواضع واليك أمثلة توضح منهجـــه فى ذلك :

أ ــ أمثلة على تفسيره القرآن بالقرآن :

١ ــ قوله تعالى : (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية / ٣٧ مـــن سورة البقرة .

قال العز : " (كلمات) الكلام من التأثير ، لتأثيره فى النفس بمـــا يدل عليه من المعانى ، والجرح كلم لتأثيره فى الجسد . الكلمات قـــــوله (ربنا ظلما) الاية [الاعراف / ٢٣] أو قول آدم ــ صلى الله عليه وسلـــم ــ لربه ــ تبارك وتعالى ــ : « أرأيت إن تبت وأصلحت » فقال : « إنى راجعـك الى الجنة » . أو قوله : « لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك ربى إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الغافرين » . . . " الخ .

فيلاحظ أنه ذكر فى تفسير (كلمات) ثلاثة أقوال ، الأول منها أنـــه فسرها بما جاء مبينا لها فى آية الاعراف ، وذِكْرُه له أولا يُشعر بأنه يُرجحـــه ،

وهو الاولى بتفسير الكلمات لانه اخبار من الله تعالى .

٢ ــ قوله تعالى : (ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم) الآية / ٤٩ من سورة النساء .

قال العز: (يزكون أنفسهم) اليهود قالوا : (نحن أبناء الله وأحباؤه) [المائدة/١٨] أوقدموا أطفالهم لامامتهم زعما أنه لا ذنوب لهم . أوقالوا : آباؤنا يستغفرون لنا ويزكوننا . او زكى بعضهم بعضا لينالوا شيئا من الدنيا" أهـ.

فيلاحظ أنه ذكر فى تفسير تزكية اليهود انفسهم اربعة أقـــوال ، الأول منها أنه فسرها بقولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه كما أخبر الله عنهم فى آية المائدة ، وذكر العز له أولا يشعر بأنه يرجحه ، وهو الأظهـــر لاخبار الله عنهم أنهم انما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها .

٣ ــ قوله تعالى : (انا نبشرك بغلام عليم) الآية / ٥٣ من سورة الحجر .

قال العز : " (بغلام عليم) فى كبره ، وهو اسحاق لقوله تعالى : (فضحكت فبشرناها باسحاق) | هود /٧١ | ".

فيلاحظ أن الغلام ورد مبهما فى آية الحجر بينما ورد ذكره باسمه وهو " اسحاق " فى آية هود فكانت مفسرة لآية الحجر .

فيلاحظ من الامثلة السابقة أن العز يذكر تفسير القرآن بالقرآن ضمن أقوال أخرى ، ويبدأ به أولا مما يشعر بأنه يرجحه ، وأحيانا يقتصر عليه كمـا فى المثال الاخير . وعلى العموم فهو يجمع الأقوال بدون مناقشة أو توجيه .

ب ــ أمثلة على تفسيره بالسنة :

١ ــ قوله تعالى : (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريـــح باحسان) الآية / ٢٢٩ من سورة البقرة .

قال العز : " (فامساك بمعروف) الرجعة بعد الثانية ،والتسريح باحسان : الطلقة الثالثة ، قيل للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (الطلاق مرتان) فأين الثالثة ؟ قال : (إمساك بمعروف أو تسريح باحسان) ، أو التسريح باحسان : ترك الرجعة حتى تنقضى العدة ، والاحسان : أداء حقها وكف الاذى عنها " . فالعز ذكر تفسيرين لقوله تعالى (أو تسريـــــح باحسان) : ــ

الاول : أنه الطلقة الثالثة ، وهذا مروى عن الرسول صلى الله عليـه وسلم (١) .

والثانى : ترك الرجعة بعد التطليقة الثانية حتى تنقضى العدة .

وقد ذهب الى التفسير الاول مجاهد وعطاء وقتادة والطبرى (٢) ، والقرطبى (٣) اتباعا للخبر عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم .

وذهب الى الثانى الضحاك والسدى والكيا الطبرى وقال : هـــذا الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ثابت .

راجع تفاصيل ذلك فى تفسير القرطبى .

٢ ــ قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطـــــوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) الاية / ٢٠٠ من سورة آل عمران .

قال العز : (اصبروا) على طاعة الله تعالى (وصابروا) اعـداءه (ورابطوا) فى سبيله ، أو (اصبروا) على دينكم (وصابروا) الوعد الذى وعدتكم (ورابطوا) عدوكم ، أو (اصبروا) على الجهاد (وصابروا) العدو (ورابطوا) بملازمة الثغر ، من ربط النفس ، ومنه ربط الله على قلبه بالصبر ، أو(رابطوا) بانتظار الصلوات الخمس واحدة بعد واحدة قال الرســـول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفـــع

---

(١) راجع : تخريج الحديث فى التعليق على الاية فى تحقيق تفسير العز .
(٢) راجع : تفسيره (٤/ ٥٤٧) طبع المعارف .
(٣) راجع : تفسيره (٣/ ١٢٨) .

به الدرجات ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اسباغ الوضوء عند المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الربـــاط فذلكم الرباط ".

فالعز قد ذكر أربعة أقوال فى معنى قوله تعالى : (ورابطوا) :

واستدل على الاخير منها بالحديث (١) .

فالحديث لم يفسر الآية وانما بين أن انتظار الصلاة بعد الصـــلاة رباط .

وقد رجح الطبرى أن الرباط ملازمة الثغر ـ كما فى القول الثالث ـ لانه هو المعنى المعروف من معانى " الرباط " . وانما يوجه الكلام الـــى الاغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه دون الخفى ، حتى تأتـــى بخلاف ذلك مما يوجب صرفه الى الخفى من معانيه : حجةٌ يجب التسليـــم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اجماع من أهـــل التأويل . (٢)

قلت : ويمكن حمل اللفظ على المعانى السابقة فيكون معنـــــى " الرباط " فى الآية الجهاد فى سبيل الله ، ومرابطة الاعداء . وملازمة الثغر وانتظار الصلوات ، وما دام ذلك ممكن فهو أولى من قصره على أحدهـــا بدون دليل . والله أعلم .

٣ ـ قوله تعالى : (لا تقم فيه أبدا لمسجد أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) الاية / ١٠٨ من سورة التوبة .

قال العز : " (أُسس على التقوى) مسجد الرسول ـ صلى اللـــه عليه وسلم ـ بالمدينة مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو مسجـــد

---

(١) راجع : تخريج الحديث فى التعليق على الاية فى تفسير العز .
(٢) راجع : تفسيره (٥٠٩/٧) طبعة دار المعارف .

قباء وهو أول مسجد بنى فى الاسلام "ع" ، أوكل مسجد بنى فى المدينة أُسس على التقوى ".

ذكر العز فى هذا المسجد ثلاثة أقوال : أحدها : أنه مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذا القول قد رواه أبو سعيد الخدرى قال : تمارى رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال آخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هو مسجدى هذا ".

وهذا الحديث رواه مسلم وغيره كما رُوى عن سهل الساعدى وأُبى ابن كعب رضى الله عنهما (١) .

فهذا الحديث نص فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أنه مسجده . فيتعين المصير اليه . ولعل الذين قالوا : إنه مسجد قباء ، أو كل مسجد فى المدينة لم يبلغهم هذا الحديث . والله أعلم.

٤ ـ قوله تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) الآية / ٤٦ من سورة الكهف .

قال العز : " (والباقيات) الصلوات الخمس ، أو الأعمال الصالحة ، أو الكلام الطيب ، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر مروى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ".

ذكر العز فى الباقيات الصالحات أربعة تفسيرات ، أحدها تفسير بالعموم وهو قوله : " الاعمال الصالحة " . وبقية التفسيرات تفسير بالمثال وهى داخلة فى العموم . والاخير منها مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (٢)

---

(١) راجع : تخريج الحديث فى التعليق على الاية فى تحقيق تفسير العز.
(٢) راجع : تخريجه فى التعليق على الاية فى تحقيق تفسير العز.

وقد رجح الطبرى القول بالعموم فقال : " وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ، قول من قال : هن جميع أعمال الخير ، كالذى روى عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس ، لأن ذلك كله من الصالحات التى تبقى لصاحبها فى الاخرة ، وعليها يجازى ويثاب . وأن الله عز ذكره لم يخصص من قوله ((والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا)) بعضا دون بعض فى كتاب ، ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فان ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذى رويناه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فان ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ورد بأن قول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ، هن من الباقيات الصالحات ، ولم يقل : هن جميع الباقيات الصالحات ، ولا كل الباقيات الصالحات ، وجائز أن تكون هذه الباقيات صالحات وغيرها من أعمال البر ـ أيضا ـ باقيات صالحات"(١) .

فمن الامثلة السابقة يتضح أن المزقد أورد أقوالا فيها تفسير لبعض الايات بالحديث إما نصا واما استدلالا ولم يعقب على شئ منها .

---

(١) راجع : تفسيره (١٥/٢٥٦) طبع الحلبى .

المبحث الثالث

أسبـــاب النـــزول

ونزول القرآن على قسمين ، الاول : ما نزل ابتداء من غير سبـــب وهو أكثر القرآن . والثانى : ما نزل مرتبطا بسبب وهو أقل القرآن .

وسبب النزول هو الحادثة التى تقع فى زمن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، أو السؤال يوجه اليه فتنزل الاية أو الايات أيام وقوع ذلك معينـــة لحكم تلك الحادثة ، أو مجيبة على ذلك السؤال .

ومعرفة أسباب النزول تزيل الاشكال عن كثير من الآيات وتعين علـى فهم الآية وتفسيرها . لذا نجد المفسرين اهتموا بها فصنفوا فيها المصنفات وذكروها فى تفاسيرهم .

والعز كغيره من المفسرين اهتم بها فذكر الكثير منها حتى أنه يذكـر فى بعض الايات أكثر من سبب.

وسوف يبين لك البحث طريقة عرض العز لاسباب النزول فيما يلـى :

١ ــ أنه يعبر بقوله : نزلت الاية فى كذا ويريد به سبب النـــزول كما أنه يعبر بهذا التعبير نفسه ويريد به معنى الاية . وهذا الاستعمـال الاخير مخالف لاصطلاح المفسرين لانه يعنى عندهم أن هناك حادثـــة نزلت الاية بسببها مع أن ما يذكره العز ليس بحادثة وانما ايضاح معنـــى وقد يستعمل بعض الصحابة نزلت ويريد بها معنى الاية قال ابن تيميـــة : " وقولهم نزلت هذه الآية فى كذا يراد به تارة أنه سبب النزول ، ويراد بـــه تارة أن هذا داخل فى الاية وان لم يكن السبب ، كما تقول عُنى بهـــذه الآية كذا (١)" اهـ واليك أمثلة توضح ذلك:

المثال الاول : قوله تعالى (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) الاية / ١١ من سورة البقرة.

---

(١) انظر كتابه" مقدمة فى أصول التفسير "ص (١٣) .

قال العز : " نزلت فى المنافقين ، أو فى قوم لم يكونوا موجودين حينئذ بل جاءوا فيما بعد قاله سلمان" .

فقوله : " نزلت " لا يريد به سبب النزول ، لان السبب حادثة متقدمة على نزول الآية فلا يتفق مع قوله : " نزلت فى قوم لم يكونوا موجودين .." وانما يريد عُنى بالاية المنافقين ، أو قوم لم يكونوا موجودين .

المثال الثانى : قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) الآية / ١١٤ من سورة البقرة .

قال العز : (أنزلت فى بختنصر وأصحابه المجوس خربوا بيت المقدس ، أو فى النصارى الذين أعانوا بختنصر على خرابه ، أو فى قريش لصدهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكعبة عام الحديبية ، أو عامة فى كل مشرك منع من مسجد)" فقوله : " نزلت فى بختنصر ، أو فى النصارى" لا يصلحان سببا لنزول الاية لانهما حادثتان سبقتا زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسبق فى التعريف أن سبب النزول ما حدث فى زمن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونزلت الاية مبينة له . فهو يريد بقوله : " نزلت "عُنى بالاية بختنصر أو النصارى وكذلك قوله : "أو عامة فى كل مشرك ..." وكان الاولى به أن يستعمل هذا التعبير لانه أدق فى تحديد المراد .

أما قوله : " نزلت فى قريش لصدهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكعبة ...." فهذا يصلح أن يكون سببا لنزول الاية اذا كان حادثا قبل نزول الاية .

المثال الثالث قوله تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) الاية / ٢٥ من سورة الانفال .

قال العز : " نزلت فى النكاح بلا ولى قاله بشر بن الحارث " فهو يريد عُنى بها النكاح بلا ولى لانه لا يصلح سببا لنزول الاية .

ولعل صاحب هذا القول يريد أن النكاح بلا ولى من الفتنة وهذا تفسير للعموم ببعض أفراده .

المثال الرابع : قوله تعالى : (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به) الآية / ١٢٦ من سورة النحل .

قال العز : "أو نزلت فى كل مظلوم أن يقتص بقدر ظلامته " فهـــو يريد عُنى بها كل مظلوم .... الخ .

٢ ــ أنه يذكر حوادث مدنية أسبابا لنزول آيات مكية ، واليـــك أمثلة على ذلك : ــ

المثال الاول : قوله تعالى : (لا تمدن عينيك الى ما متَّعنا بـــه أزواجا منهم) الاية / ٨٨ من سورة الحجر .

قال العز : "نزل بالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضيف فلم يكن عنده ما يصلحه فأرسل الى يهودى يستسلف منه دقيقا الى هلال رجـــب فأبى إلا برهن ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنى لأمين فى السماء أمين فى الارض ولو أسلفنى لاديت اليه فنزلت (لا تمدن)" .

فسورة الحجر مكية باتفاق كما ذكر العز فى أولها ، وهذه الحادثة المذكورة مدنية فى آخر عمر النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنه مات ودرعـــه مرهونة عند يهودى بهذه الحادثة كما قاله ابن عطية . يضاف الى ذلـــك أن اسناد هذا السبب ضعيف . (١)

المثال الثانى : قوله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمـــى أنفسهم) الآية / ٢٨ من سورة النحل .

قال العز : "قيل نزلت فيمن أسلم بمكة ولم يهاجر فأُخرجتهمْ قريـش الى بدر فقتلوا " أ هـ.

وقد ذهب جمهور المفسرين الى أن هذه الحادثة سببا لنـــزول آية النساء / ٩٧ (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتـــم قالوا كنا مستضعفين فى الارض) .

---

(١) راجع : تفاصيل ذلك فى التعليق على الاية فى تحقيق تفسير العز.

ويؤيد ذلك ما يلى :

أولا : لأنها حدثت بعد الهجرة يوم بدر وسورة النساء نزلت بالمدينة بعد الهجرة . بينما سورة النحل نزلت بمكة قبل هذه الحادثة .

ثانيا : لأن رواية من قال : إنها سبب لنزول آية النحل مرسلة بينما رواية من قال : إنها سبب لنزول آية النساء موصولة رواها البخارى وغيره . والموصول الذى رواه البخارى مقدم على المرسل . (١)

٣ ـ أنه يمتاز باختصاره لبعض الاسباب التى أطال فيها الماوردى فيعبر عنها بعبارة موجزة تتضمن ما ذكره الماوردى أو يقتصر منها على ما يناسب الآية .

واليك أمثلة على ذلك :

المثال الاول : قوله تعالى (قل من كان عدوا لجبريل) الاية / ٩٧ من سورة البقرة .

قال الماوردى (ق ١/ ٤٣ ب ، ٤٤ ـأ) : " وسبب نزول هذه الآية ما روى أن ابن صوريا وجلة من يهود فدك لما قدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة سألوه فقالوا : يا محمد كيف نومك فانه قد أُخبرنا عن نوم النبى الذى يأتى فى آخر الزمان ؟

فقال : تنام عيناى وقلبى يقظان ، قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل ، أو من المرأة . فقال : أما العظام والعصب والعروق فمن الرجل ، وأما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة ، قالوا : صدقت يا محمد ، فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شىء ، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شىء ؟ فقال : أيهما علا ماؤه كان الشبه له ، قالوا : صدقت يا محمد ، فأخبرنا عن ربك ما هو ؟ فأنزل الله (قل هو الله أحد)الى آخر السورة . قال له ابن صوريا : خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعتك ، أى ملك يأتيك بما يقول الله ؟ قال : جبريل ،

---

(١) راجع التعليق على هذا السبب فى الاية / ٢٨ من سورة النحل فى تحقيق تفسير العز.

قال : ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء لو كان ميكائيل هو الذى يأتيك آمنا بك ، فقال عمر بن الخطاب عند ذلك قاتى أشهد أن من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكائيل فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية ".

وقد اختصر العز هذا السبب الطويل فقال : " نزلت لما قال ابن صوريا للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أى ملك يأتيك بما يقول الله ـ تعالى ـ قال : جبريل ـ عليه السلام ـ قال : ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة وميكائيل يأتى باليسر والرخاء . فلو كان هو الذى يأتيك آمنا بك فنزلت ".

فيلاحظ أن العز قد اقتصر على سبب نزول الاية وهو الجزء الاخير من هذه الرواية الطويلة ويعادل ربع ما ذكره الماوردى تقريبا .

المثال الثانى : قوله تعالى : (ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا) الاية / ١٠٩ من سورة البقرة .

قال الماوردى (ق ١/ ٤٧ ـ أ) : " وسبب نزولها ماروى أن نفرا من اليهود منهم فنحاص وزيد بن قيس دعوا حذيفة وعمارا الى دينهما ، وقالوا : نحن أهدى منكم سبيلا ، فقال لهم عمار : وكيف نقض العهد عندكم ؟ قالوا : شديد ، قال فانى عاهدت ربى أن لا أكفر بمحمد أبدا ولا أتبع دينا غير دينه فقالت اليهود : أما عمار فقد صبأ وضل عن سواء السبيل ، فكيف أنت يا حذيفة ؟ فقال حذيفة : الله ربى ومحمد نبى والقرآن إمامى ، أطيع ربى واقتدى برسول ربى وأعمل بكتاب ربى ، فقالا : والله لقد أشربت قلوبكما حب محمد . فأنزل الله عز وجل هذه الآية ".

وقد اختصره العز فقال : " دعا فنحاص وزيد بن قيس حذيفة وعمارا الى دينهما فأبيا عليهما فنزلت ".

فيلاحظ أن ما ذكره الماوردى فى سبب نزول هذه الاية مطولا قد اختصره العز فى سطر واحد تقريبا فأتى بخلاصة ذلك فى عبارة موجزة مفيدة

وترك تفاصيل ذلك اختصارا .

المثال الثالث : قوله تعالى (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطّوف بهما) الاية / ١٥٨ من سورة البقرة .

قال الماوردى (ق ١/ ٥٩ ـ أ) : " وليس فى قوله (فلا جناح عليه) دليل على اباحته دون وجوبه لخروجه على سبب ، وهو أن الصفا كان عليه فى الجاهلية صنم اسمه " إساف " وعلى المروة صنم اسمه " نائلة " فكانت الجاهلية اذا سعت بين الصفا والمروة طافوا حول الصفا والمروة تعظيما لاساف ونائلة فلما جاء الاسلام وألقيت الاصنام تكره المسلمون أن يوافقوا الجاهلية فى الطواف حول الصفا والمروة مجانبة لما كانوا عليه من تعظيم إساف ونائلة فأباح الله ـ تعالى ـ ذلك لهم فى الاسلام لاختلاف القصدين فقال : (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) ".

وقد اختصره العز فقال : " لما كانوا يطوفون بينهما فى الجاهلية تعظيما لاساف ونائلة تحرجوا بعد الاسلام أن يضاهوا ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية فنزلت " .

فلاحظ ما ذكره الماوردى فى سبب نزول هذه الآية واختصار العز له تجد أن العز اختصره فى عبارة موجزة تؤدى نفس الغرض الذى أراده الماوردى وتوضح معنى الاية وتزيل الاشكال عنها .

المثال الرابع : قوله تعالى : (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا) الاية / ٢ من سورة المائدة .

قال الماوردى (ق ١/ ١٤٠ ـ أ) : " قال السدى : نزلت هذه الآية فى الحطم بن هند البكرى أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده وخلف خيله خارجة من المدينة فدعاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لاصحابه يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما أخبره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : انظرنى فلعلّ من

أشاوره فخرج من عنده فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد دخل وجه كافر وخرج بعقب غادر ، فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه فانطلق وهو يرتجز ويقول :

قد لفها الليل بسواق حُطمْ ليس براعى إبل ولا غنمْ

ولا بجزار على ظهر الوضمْ (١) باتوا نياماً وابن هندٍ لم يَنَمْ

باتَ يقاسها غلامٌ كالزَّلَمْ (٢) خَدَلَّج (٣) الساقين ممسوح القدمْ

ثم أقبل من عام قابل حاجا قد قلد الهدى ، فأراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبعث اليه فنزلت هذه الاية حتى بلغ (ولا آمين البيت الحرام) فقال له ناس من أصحابه : يا رسول الله خل بيننا وبينه فانه صاحبنا فقال : إنه قد قلد ".

وقد اختصره العز فقال : " أتى الحُطم بن هند الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : إلامَ تدعو ؟ فأخبره ، فخرج فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه ، ثم أقبل من العام المقبل حاجا مقلدا الهدى فأراد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبعث اليه فنزلت. فقال ناس من الصحابة : يا رسول الله خل بيننا وبينه فانه صاحبنا فنزلت ".

فيلاحظ أن الماوردى قد ذكر قصة الحطم مطولة مفصلة بينما العز قد اختصرها الى النصف تقريبا فى عبارة موجزة بينت سبب نزول الاية وأعانت على فهمها ، وقد ترك بعض التفاصيل اختصارا .

---

(١) الوضم : كل شئ يوضع عليه اللحم من الخشب أو بارية يوقى به من الارض . راجع : مختار الصحاح " وضم ".

(٢) الزلم : واحد الازلام ، وهى السهام . راجع : مختار الصحاح " زلم ".

(٣) الخدلج : هو الممتلئ الساقين أو الذراعين . راجع معجم مقاييس اللغة (٢/٢٤٨) " الخدلجة ".

وهناك امثلة اخرى كثيرة وقد اكتفى البحث بهذا القدر خشية التطويل . وفى هذا ايضاح لمنهج العز فى اختصاره لاسباب النزول المطولة حيث يكتفى بجزء من الحادثة وهو الذى له علاقة بالاية ، أو يعبر عن السبب بعبارة موجزة وتؤدى الغرض ويترك بعض التفصيلات لقلة اهميتها اختصارا كما تقدم فى الامثلة السابقة .

المبحث الرابع

وتكلم [illegible] وتصريف الكلمات ، واشتقاقها ، ووجوه الاعراب من العلوم التى يحتاج اليها المفسر ومن أهم أركان التفسير فلا بد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله من الرجوع الى اللغة العربية ، والاستعانة بها فى شرح ألفاظه ، ومعرفة مشتقاته واعراب كلماته .

قال العز : "وتتوقف معرفة القرآن على معرفة اللغة والاعراب .

قال ابن عباس : (اذا أشكل عليكم شىء من القرآن فالتمسوه فى الشعر فانه ديوان العرب) فما كان موجبا للعمل جاز أن يستدل عليه بالاحاد والبيت والبيتين من الشعر ، وما كان موجبا للعلم فلا يستدل عليه بمثل ذلك "(1)

فالعز يعتنى كثيرا ببيان معانى مفردات الاية ، وأصول الكلمات اللغوية التى اشتقت منها ، ويربط بينها وبين المعنى المراد من الكلمة فى الآية . ويستطرد ـ أحيانا ـ فى التفاصيل اللغوية ويذكر الفروق بين الكلمات المتقاربة ويشير ـ أحيانا ـ الى بعض الوجوه النحوية ، ويعلل لبعض المعانى ويمثل لها ويستشهد عليها بالشعر .

ويمكن أن نبين منهجه فى التفسير اللغوى فى الاوجه الاتية :

الوجه الاول : بيانه لأصل اشتقاق الكلمة وربطه بينه وبين الكلمة من الآية . واليك أمثلة على ذلك :

١ ـ قوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون) الاية / ٣ من سورة البقرة .

قال العز : "(رزقناهم) أصل الرزق الحظ ، فكان ما جعله حظا

---

(1) انظر : كتابه "الاشارة الى الايجاز" ص (٢٧٩) .

من عطائه رزقا . (ينفقون) وأصل الانفاق الاخراج ، نفقت الدابة خرجت روحها ، والمراد : الزكاة "ع" ، أو نفقة الاهل ، أو التطوع بالنفقة فيما يقرب الى الله تعالى ".

فلاحظ بيانه لأصل "الرزق" وهو "الحظ" ولأصل "الانفاق" وهو "الاخراج" وتمثيله له بـ "نفقت الدابة" حتى يتضح ، ثم بيانه للمراد به في الآية .

٢ ـ قوله تعالى : (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون) الاية / ١٤ من سورة البقرة .

قال العز : " (شياطينهم) رؤسهم في الكفر ، أو اليهود الذين يأمرونهم بالتكذيب . شيطان فيعال ، من شطن اذا بعد ـ نونه شطون ـ سمي به لبعده عن الخير ، أو لبعد مذهبه في الشر ، نونه أصلية . أو من شاط يشيط اذا هلك ، زائد النون . أو من التشيط وهو الاحتراق ، سمي ما يؤول اليه أمره ".

فلاحظ ذكره لأصل مأخذ "الشيطان" فيحتمل أنه من "شطن" اذا بعد ، ومثاله : "نوى شطون" أي جهة بعيدة . ثم ذكر علاقة هذه التسمية بالاصل ، وهي "بعده عن الخير ، أو بعد مذهبه في الشر".

ويحتمل أنه مأخوذ من "شاط يشيط" اذا هلك أو احترق فالنون ـ على هذا ـ زائدة وعلاقة التسمية "ما يؤول اليه أمره".

٣ ـ قوله تعالى : (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) الاية / ١٨ من سورة البقرة .

قال العز : " (صم) أصل الصمم : الانسداد ، قناة صماء أي غير مجوفة ، وصممت القارورة سددتها . فالاصم : المنسد خروق السامع " .

فلاحظ بيانه لاصل الصمم والتمثيل على ذلك بمثالين مختلفين للايضاح .

٤ ـ قوله تعالى : (أو كالذي مر على قرية ، وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه)

الاية / ٢٥٩ من سورة البقرة .

قال العز : " (كالذى مر) مزبر ، أو أرميا ، أو الخضر . (قريـة) بيت المقدس لما خربه بختنصر ، أو القرية التى خرج منها الالوف حـذر الموت . (خاوية) خراب من الخواء ، وهو الخلو ، ومنه خوت الـدار ، والخوا الجوع لخلو البطن . (عروشها) العروش البناء . (يحيى هذه الله) بالعمارة (بعد موتها) بالخراب . (يوما أو بعض يوم) قال ذلك ، لانه مات أول النهار ، وعاش بعد المائة آخر النهار فقال : يوما ، ثم رأى بقيـة الشمس فقال : أو بعض يوم . (لم يتسنه) لم يأتِ عليه السنون فيتغير ، أو لم يتغير بالاسن . (ننشرها) نحييها ، من نشر الثوب ، لان الميت كالثـوب المطوى ، لانقباضه عن التصرف فاذا عاش فقد انتشر بالتصرف . (ننشزهـا) نرفع بعضها الى بعض ، النشز المكان المرتفع ، نشزت المرأة لارتفاعها عـن طاعة زوجها . قاله ملك أو نبى أو بعض المعمرين ممن شاهد موته وحياتـه ." فلاحظ بيانه لأصل " خاوية " ، وتوجيهه لقراءة (ننشرها) (وننشزها) ،وبيانه لأصل " النشر " و " النشز " والتمثيل عليهما . ولاحظ شرحه لبقية مفردات الآيـة كل ذلك التحليل اللغوى فى عبارة سهلة واضحة قد تمتنع على غيره لان بعـض الناس يحلل الالفاظ ولكنه يزدها غموضا وابهاما .

٥ ـ قوله تعالى : (وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأتِ بما غـل يوم القيامة) الاية / ١٦١ من سورة آل عمران .

قال العز : " (يُغَل) يتهمه أصحابه ويخونونه ، أو أن يغلـه أصحابه ويخونونه . والغلول من الغلل وهو دخول الماء خلال الشجـر فسميت الخيانة غلولا لوقوعها خفية . والغِل : الحقد لجريانه فى النفـس مجرى الغلل ".

فلاحظ بيانه لاصل " الغلول " وبيانه لسبب تسمية هذه الخيانة غلـولا . ثم لاحظ استطراده فى بيان مأخذ " الغِل " وأنه يجتمع مع " الغلول " فـى أصل واحد وهو " الغلل ".

٦ ــ قوله تعالى : (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحـــلام بعالمين) الاية / ٤٤ من سورة يوسف . قال العز : (أضغاث) أخـــلاط أو ألوان ، أو أهاويل ، او أكاذيب ، أو شبهة احلام ،أبو عبيـــــدة : الأضغاث مالا تأويل له من الرؤيا . قال :

كضِغث حُلم غُرَّ منه حالِمُـــه

والضغث : حزمة الحشيش المجموع بعضه الى بعض ، وقيل ما ســـلا الكف . الاحلام فى النوم مأخوذة من" الحلم " وهو الاناة والسكون ، لأن النـوم حال أناة وسكون ".

فلاحظ الاقوال التى ذكرها فى معنى "أضغاث" وكلها لا تخرج عـــن أصله الذى يدل على التباس الشيء بعضه ببعض . ثم استطرد فذكر معنى آخـر لـ" ضغث" وهو الحزمة من الحشيش . ثم بين أصل "الأحلام" فهى من" الحلم" وهو الاناة والسكون . ثم ربط بينها وبين هذا الأصل بأنها تقع فى النوم الذى هو حال أناة وسكون .

٧ ــ قوله تعالى : (قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) الآية / ٥١ من سورة يوسف .

قال العز : "(حصحص الحـــق) وضح وبان "ع" ، وفيه زيادة تضعيـف مثل "كبوا وكبكبوا قاله الزجاج . مأخوذ من حص شعره اذا استأصل قطعة ،والحصة من الأرض قطعة منها ، فحصحص الحق : انقطع عن الباطل بظهوره وبيانـــه " . فلاحظ بيانه لاصل " حصحص " فهو مضعف مثل "كبوا وكبكبوا " وأصله من " حـــص شعره" ومنه "الحصة من الارض " وهى القطعة . ثم ربط بين أصل الكلمة والمعنـى المراد بها فى الآية بعبارة دقيقة موجزة أبرزت المعنى المعقول حتى صار كأنـــه مُحس وهى قوله : " فحصحص الحق " : انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه .

٨ ــ قوله تعالى : (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهـــم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه) الاية / ١٧ من ســورة الكهف . قال العز :"(تقرضهم) تحاذيهم ، القرض : المحاذة . أو تجوزهـم منحرفة وتقطعهم ، قرضته بالمقراض قطعته . أو تعطيهم القليل من شعاعهـــا ثم تأخذه بانصرافها ، من قرض الدراهم التى ترد ."

فقد ذكر العز للقرض فى اللغة ثلاثة معانى ، ثم ربط بين هـــذه المعانى والمعنى المراد من قوله تعالى : (تقرضهم) فالأول : أن القرض بمعنى المحاذاة ،فالشمس تحاذيهم . والثانى : أنه بمعنى القطع ، ومنـــه قرضته بالمقراض أى قطعته فالشمس تجوزهم منحرفة وتقطعهم . والثالـــث: أنه بمعنى قرض الدراهم التى ترد ، فالشمس تعطيهم القليل من شعاعهـــا ثم تأخذه بانصرافها .

الوجه الثانى : بيانه للفروق بين الكلمات :

واليك أمثلة على ذلك :

١ ــ قوله تعالى : (ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) الايـة / ١٥ من سورة البقرة. قال العز : (ويمدهم) يملى لهم ، أو يزيدهم . مـــددت وأمددت ، أو مددت فى الشر وأمددت فى الخير ، أو مددت فيما زيادتـــه منه ، وأمددت فيما زيادته من غيره ". فلاحظ أنه ذكر فى معنى " مـــــددت وأمددت " قولين : ــ الأول : أنهما بمعنى واحد وهو الزيادة مطلقـــــا . والثانى : التفريق بينهما فـ " مددت " زدت فى الشر ، و " أمددت " زدت فى الخير ، أو " مددت " فيما زيادته منه ، و " أمددت " فيما زيادته من غيـــره .

٢ ــ قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضـــاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) الاية / ١٧ من سورة البقرة . قال العز : "(أضاءت) ضاءت النار فى نفسها ، وأضاءت ما حولها . قال :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههـــم
دُجى الليل حتى نظَّم الجَزعَ ثاقِبُـة "

فلاحظ تفريقه بين " ضاءت " و " أضاءت " فالاول لازم ، والثانى متعدٍ واستدل على الثانى بالشعر.

٣ ــ قوله تعالى : (وكذَّبَ به قومُكَ وهو الحق) الاية / ٦٦ مـــن سورة الانعام . قال العز : " (وكذب به) بالقرآن ، أو بتصريف الآيـــات. (وهو الحق) أى ما كذبوا به ، والفرق بينه وبين الصواب ، أن الصـــواب لا يدرك الا بطلب ،والحق قد يدرك بغير طلب".

لاحظ تفريقه بين الحق والصواب .

٤ ــ قوله تعالى : (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أَسِفاً قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم) الاية / ١٥٠ من سورة الاعراف قال العز : " والعجلة : التقدم بالشىء قبل وقته . والسرعة : عمله فى أول أوقاته " .

٥ ــ قوله تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الاية / ٩ من سورة الانفال. قال العز : " (تستغيثون) تستنصرون ،أوتستجيرون فالمستجير : طالب الخلاص ، والمستنصر : طالب الظفر ، والمستغيث : المسلوب القدرة ،والمستعين : الضعيف القدرة (فاستجاب لكم) أغاثكم الاستجابة ما تقدمها امتناع ، والاجابة ما لم يتقدمها امتناع ، وكلاهما بعد السؤال ".

٦ ــ قوله تعالى : (قالوا يا لوط إنا رُسُلُ ربك لن يصلوا إليك فأسرِ بأهلك بقطع من الليل) الاية / ٨١ من سورة هود . قال العز : " (فأسرِ) السُرى سير الليل . وسَرَى واسرَى واحد . او اسرَى من أول الليل وسرى من آخره . ولا يقال فى النهار الا سار ". فالعز ذكر فى معنى " سرى واسرى " قولين : الأول : أنهما بمعنى واحد ، وهو سير الليل مطلقاً . والثانى : التفريق بينهما فـ" أسرى " من أول الليل و" سرى " من آخره ".

الوجه الثالث استشهاده بالشعر :

وقد استشهد بالشعر على معانى بعض الكلمات وهو لا يكثر كما فعل الماوردى بل يقتصر على بعضه .

وقد عقدت مقارنة بينهما فى ذلك ، فأحصيت الأبيات التى استشهد بها الماوردى فبلغت خمسة عشر فى سورة ابراهيم ، وستة عشر فى سورة الحجر ، وعشرين فى سورة الكهف بينما اقتصر العز على بيتين منها فى سورة الحجر وبيت واحد فى سورة الكهف وبيت واحد فى سورة ابراهيم ، وهو فى تفسير قوله تعالى : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله) الآية / ٥ .

قال العز : " (وذكرهم) عظهم بما سلف فى الايام الماضيـــة ، أو بالايام التى انتقم فيها بالقرون الاول ، أو بنعم الله لانها تُسم بالايام .

وأيام لنا غُرٍ طِوالٍ .....

فالعز ذكر فى تفسيره (أيام الله) ثلاثة أقوال ، الثالث منهـــا : أن الايام معناها نعم الله لانها تُسمى بالايام ، واستشهد عليه بصـــدر بيت من معلقة عمرو بن كلثوم .

وفى هذا الاستشهاد نظر لانه محتمل أن يكون معنى الأيام فـــى البيت " وقائع الحروب " ووصفها بِغُر لعلوهم على الملك وامتناعهم فيها منه ، فأيامهم غُر لهم ، وطِوال على أعدائهم .

وبهذا شرحه النحاس (١) والطبرى (٢) ورجحه وقال : " وليـــس للذى قال هذا القول ، من أن فى هذا البيت دليلا على أن " الايـــام " معناها النعم ـ وجه ....." الخ .

وأما البيتان اللذان فى سورة الحجر فهما فى تفسير قوله تعالـــى : (الذين جعلوا القرآن عِضين) الاية / ٩١ .

قال العز : " (عِضين) فرقا بعضه شعرا وبعضه سحرا وبعضـــه أساطير الاولين . جعلوه أعضاء كما تُعضى الجزور وعضينى جمع عضو مـــن عضيت الشىء تعضية اذا فرقته " ع " :

وليس دين الله ـ تعالى ـ بالمعضى (٣)

---

(١) انظر كتابه " شرح القصائد التسع (٢/ ٨٢٨) .
(٢) انظر تفسيره (١٦/ ٥٢٠ معارف) .
(٣) هذا من رجز رؤبة وليس فيه " تعالى " ولعلها زيادة من الناســـخ راجع : ديوانه ص ٨١ وتفسير الطوسى (٦/ ٣٥٤) والطبرســـى (١٤/ ٤١) واللسان " عضا " ومعجم الشواهد العربية (٢/ ٤٩١) .

أى المفرق . أو العضين جمع عضه وهو البهت لانهم بهتوا كتاب الله ـ تعالى ـ فيما رموه به ، عضهت الرجل عضها بهته . قال :

إن العضيهة ليست فعل أحرار "

فالعز ذكر فى معنى " عضين " قولين :ـ

أحدهما : أن عضين جمع عضو من عضيت الشئ تعضية اذا فرقته " ع " واستشهد عليه برجز رؤبة :

وليس دين الله بالمعضى

أى المفرق .

الثانى : أن عضينى جمع عضه ، وهو البهت لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى ـ فيما رموه به ، واستشهد له بقول الشاعر :

إن العضيهة ليست فعل أحرار .

ولم أعثر على هذا الشعر فى المصادر التى تيسر لى الاطلاع عليها .

والبيت الذى فى سورة الكهف فى تفسير قوله تعالى : (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جُرُزاً) الاية / ٨ .

قال العز : " (جرزا) بلقعا ، أو ملسا ، أو محصورة ، أو يابسة ، لا نبات بها ولا زرع .

قد جرفتهن السنون الاجراز "

فالعز ذكر فى تفسير (جرزا) أقوالا متقاربة ، والاخير منها : أن جرزا بمعنى يابسة لا نبات بها ولا زرع ، واستشهد عليه بقول الراجز .

قد جرفتهن السنون الاجراز

---

(١) راجع : تفسيره (١٥ / ١٩٧) طبع الحلبى .

قال الطبرى : " ويقال للسنة المجدبة : جرز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها قال الراجز[1] فذكر الرجز السابق .

ـــ الوجه الرابع : آشارته الى بعض الوجوه النحوية ، مثاله : ـــ

قوله تعالى : (إياك نعبد) الاية / ٥ من سورة الفاتحة .

قال العز : " (إياك) الخليل: إيا اسم مضاف الى الكاف ،

الاخفش : (إياك) كلمة واحدة لان الضمير لا يضاف " أ هـ .

فالعز ذكر وجهين للنحاة فى " إياك " فنسب الاول الى الخليل ، والثانى الى الاخفش .

وراجع ـ أيضا ـ توجيهه لقراءة (إن هذان لساحران) الاية / ٦٣ من سورة طه ، فقد ذكر وجوها نحوية فى توجيهها ، وسبق الاستشهاد بها فى مبحث القراءة . هذا وقد لاحظت اثناء دراستى لتفسيره أنه لا يكثر من ذكر الوجوه النحوية .

فمن الاوجه السابقة والامثلة عليها يتضح منهج العز فى تفسيره اللغوى لمفردات الايات .

فهو يُعنى بذكر الاصول اللغوية للكلمات ، ويربط بينها وبين المعنى المراد من الكلمة فى الاية ، كما أنه يذكر الفروق بين الكلمات المتقاربة فى اللفظ أو المعنى كما سبق بيانه بالأمثلة المتنوعة ويشير الى بعض الوجوه النحوية وهو فى ذلك كله يستشهد بالشعر وقد أكثر الماوردى من الشواهد الشعرية فى تفسيره ولكن العز اقتصر على القليل منها . كما سبق بيانه فى المقارنة بينهما .

---

(١) راجع : تفسيره (١٥ / ١٩٧) طبع الحلبى .

المبحث الخامس

الأحكام الفقهيـــــة

والعز يعتنى بآيات الاحكام ويفسرها ويذكر أقوال العلماء فى بيـان معناها ، ويذكر الاحكام الفقهية التى تدل عليها ويشير الى مذاهـــــب الفقهاء فى ذلك ويعتنى ببيان مذهب الشافعى لان الماوردى صاحـــــب التفسير الاصل والعز الذى اختصره من أئمة الشافعية وعنايته بأقوال أئمـــــة المذاهب لا تظهر فى هذا المختصر لان العز قد حذف نسبة كثيرٍ مـــــن الاقوال .

ويمتاز بأنه لا يستطرد بذكر التفاصيل والفروع الفقهية التى لا تؤخذ من الايات وانما تؤخذ من السنة ، أو اجتهاد الفقهاء ، لأن محل هـــذه الفروع كتب الفقه ولكن بعض المفسرين استطرد فذكر هذه الفروع فى تفسيـــره كالقرطبى .

وسوف أعقد مقارنة بينه وبين العز حتى يتضح منهج العز فى تفسير آيات الأحكام . واليك أمثلة على ذلك :

١ ــ قوله تعالى : (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت إن تـــرك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين) الايـــة / ١٨٠ من سورة البقرة .

قال العز فى تفسيرها : " (خيرا) مالا اتفاقا ها هنا ، قـــــال مجاهد : الخير المال فى جميع القرآن (إنه لحب الخير) [العاديات/٨] (أحببت حب الخير) [ص / ٣٢] (إن علمتم فيهم خيرا)[النـــور / ٣٣] ، أراد المال فى ذلك ، (إنى أراكم بخير) [هود / ٨٤] بغنـــى ومال . كانت الوصية للوالدين والاقربين واجبة قبل نزول المواريث فلمـــا نزلت المواريث نسخ وجوبها عند الجمهور . أو نسخ منها الوصية لكـل وارث ، وهى الوجوب فيمن لا يرث من الاقارب . والمال الذى يجب عليه أن يوصـــى منه ألف درهم ، أو من ألف الى خمسمائة ، أو يجب فى كل قليل وكثيـــــر .

فلو أوصى بثلثه لغير قرابته رُد الثلث على قرابته ، أو يُرد ثلث الثلث على القرابة وثلثا الثلث للموصى له ، أو ثلثاه للقرابة وثلثه للموصى له . (على المتقين) التقوى فى أن يقدم الاحوج فالاحوج من أقاربه ".

فالمزقد تناول فى تفسير هذه الاية المسائل الاتية :

الاولى : بين أن المراد بقوله : (خيرا) المال اتفاقا ، واستدل على هذا بآيات أخرى .

الثانية : ذكر أن الجمهور ذهبوا الى نسخ وجوب هذه الآية وذهب آخرون الى أنه نسخ منها الوصية لكل وارث . والناسخ لها عندهم قوله تعالى : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) الاية / ١١ من سورة النساء، ولم يذكر رأى من قال : إنها محكمة[1] ، وهو الراجح عندى لأن النسخ بين الحكمين إنما يكون اذا تنافى العمل بموجبهما ، ولا تنافى بين آية الوصية وآية المواريث فكيف تكون هذه ناسخة لتلك مع فقد التنافى فآية الوصية عامة خُص عمومها بآية المواريث ، فيبقى وجوب الوصية فيمن لا يرث كالوالدين الكافرين والعبدين وذوى الارحام .

الثالثة : ذكر فى المال الذى يجب عليه أن يوصى منه قولين :
الاول : الكثير وقدره بألف ، أو من ألف الى خمسمائة .
والثانى : فى كل قليل وكثير .

الرابعة : ذكر أن الوصية تكون بالثلث وهذا بيان لقوله تعالى : (بالمعروف) وقد روى عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " الثلث والثلث كثير ".

الخامسة : دلت الآية على أن الوصية واجبة لقرابته فلو أوصى بثلثه لغير قرابته فما الحكم ؟

---

(١) انظر : تفسير الطبرى (٣/ ٣٨٥) طبع المعارف والطبرسى (٢/ ١٠٥) والفخر الرازى (٥/ ٦١) .

وقد أجاب العز عن ذلك بثلاثة أجوبة .

السادسة : فسر التقوى فى أن يقدم الاحوج فالاحوج من أقاربه .

فنلاحظ أن العز قد تناول هذه المسائل فى تفسيره لهذه الآية وكلها تؤخذ من الآية . أما القرطبى فقد ذكر فى تفسير هذه الآية إحدى وعشرين مسألة فى عشر صفحات ونصف . اشتملت على هذه المسائل بتوسع ومسائل أخرى بعضها استطراد لا يؤخذ من الاية ، من ذلك قوله فى المسائل الآتية : —

" التاسعة : وأجمعوا أن للانسان أن يغير وصيته ويرجع فيما شاء منها الا أنهم اختلفوا من ذلك فى المدبر .... " ثم فصل القول فى ذلك .

العاشرة : واختلفوا فى الرجل يقول لعبده : أنت حر بعد موتى وأراد الوصية فله الرجوع عند مالك فى ذلك ..... الخ .

" الثالثة عشرة : ذهب الجمهور من العلماء الى أن المريض يحجر عليه فى ماله ، وشذّ أهل الظاهر فقالوا : لا يحجر عليه وهو كالصحيح ، والحديث والمعنى يرد عليهم ..... " الخ .

" الرابعة عشرة : واختلفوا فى رجوع المجيزين للوصية للوارث فى حياة الموصى بعد وفاته ..... الخ " .

" الخامسة عشرة : فان لم ينفذ المريض ذلك كان للوارث الرجوع فيه لانه لم يفت بالتنفيذ قاله الابهرى ..... الخ " .

" السادسة عشرة : واختلفوا فى الرجل يوصى لبعض ورثته بمال ويقول فى وصيته إن أجازها الورثة فهى له ، وان لم يجيزوه فهو فى سبيل الله ، فلم يجيزوه ؟ ..... الخ " .

" السابعة عشرة : لا خلاف فى وصية البالغ العاقل غير المحجور عليه واختلف فى غيره ..... " .

" الثامنة عشرين : قال العلماء : المبادرة بكتب الوصية ليست مأخوذة من هذه الاية وانما هى من حديث ابن عمر ..... " الخ .

"الحادية والعشرون : روى الدار قطنى عن أنس بن مالـــك قال : كانوا يكتبون فى صدور وصاياهم (هذا ما أوصى به فلان بن فـــلان أنه يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . . . .)"[1] الخ

فهذه المسائل التى ذكرها القرطبى لا تؤخذ من الاية ، وانمـــا هى من السنة واجتهاد الفقهاء فمحلها كتب الفقه ، لان الاولى فى التفسير أن يقصر على ما تضمنته الاية ، فالاستطرادات الكثيرة تشتت الذهن عـــن تدبر معنى الاية .ولهذا امتاز تفسيـر العزلايات الاحكام على تفسيـــر القرطبى ، لان العزلا يسمح لنفسه بالاستطرادات والتوسع فى بيـــان الاحكام الفقهية مع أنه فقيه لان هذا يحول التفسير الى فقه ، ويشتت ذهن القارئ عن تدبر معنى الآية .

٢ ــ قوله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيـــل فريضة من الله والله عليم حكيم) الاية / ٦٠ من سورة التوبة .

قال العز فى تفسيرها : " (للفقراء والمساكين) الفقير المحتـاج العفيف عن السؤال ، والمسكين المحتاج السائل "ع" ، أو الفقير المحتـاج الزمن والمسكين المحتاج الصحيح . أو الفقراء هم المهاجرون ، والمساكين غير المهاجرين . أو الفقراء من المسلمين والمساكين من أهل الكتـــاب . أو الفقير الذى لا شئ له لانكسار فقاره بالحاجة والمسكين له ما لا يكفيـــه لكن يسكن اليه . أو الفقير له ما لا يكفيه والمسكين لا شئ له يسكن اليـــه . (العاملين) السعاة لهم ثمنها ، أو أجر مثلهم (والمؤلفة) كفار ومسلمون ، فالمسلمون منهم ضعيف النية فى الاسلام فيتألف تقوية لنيته كعُيينة بن بـــدر والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ، ومنهم من حسن اسلامه لكنه يُعطـى تأليفا لعشيرته من المشركين كعدى بن حاتم ، والمشركون منهم من يقصـــد

---

(١) راجع : تفسيره (٢/ ٢٥٧ ــ ٢٦٨) .

أذى المسلمين فيتألف بالعطاء دفعا لاذاه كعامر بن الطفيل ، ومنهم من يميل الى الاسلام فيتألف بالعطاء ليؤمن كصفوان ابن أمية . فهذه أربعة أصناف . وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعطى هؤلاء وبعده هل يعطون فيه قولان ، لان الله ـ تعالى ـ قد أعز الدين (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) [الكهف / ٢٩] (الرقاب) المكاتبون ، أو عبيد يشترون ويعتقون . (الغارمين) من لزمه غرم دين (سبيل الله) الغزاة الفقراء والاغنياء (وابن السبيل) المسافر لا يجد نفقة سفره وان كان غنيا فى بلده قاله الجمهور ، أو الضيف ".

فالعز ذكر تفسير الاصناف الثمانية الذين تصرف لهم الزكاة وقد ذكر ستة أقوال فى صفة الفقير والمسكين . وهذه هى عادته فانه يكثر من أقوال المفسرين فيذكر ستة كما هنا ، أو أكثر كما فى مواضع أخرى من تفسيره .

وقد بين أصناف المؤلفة قلوبهم الذين كان يعطيهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم أربعة أصناف . وهل يعطون بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكر مذهبين للعلماء .

فيلاحظ أنه فى تفسيره للاية لا يستطرد ولا يخرج عما تضمنته الاية . فنجد القارئ لتفسيره مشدودا مع الآية متدبرا لها . بينما لو رجعت الى تفسير القرطبى (٨/ ١٦٧ ـ ١٩٢) لهذه الاية لوجدت أنه كتب عنها ثلاثين مسألة فى أربع وعشرين صفحة جمع فيها كل ما قاله الفقهاء فيمن تصرف لهم الزكاة مما دلت عليه الاية أو السنة .

ومن المسائل التى ذكرها وليست تؤخذ من الآية المسائل الاتية :

" الرابعة : وهى فائدة الخلاف فى الفقراء والمساكين ، هل هما صنف واحد ، أو أكثر تظهر فيمن أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين .... " الخ .

" السادسة : وقد اختلفت العلماء فى نقل الزكاة عن موضعها على ثلاثة أقوال ..... " الخ .

"الخامسة والعشرون : ولا يجوز أن يعطى من الزكاة من تلزمه نفقته ....." الخ .

"السادسة والعشرون : فان أعطاها لمن لا تلزمه نفقتهم فقد اختلف فيه ، فمنهم من جوزه ومنهم من كرهه . قال مالك : خوف المحمدة . وحكى مطرف أنه قال : رأيت مالكا يعطى زكاته لاقاربه ...." الخ .

"التاسعة والعشرون : واختلفوا فى جواز صدقه التطوع لبنى هاشم ....." .

وهناك مسائل أخرى فيها استطرادات تركتها خشية الاطالة راجعها فى تفسيره .

ومحل هذه المسائل كتب الفقه لا التفسير . فكان الاولى بالقرطبى أن يقصر تفسيره على ما يؤخذ من الاية . بينما العز قد اقتصر على ما يؤخذ من الاية فامتاز عليه فى ذلك .

المبحث السادس

الاسرائيليات

الاسرائيليات هى كل ما يروى عن أهل الكتاب من قصص وأساطير تتعلق بما حدث للأولين وما جرى للانبياء والمرسلين ـ ولا تخلو هذه الاسرائيليات من تناقض وكذب لانها مأخوذة من التوراة والانجيل ، وقد أصابهما التحريف .

وسبب دخول هذه الاسرائيليات الى كتب التفسير هو أن التوراة والانجيل قد اشتملا على كثير مما اشتمل عليه القرآن الكريم من قصص الانبياء والسابقين (وذلك على اختلاف فى الاجمال والتفصيل ، فالقرآن اذا عرض لقصة من قصص الانبياء ـ مثلا ـ فانه ينحو فيها ناحية يخالف بها منحى التوراة والانجيل ، فتراه يقتصر على مواضع العظة ، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل ، فلا يذكر تاريخ الوقائع ، ولا أسماء البلدان التى حصلت فيها كما أنه لا يذكر فى الغالب أسماء الاشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث ، ولا يدخل فى تفاصيل الجزئيات ، بل يتخير عن ذلك ما يمس جوهر الموضوع ، وما يتعلق بموضع العبرة) [1] .

أما التوراة والانجيل فيذكران تفاصيل القصة وجزئياتها . لذا نجد الصحابى اذا مر على قصة من قصص القرآن يتشوف الى معرفة ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له ، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا فى الاسلام كعبد الله بن سلام ـ وكعب الاحبار ووهب بن منبه .

غير أن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ لم يكثروا الاخذ عن أهل الكتاب ، بل كانوا يسألونهم عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحا للقصة وبيانا لما أجمله القرآن منها . (أما التابعون فقد توسعوا فى الاخذ عن

---

(١) راجع التفسير والمفسرون لاستاذى المرحوم الدكتور الذهبى (١/ ١٦٨)

أهل الكتاب فكثرت على عهدهم الروايات الاسرائيلية فى التفسير ، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب فى الاسلام ، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير اليه القرآن من أحداث يهودية ونصرانية [1]) ثم جاء بعد عصر التابعين من أفرط فى الاخذ من الاسرائيليات الى درجة جعلتهم لا يردون قولا ، ويقبلون كل ما يُروى ولو كان غير معقول ويلصقوا ذلك بالقرآن .

واستمر هذا الولع بنقل هذه الاخبار الى أن جاء عصر التدوين للتفسير فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الاسرائيلى .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " ولكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فانها على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق ، فذاك صحيح .

والثانى : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث : ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخارى عن عبد الله ابن عمرو ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا كثيرا ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون فى مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعدتهم . وعصا موسى من أى الشجر كانت ، وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم ، وتعيين البعض الذى ضُرب به المقتول من البقرة . ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى الى غير ذلك مما أبهمه الله فى القرآن مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا دينهم ،

---

(١) راجع : المصدر السابق (١/ ١٧٥) .

ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز "(١)

وقد اختلفت مواقف المفسرين من هذه الاسرائيليات ، فمنهم من أكثر من روايتها ، كمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) فى تفسيره وابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فى تفسيره : (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) والثعلبى (ت ٤٢٧) فى تفسيره : (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) ومنهم من قلل من نقلها ، وكان على حذر منها كابن عطية (ت ٥٤١) فى تفسيره : (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز) وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) فى تفسيره : (تفسير القرآن العظيم) ، والعز بن عبد السلام الذى أنا بصدد تفسيره ، ويهمنى أن أبين موقفه منها على وجه التفصيل .

ـ فالعز قد نقل فى تفسيره أخبارا اسرائيلية ، ولكنه لم يكثر كبعض المفسرين ، واذا نقل فانه يختصر ما ينقله ، ويقتصر منه على ما يوضح معنى الآية ، ويبين ما أجمله القرآن من القصص . وقد يعقب بالرد على بعض الاسرائيليات التى تخالف ما عندنا مثاله : ـ

قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الاية / ١٧٥ من سورة الاعراف .

قال العز فى تفسيرها : " (آياتنا) الاسم الاعظم الذى تجاب به الدعوات ، أو كتاب من كتب الله ـ تعالى ـ قاله ابن عباس ـ رضى الله عنهما ، أو أوتى النبوة فرشاه قومه على أن يسكت عنهم ففعل ، ولا يصح هذا ".

ذكر العز فى تفسيره (آياتنا) ثلاثة أقوال اسرائيلية ، وقد رواها الطبرى مطولة ، ولكن العز اختصرها هنا ، وتعقب القول الثالث بالرد ، فهو غير صحيح ـ كما قال ـ ، لان الله ـ تعالى ـ لا يصطفى لنبوته الا من

---

(١) راجع مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٤٥ ، ٤٦ ، وتفسير ابن كثير (١/ ٤) .

علم أنه لا يخرج عن طاعته الى معصيته . بينما روى الطبرى هذا القـــول بدون تعقيب (١) .

وتعقيب العز على مثل هذه الاخبار التى تخالف ما عندنا نـــادر ، والغالب أنه يذكرها بدون تعقيب مثال ذلك :

قوله تعالى : (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسمـــا خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح) الآية / ١٥٠ من سورة الاعراف .

قال العز فى تفسيرها : " (وألقى الالواح) غضبا لمـــا رأى عبادة العجل قاله ابن عباس ــ رضى الله تعالى عنهما ــ أو لما رأى فيهـا أن أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خير أمة أخرجت للناس ، يأمـــرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، قال : رب اجعلهم أمتى ، قال : تلك أمة أحمد فاشتد عليه فالقاها قاله قتادة " .

فهذا الخبر قد ذكره العز ولم يعقب عليه بالرد مع أن مـــا ورد فيه غريب جدا ، ولا يمكن صدوره من موسى ــ عليه السلام ــ لأنه يتعـــارض مع ما عليه الانبياء من الخلق العظيم . وكان الاولى بالعز التنبيه على بطلان هذا الخبر ، أو استبعاده .

وقد رواه الطبرى مطولا جدا ومختصرا ، ولم يعقب عليه . (٢)

بينما ذكره ابن الجوزى (٣) والقرطبى (٤) وابن كثير ، وتعقبـــوه بالرد ، فقال ابن كثير : " ثم ظاهر السياق أنه انما ألقى الالواح غضبـــا على قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفا وخلفا ، وروى ابن جرير عـــن

---

(١) راجع : تفسيره (٩/١٢٢) طبع الحلبى .
(٢) راجع : تفسيره (١٣/١٢٣ ــ ١٢٥) طبع المعارف .
(٣) راجع : تفسيره (٣/٢٦٤) .
(٤) راجع : تفسيره (٧/٢٨٨) .

قتادة فى هذا قولا غريبا لا يصح اسناده الى حكاية قتادة ، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ووضاعون وافاكون وزنادقة ". (١)

كما أن العز يذكر أخبارا اسرائيلية لا تخالف ما عندنا ، ولا توافقه ، فبعضها قد يكون معقولا ، وبعضها غير معقول فهو أشبه بالخرافة والاساطير وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى أمر دينى واليك أمثلة على ذلك :

١ ـ قوله تعالى : (فقلنا اضربوه ببعضها) الآية / ٧٣ من سورة البقرة . قال العز فى تفسيرها : " (ببعضها) بفخذها . أو ذنبها أو عظم من عظامها . أو بعض آرابها . أو البضعة التى بين الكتفين ".

٢ ـ قوله تعالى : (وأوحينا الى موسى أن الق عصاك فاذا هى تلقفُ ما يأفِكُونَ) الآية / ١١٧ من سورة الاعراف . قال العز فى تفسيرها : " (عصاك) هى أول آيات موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من آس الجنة ، طولها عشرة أذرع بطول موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فضرب بها باب فرعون ففزع فشاب فخضب بالسواد حياء من قومه ، وكان أول من خضب بالسواد قاله ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ".

٣ ـ قوله تعالى : (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) الآية / ٣٨ من سورة هود .

قال العز فى تفسيرها : " (ويصنع الفلك) مكث مائة سنة يغرس الشجر ويقطعها ويبسها ، ومائة سنة يعملها ، وكان طولها ألفا ومائتين ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت مطبقة ، أو طولها أربعمائة ذراع وعلوها ثلاثون ذراعا ، وعرضها مائة وخمسين ذراعا ، وعلوها ثلاثين ذراعا . فى أعلاها الطير ، وفى أوسطها الناس وفى أسفلها السباع . ودفعت

---

(١) راجع : تفسيره (٢/ ٢٤٨)

الجودى يوم عاشوراء ، وكان بابها فى عرضها ".

وقد روى الطبرى عن عائشة وقتادة والحسن وابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أخبار سفينة نوح بنحو ما ذكره العز ، ولم يعقب عليها (١) . بينما ذكرها الفخر الرازى (٢) والالوسى وعقبا عليها بالرد ، فقال الالوسى : "وسفينة الاخبار فى تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها اذ هى غير سالمة عن عيب ، فالحرى بحال من لا يميل الى الفضول أن يؤمن بأنه ـ عليه السلام ـ صنع الفلك حسبما قص الله تعالى فى كتابه ، ولا يخوض فى مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ، ومن أى خشب صنعها ، وبكم مدة أتم عملها الى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ، ولم تبينه السنة الصحيحة "(٣) .

٤ ـ قوله تعالى : (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) الآية/ ١٨ من سورة الكهف .

قال العز فى تفسيرها : " (وكلبهم) من جملة الكلاب اسمه : "حمران" أو "قطمير" ، أو هو انسان طباخ لهم ، أو راعى " .

ففى تفسير هذه الآيات نقل العز تفصيلات اسرائيلية لا فائدة فيها تعود الى أمر دينى ، فكان الاولى به صون تفسيره منها ، لأنه لا يضر الجهل بها ، والعلم بها ليس بنافع ، فلو كان نافعا لا خبرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ بها ، ولكنه اقتصر على ما فيه النفع فكان الاولى الوقوف عند خبر الله ، وعدم الخوض فى التفاصيل الاسرائيلية .

٥ ـ قوله تعالى : (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) الاية / ٢٤٨ من سورة البقرة .

---

(١) راجع : تفسيره (١٥/ ٣١٠ ـ ٣١٦) طبعة المعارف .
(٢) راجع : تفسيره (١٧/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) .
(٣) راجع : تفسيره (١٢/ ٤٥) والتعليق على الاية فى تحقيق تفسير العز .

قال العز فى تفسيرها : " (سكينة)ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان . أو طست ذهب من الجنة كان تغسل فيه قلوب الانبيـــاء . أو روح من الله تتكلم . . . . "

وقد روى هذه الأقوال الطبرى الاول عن على ،والثانى عن ابن عباس والسدى ، والثالث عن وهب بن منبه (١) . وذكرها ابن كثيـــر (٢) والسيوطى (٣) ولم يعقبوا عليها بينما ذكرها الشوكانى وعقب عليها قائلا : " هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت الى هؤلاء الاعلام من جهـــة اليهود أقماهم الله ، فجاءوا بهذه الامور لقصد التلاعب بالمسلميـــن ـ رضى الله عنهم ـ والتشكيك عليهم ، وانظر الى جعلهم لها تـــارة حيوانا وتارة جمادا ، وتارة شيئا لا يعقل ، كقول مجاهد : كهيئة الريح لها وجه كوجه الهر ، وجناحان وذنب مثل ذنب الهر ، وهكذا كل منقول عن بنى اسرائيل يتناقض ، ويشتمل على ما لا يعقل فى الغالب ، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويا عن النبى ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ ولا رأيا رآه قائله ، فهم أجل قدرا من التفسير بالرأى ، وبمـــا لا مجال للاجتهاد فيه ، اذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب الرجوع فـــى مثل ذلك الى معنى السكينة لغة ، وهو معروف ، ولا حاجة الى ركـــوب هذه الامور المتعسفة المتناقضة ، فقد جعل الله عنها سعة " أ هـ .

٦ ـ قوله تعالى : (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهـــان ربه) الاية / ٢٤ من سورة يوسف .

قال العز فى تفسيرها : "(برهان ربه) نودى أتزنى فتكـــون كطائر وقع ريشه فذهب يطير فلم يستطع ، أو رأى صورة أبيه يقول : أتهـــم

---

(١) راجع : تفسيره (٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩) طبع المعارف .
(٢) راجع: تفسيره (١/ ٣٠١)
(٣) راجع : تفسيره "الدر المنثور" (١/ ٣١٧) .

بفعل السفهاء وأنت مكتوب فى الانبياء فخرجت شهوته من أنامله ، وولد لكلٍ من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكرا الا يوسف لم يولد له الا غلامين[1] ، ونقص بتلك الشهوة ولده ....." .

فلاحظ الخبر الثانى الذى أورده فى تفسير البرهان ، فهو خبر اسرائيلى خرافى اسطورى ، فهل يصدق العقل أن الشهوة تخرج من الأنامل ؟ وهل خروج شهوة واحدة يسبب نقص الذرية من اثنى عشر ذكرا الى اثنين ؟

٧ ـ قوله تعالى : (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لِتَزُولَ منه الجبالُ) الآية / ٤٦ من سورة ابراهيم .

قال العز فى تفسيرها : " (مكرهم) .... وهى فيمن تجبر فى ملكه وصعد مع النسرين فى الهواء قاله على وابن مسعود ـ رضى الله عنهما " اهـ .

فالعز قد اقتصر على هذا الجزء من الخبر الاسرائيلى ، لايضاح معنى الآية ، وترك بقية تفاصيل الخبر اختصارا . وقد رواه الطبرى مطولا ، ولم يعقب عليه ، وسوف أذكر رواية الطبرى حتى يتضح وجه غرابة هذا الخبر ، وبعده ، وعدم تصديق العقل له ، كما يتضح منهج العز فى إيراده للاخبار الاسرائيلية حيث أنه يقتصر منها على ما يوضح معنى الآية .

روى الطبرى أن عليا قال فى هذه الاية (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) قال : أخذ ذلك الذى حاج ابراهيم فى ربه نسرين صغيرين فرباهما ، ثم استغلظا واستعلجا وشبا ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتد الى تابوت ، وجوعهما ، وقعد هو ورجل آخر فى التابوت ، قال : ورفع فى التابوت عصا على رأسه اللحم ، قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا

---

(١) هكذا فى الاصل ، والاصوب " إلا غلامان " لانه استثناء مفرغ .

كأنها ذباب ، فقال : صوب العصا ، فصوبها فهبطا"(١) .

وقد ذكر هذا الخبر ابن الجوزى (٢) والقرطبى (٣) وابن كثير (٤) مطولا ، ولم يعقبوا عليه بالرد ، بينما ذكره الفخر الرازى مطـــولا ، وتعقبه قائلا : "قال القاضى : وهذا بعيد جدا لان الخطر فيه عظيـم ولا يكاد العاقل يقدم عليه ، وما جاء فيه خبر صحيح ، ولا حجة فـــى تأويل الآية البتة "(٥) .

من الامثلة السابقة يتضح منهج العزفى ايراده للاخبـــــار الاسرائيلية ، وموقفه منها . فهو لا يكثر منها كبعض المفسرين المكثرين ، واذا ذكر شيئا منها فيختصره ، ويقتصر منه على ما يوضح معنى الآية .

ويورد من هذه الاخبار أنواعا مختلفة ، فيورد منها ما يخالـــف ما عندنا ويعقب عليه ، وغالبا ما يورده بدون تعقيب ، كما يورد منهـــا ما تجوز حكايته ، فبعضه معقولا كاختلافهم فى البعض الذى ضُرب بـــه القتيل من البقرة ، وبعضه غير معقول بل هو أشبه بالخرافة والاساطيـــر كما فى الامثلة الاخيرة .

فكان الاولى بالعز أن يعقب بالرد على هذه الاخبار الاسرائيلية ، فيضيف بهذا الى تفسير الماوردى إضافة نافعة مفيدة ، أو ينزه مختصره من هذه الاخبار التى لا فائدة فيها بل بعضها له أثر سىء فى التفسير ، حيث يصرف القارىء عن تدبر معانى الآيات ، وما فيها من عظة وعبـــرة ، كما أنه يشكك القارىء فيما ورد فى التفسير من تفاسير صحيحة فيظـــن أن الكل من واد واحد .

---

(١) راجع : تفسيره (١٣/ ٢٤٤) طبع الحلبى .
(٢) راجع : تفسيره (٤/ ٣٧٣) .
(٣) راجع : تفسيره (٩/ ٣٨٠) .
(٤) راجع : تفسيره (٢/ ٥٤٢) .
(٥) راجع : تفسيره (١٩/ ١٤٤) .

المبحث السابع

الترجيح والتوجيه

آيات القرآن ، منها ما هو جلى واضح ، وهذا لا يُختلف فى تفسيره غالبا .

ومنها ما هو خفى يحتمل وجوها من التأويل ، فهذا يختلف العلماء فى تأويله . فعلى المفسر أن يستوعب أقوال العلماء فى ذلك ، ويناقشها وينبه على الراجح [1] منها ويدلل عليه ، ويرد ما عداه ، ويذكر سبب الخلاف ، وفائدته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته فيشتغل به عن الاهم .

(فأما من حكى خلافا فى مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص [يعنى تفسيره] اذ قد يكون الصواب فى الذى تركه ، أو يحكى الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا [2]) .

والناظر فى كتب التفسير يجد أن بعضها يعنى بمناقشة الأقوال التى قيلت فى تفسير الآية ، وترجيح الراجح والتدليل عليه ورد ما عداه ، وقد برز هذا المنهج واضحا قويا فى تفسير الطبرى ، وابن عطية ، والفخر الرازى ، بينما نجد هذا المنهج يضعف فى تفاسير أُخرى تسرد الأقوال سردا دون مناقشة الا فى حالات قليلة ، كتفسير العز الذى سوف يبين البحث منهجه فى الترجيح والتوجيه والتعقيب .

فالعز يستوعب الاقوال التى قيلت فى تفسير الآية غالبا ، ولكنه لا يناقشها ، ولا ينبه على الراجح الا قليلا بقوله : هذا هو الأصح ، أو الأظهر ، أو الأشبه ، ولا يوجه ما يرجحه ويرد على ما يخالفه الا فى حالات قليلة ، وقد يعقب على بعض الأقوال وهو فى ذلك متابع للماوردى . وقد يستدل عنه بتعقيب ، أو اعتراض ، ويميز ذلك بقوله : " قلت" مبالغة فى الدقة والامانة العلمية .

---

(١) راجع : البرهان للزركشى (٢/١٦٦ — ١٦٨) فقد ذكر قاعدة نافعة فى الترجيح .

(٢) انظر مقدمة فى أصول التفسير ص ٤٧ .

هذا ، ولم تبرز شخصية العز فى تفسيره كمفسر يتناول الكثير من الاقوال بالنقد والرد ، وتارة بالترجيح والتوجيه والتعقيب ، وسوف يبين البحث الوجوه التى سلكها العز فى الترجيح موضحة بالامثلة كالاتى :

الوجه الاول : أنه يرجح بدون توجيه لما يرجحه ، مثال ذلك :

١ ـ قوله تعالى : (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) الآية /١٢٥ من سورة البقرة .

قال العز فى تفسيرها : " (مقام ابراهيم) عرفة ومزدلفة والجمار ، أو الحرم كله ، أو الحج كله ، أو الحجر الذى فى المسجد على الاصح .

(مصلى) مُدَّعى يُدعى فيه ، أو الصلاة المعروفة ، وهو أظهر " .

فالعز حكى فى تفسير "المقام" اربعة أقوال ، وقد رجح القول الرابع بقوله : "أو الحجر الذى فى المسجد على الاصح" كما أنه حكى فى تفسير "المصلى" قولين ، وقد رجح القول الثانى بقوله : "وهو أظهر" ، ولم يوجه ترجيحه بذكر الدليل على ذلك ، وكان الاولى به أن يستكمل ترجيحه بالتدليل عليه ، ولعله ترك ذلك اختصارا .

وهو فى ذكر هذه الاقوال وترجيحه متابع للطبرى ، ولكن الطبرى ذكر الدليل على ذلك الترجيح (١) .

وقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره أقوال العلماء فى تفسير "المقام والمصلى" ورجح ما رجحه العز ، واستدل على أن المقام هو الحجر الذى فى المسجد بستة وجوه (٢) . كما رجح ذلك ـ أيضا ـ القرطبى وذكر الادلة عليه .(٣)

---

(١) راجع : تفسيره (٣/ ٣٦ ـ ٣٨) .
(٢) راجع : تفسيره (٤/ ٤٨ ، ٤٩) .
(٣) راجع : تفسيره (٢/ ١١٢ ، ١١٣)

٢ ــ قوله تعالى : (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الآيــة / ١٥٨ من سورة البقرة .

قال العز فى تفسيرها : " (الصفا) جمع صفاة ، وهى الحجارة البيض . (والمروة) حجارة سود . والاظهر : أن الصفا الحجارة الصلبة التى لا تنبت ، والمروة : الحجارة الرخوة " .

فالعز ذكر فى معنى (الصفا والمروة) قولين لاهل اللغة ، ورجح الثانى بقوله : " والاظهر .... " الخ .

ولم يذكر دليلا على ذلك ، وكان الاولى به أن يستدل على ذلــك بشىء من كلام العرب أو الشعر .

٣ ــ قوله تعالى : (أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو علــى سفر فعدة من أيام أُخر) الاية / ١٨٤ من سورة البقرة .

قال العز فى تفسيرها : " (أياما معدودات) هى شهر رمضــان عند الجمهور . أو الايام البيض عند ابن عباس ــ رضى الله تعالى عنهما ــ ثم نسخت برمضان ، وهى الثانى عشر وما يليه ، أو الثالث عشر وما يليــه على الاظهر " .

فالعز ذكر قولين فى تعيين " الايام البيض " ، ورجح القول الثانى ، ولم يذكر دليلا على ذلك ، بينما الماوردى (ق ١/ ٦٧ ب) ذكر الدليل على ذلك ، فقال : " وفيها وجهان ، أحدهما : أنه الثانى عشــر وما يليه . والوجه الثانى : أنها الثالث عشر وما يليه ، وهو أظهــر الوجهين ، لان أيام الشهر مجزأة عند العرب عشرة أجزاء كل جزء منهــا ثلاثة أيام تختص باسم ، فأولها ثلاث غرر ، ثم ثلاث شهب ، ثم ثــلاث بهر ، ثم ثلاث عشر ، ثم ثلاث بيض ، ثم ثلاث درع ..... " الخ . وقد استطرد فى شرح هذا الدليل بكلام طويل بلغ ثلاثة عشر سطــرا ، فذكر فيه الخلاف فى الهلال متى يصير قمرا .

الوجه الثانى : أنه يوجه ما يرجحه ، مثاله :

١ ــ قوله تعالى : (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى) الآية / ٧٨ من سورة البقرة .

قال العز فى تفسيرها : " (أُميون) قوم لم يصدقوا رسولا ولا كتابا ، وكتبوا كتابا بأيدهم ، وقالوا : لجهالهم : هذا من عند الله . والاظهر أن الامى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب ، نُسب الى أصل ما عليه الامة من أنها لا تكتب ابتداء ، أو إنه على ما ولدته أمه ، أو نسب الى أمه ، لان المرأة لا تكتب غالبا ".

فالعز ذكر قولين فى تفسير "الأمى" ، ورجح الثانى بقوله : "والاظهر أن الامى هو الذى لا يقرأ ولا يكتب" وقد وجه ذلك بقوله : "نسب الى أصل ما عليه الامة من أنها لا تكتب ابتداء ..... " الخ .

وقد رجحه ــ أيضا ــ الطبرى (١) والفخر الرازى (٢) والقرطبى (٣) واستدلوا عليه بقول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" . (٤)

٢ ــ قوله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل) الاية / ٢١٧ من سورة البقرة .

قال العز مرجحا نسخ حكم هذه الآية : "وتحريم ذلك محكم عند عطاء منسوخ على الاصح ، لأن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ

---

(١) راجع : تفسيره (٢/ ٢٥٩) طبع المعارف .
(٢) راجع : تفسيره (٣/ ١٣٩) .
(٣) راجع : تفسيره (٢/ ٥) .
(٤) رواه البخارى (فتح ٤/ ١٢٦ صوم / ١٣) ومسلم (٢/ ٧٦١ صوم / ٢) والامام أحمد (المسند ٢/ ٤٣ حلبى) عن ابن عمر ــ رضى الله عنه .

غزا هوازن وثقيفا ، وأرسل أبا عامر الى أوطاس فى بعض الاشهر الحرم ، وبايع على قتال قريش بيعة الرضوان فى ذى القعدة " أ . هـ

هذا الترجيح قد تابع فيه العزُ الطبرىَّ (١) وقد سبق توضيح ذلك فى الفصل الاول فى مبحث المصادر.

وفى هذا الترجيح نظر ، وذلك أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما غزا هوازن وثقيفا ابتداء وانما سمع أنهم تجمعوا فى حنين لحربه فسار اليهم فلما انهزموا أرسل أبا عامر الى أوطاس فى آثار من توجه منهم قبل أوطاس . وكذلك بيعة الرضوان ما كانت ابتداء وانما كانت لما بلغ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتلُ عثمان ـ رضى الله عنه ـ بمكة وأنهم عازمون على حربه بايع حينئذ المسلمين على دفعهم .

فهذه الأدلة لا تنسخ الآية لان من شرط النسخ التعارض ، وهذه الأدلة لا تعارض الآية بل توافقها . لأن الآية أباحت القتال عند وجود سبب أكبر يقتضيه .

٣ ـ قوله تعالى : (قال اجعلنى على خزائن الارض إنى حفيظ عليم) الآية / ٥٥ من سورة يوسف .

قال العز : " وهذا مجوز لطلب الولاية لمن هو أهل لها : فان كان المولى ظالما جاز تقلد الولاية منه اذا عمل الوالى بالحق لأن يوسف قبل من فرعون ، أو لا يجوز ذلك لما فيه من تولى الظالمين ومعونتهم بالتزكية وتنفيذ أعمالهم ، وانما قبل يوسف من الملك ولاية ملكه الخاص به ، أو كان فرعون يوسف صالحا وكان فرعون موسى طاغيا ، والأصح أن ما جاز لأهله توليه من غير اجتهاد فى تنفيذه جازت ولايته من الظالم

---

(١) راجع : تفسيره (٤/٣١٤ ، ٣١٥) طبع المعارف .

كالزكوات المنصوصة ، وما لا يجوز أن ينفردوا به كأموال الفيء لا يجوز توليه من الظالم ، وما يجوز أن يتولاه أهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضاء فان كان حكما بين متراضيين أو توسطا بين مجبورين جاز ، وان كان الزام اجبار لم يجز " .

فيلاحظ أن العز ذكر قولين في تقلد الولاية من المولي الظالم، أحدهما : الجواز ، لأن يوسف قبل من فرعون ، كما دلت على ذلك الآية . والثاني : المنع ، وقد وجه ذلك بقوله : " ولا يجوز ذلك لما فيه من تولي الظالمين ومعونتهم . . . . " الخ .

وأجاب عن القول الاول بجوابين أحدهما " انما قبل يوسف من الملك ولاية ملكه الخاص به ، والثاني : أن فرعون يوسف كان صالحا ، وكان فرعون موسى طاغيا .

ثم تعقب القولين ، ورجح أن المسألة ليست على الجواز مطلقا ، أو المنع مطلقا ، وانما فيها تفصيل ، وقد فصل ذلك بقوله : " والأصح أن ما جاز لأهله توليه من غير اجتهاد في تنفيذه جازت ولايته من الظالم . . . . . " الخ .

الوجه الثالث : أنه يتعقب بعض الأقوال مثاله :

١ ـ قوله تعالى : (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما) الآية/ ١٥٨ من سورة البقرة .

قال العز في تفسيرها : " (فلا جناح عليه أن يَطَّوَّفَ بهما) لما كانوا يطوفون بينهما في الجاهلية تعظيما لا ساف ونائلة تحرجوا بعد الاسلام أن يضاهوا ما كانوا يفعلونه في الجاهلية فنزلت ، وقرأ ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ (فلاجناح عليه أن لا يطوف بهما) فلذلك أسقط أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ السعيَ . ولا حجة في ذلك ، لأن " لا " صلة مؤكدة كـ (ما منعك أن لا تسجد) [الاعراف / ١٢]" اهـ .

فالعز قد ذكر قولين فى "السعى" أحدهما : الوجوب. والثانى : أنه لا يجب ، وهو قول أبى حنيفة محتجا بقراءة ابن عباس وابن مسعود ، وقد تعقبه العز بقوله : "ولا حجة فى ذلك ، لأن "لا" صلة مؤكدة ....." الخ .

٢ ــ قوله تعالى : (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود) الاية / ١٨٧ من سورة البقرة .

قال العز فى تفسيرها : " (الخيط الأبيض) قال على رضى الله تعالى عنه : (الخيط الابيض) الشمس ، قال حذيفة : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يتسحر وأنا أرى مواقع النبل ، فقيل لحذيفة : بعد الصبح ، فقال : هو الصبح الا أنه لم تطلع الشمس ، والاجماع على خلاف هذا . أو الأبيض الفجر الثانى ، والاسود سواد الليل قبل الفجر الثانى ، كان عدى يراعى خيطا أبيض وخيطا أسود جعلهما تحت وسادته فأخبر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذلك ، فقال : إنك لعريض الوساد انما هو بياض النهار وسواد الليل ، وكان بعضهم يربط فى رجليه خيطا أبيض وخيطا أسود ، ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له ، فأنزل الله عز وجل (من الفجر) فعلموا أنه انما يعنى الليل والنهار" أ هـ .

فالعز حكى قولين فى تفسير (الخيط الابيض) أحدهما : أن الخيط الابيض الشمس والأسود سواد الليل ، واستدل عليه بحديث حذيفة (١) . وتعقبه بأنه مخالف للاجماع . والثانى : أن الخيط الابيض الفجر الثانى ، والاسود سواد الليل ، واستدل عليه بحديث عدى ، وسبب النزول . (٢)

---

(٢٠١) راجع : تخريج هذه الاحاديث فى التعليق على هذه الآية فى تحقيق تفسير العز.

وقد رجح الطبرى القول الثانى مستدلا عليه بما سبق ، وبأنه المعروف من كلام العرب ، وأجاب على حديث حذيفة بقوله : " وأما الخبر الذى روى عن حذيفة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ، كان يتسحر وأنا أرى مواقع النبل . فانه قد استشبت فيه فقيل له : أبعد الصبح ؟ فلم يجب فى ذلك بأنه كان بعد الصبح ، ولكنه قال: " هو الصبح " . وذلك من قوله يحتمل أن يكون معناه : هو الصبح لقربه منه ، وان لم يكن هو بعينه ، كما تقول العرب : " وهذا فلان " شبيها ، وهى تشير الى غير الذى سمته فتقول : " هو هو " ، تشبيها منها له به ، فكذلك قول حذيفة : " هو الصبح " ، معناه : هو الصبح شبيها به وقربا منه ". (١)

٣ ـ قوله تعالى : (قال اجعلنى على خزائن الارض إنى حفيظ عليم) الآية / ٥٥ من سورة يوسف .

قال العز فى تفسيرها : " (خزائن) الاموال . أو الطعام . أو الخزائن : الرجال ، لان الأقوال والأفعال مخزونة فيهم. وهذا تعمق مخالف للظاهر ". أ هـ .

فالعز ذكر فى معنى (خزائن) ثلاثة أقوال ، الثالث منها : أن معنى الخزائن : الرجال ، وقد وجه ذلك بأن الاقوال والافعال مخزونة فيهم ، وتعقب ذلك بأنه تعمق مخالف للظاهر.

٤ ـ قوله تعالى : (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الاية / ٣١ من سورة الاعراف .

قال العز فى تفسيرها : " (خذوا زينتكم) ستر العورة فى الطواف . أو فى الصلاة ، أو التزين بأجمل اللباس فى الجمع والأعياد . أو أراد النَّشْطَ لتسريح اللحية ، وهو شاذ " أ هـ.

---

(١) راجع : تفسيره (٣/٥٢٩) طبع المعارف .

فالعز ذكر أربعة أقوال فى تفسير (خذوا زينتكم) وتعقب الرابع بانه شاذ .

والعز فى تلك الوجوه متابع للماوردى ، وقد يستقل عنه فى بعض التعقيبات ويميز ذلك بقوله " قلت " مثال ذلك :ـ

١ ـ قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها) الآية / ١٠٦ من سورة البقرة .

قال العز فى تفسيرها : " (أو ننسها) ننسكها ،كان يقرأ الآية ثم ينسى وترفع . أو يريد به الترك ، أى ما نرفع من آية ، أو نتركها فلا نرفعها قاله ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما . قلت : وفيه اشكال ظاهر . أو يريد به نمحها " أ هـ .

فالعز ذكر فى تفسير (ننسها) ثلاثة أقوال ، الثانى منها : أن معنى ننسها الترك : أى نتركها فلا نرفعها ، وتعقب هذا القول بأن فيه اشكال ظاهر ، وكان الاولى به أن يبين وجه هذا الاشكال. ولعله يريد به ما استشكله الزجاج فى كتابه معانى القرآن(١٦٧/١) وقد نقله الطبرسى فى تفسيره(٤٠٩/١) ورد عليه بقوله : " والوجه الثانى وهو أن المراد بالنسيان الترك فى الاية . روى عن ابن عباس . فعلى هذا يكون المراد بـ" ننسها " نأمركم بتركها أى بترك العمل بها قال الزجاج : انما يقال فى هذا نسيت اذا تركت ولا يقال فيه أنسيت تركت وانما معنى (أو ننسها) أو نتركها أى نأمركم بتركها قال أبو على : من فسر أنسيت بتركت لا يكون مخطئا لانك اذا أنسيت فقد نسيت ومن هذا قال على بن عيسى انما فسره المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لأنه اذا أمر بتركها فقد تركها . فان قيل اذا كان نسخ الآية رفعها ، وتركها أن لا تنزل ، فان معنى ذلك ولم جمع بينهما ؟ قيل ليس معنى تركها ألا تنزل ،وقد غلط الزجاج فى توهمه ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس : نتركها فلا نبدلها " أ.هـ .

٢ ــ قوله تعالى : (يسألونك ماذا أُحل لهم قل أُحل لكم الطيبات) الاية / ٤ من سورة المائدة .

قال العز فى تفسيرها : " (الطيبات) الحلال وان لم يكن مستلذا تشبيها بالمستلذ . قلت وهو بعيد اذ لا جواب فيه " اهـ .

فاعتراض العز وجيه ، فلا يمكن أن يكون المراد بالطيبات ههنا المحللات والا لصار تقدير الاية : " قل أحل لكم المحللات " وهذا لا جواب فيه ، فوجب حمل الطيبات على المستلذ . (١)

٣ ــ قوله تعالى : ((ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة) الاية / ١١٣ من سورة الانعام .

قال العز فى تفسيرها : " (ولتصغى) تميل ، تقديره : ليغروهم غرورا ولتصغى . أو اللام للامر ، ومعناه الخبر . قلت : للتهديد أحسن " اهـ .

فالعز ذكر قولين فى " اللام " من قوله تعالى (ولتصغى) : الاول : أن اللام لام كى ، والعامل فيها يوحى ، تقديره : يوحى بعضهم الى بعض ليغروهم ولتصغى . والثانى : أن اللام للامر ، ومعناه الخبر ، وتعقبه بأن معناه للتهديد أحسن .

وقد خطأ هذا القول الفخر الرازى(٢) والقرطبى فقال : " وزعم بعضهم أنها لام الامر ، وهو غلط ، لانه كان يجب (ولتصغَ اليه) بحذف الالف ، وانما هى لام كى ". (٣)

٤ ــ قوله تعالى : (قال يا ابن أُمَّ لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) الاية / ٩٤ من سورة طه .

---

(١) راجع : تفسير الفخر الرازى (١١ / ١٤٢) .
(٢) راجع : تفسيره (١٣ / ١٥٧) .
(٣) راجع : تفسيره (٧ / ٦٩) .

قال العز فى تفسيرها : " (بلحيتى) أخذ شعره بيمينه ، ولحيته بيساره . أو بلحيته وأذنه فعبر عن الأذن بالرأس ، فعل ذلك ليسر اليه نزول الالواح عليه فى تلك المناجاة أرادة اخفائها على بنى اسرائيل قبل التوبة . أو وقع عنده أن هارون ما يلمهم فى أمر العجل . قلت : وهذا فجور من قائله ، لأن ذلك لا يجوز على الانبياء . أو فعل ذلك لتركه الانكار على بنى اسرائيل ومقامه بينهم ، وهو الأشبه " أ هـ.

فالعز ذكر فى سبب أخذ موسى بلحية هارون ثلاثة أقوال ، فتعقب القول الثانى بأنه فجور من قائله لأن ذلك لا يجوز على الانبياء . ورجح القول الثالث بقوله : وهو الأشبه ،

من الامثلة السابقة يتضح منهج العز فى الترجيح والتوجيه والتعقيب ، فهو يرجح بدون مناقشة ، وقد يناقش ، كما أنه يتعقب بعض الاقوال بالرد ، أو الاعتراض . وهو فى ذلك كله متابع للماوردى . وقد يستقل عنه بالتعقيب على بعض الأقوال فيميز ذلك بقوله : " قلت " مبالغة فى الدقة والامانة العلمية .

الفصل الثالث

مقارنة بين تفسيرى العز

سبق فى الكلام عن مؤلفات العز أن له تفسيرين :

أحدهما : اختصار تفسير الماوردى ، وهو موضوع الدراسة السابقة .

والآخر : من تأليفه ابتداء ، وهو تفسير مختصر من حيث المادة العلمية ، ولكنه أطول من تفسيره المختصر كما سيتضح فى هذه المقارنة ، لذا سميته مطولا تمييزا له عن تفسيره المختصر .

وسوف أعقد بينهما مقارنة سريعة أبين فيها بعض الأمور التى اتفقا فيها أو اختلفا كالاتى :

أولا : بدأ العز تفسيره المطول بتفسير الاستعاذة والبسملة ، ثم ذكر أسماء سورة الفاتحة وفسرها . ثم شرع فى تفسير سور القرآن سورة سورة من الفاتحة الى سورة الناس .

أما فى تفسيره المختصر ، فقد بدأ بمقدمة بين فيها أسماء القرآن ، ومعنى السبع الطُوَل ، والمئين ، والمثانى ، والمفصل ، والسورة ، والآية ، والأحرف السبعة ، والاعجاز بكلام موجز .

ثم ذكر أسماء الفاتحة وفسرها ثم فسر البسملة ، ثم شرع فى تفسير سور القرآن سورة سورة من الفاتحة الى سورة الناس .

ثانيا : فى تفسيره المطول يذكر البسملة فى أول كل سورة ، بينما فى تفسيره المختصر لم يذكرها الا فى أول سورة الفاتحة والكهف ومريم .

ثالثا : فى تفسيره المختصر يذكر فى أول كل سورة هل هى مكية أو مدنية ، وما استثنى منها ، بينما فى تفسيره المطول لا يذكر ذلك .

رابعا : فى تفسيره المختصر ذكر فى معنى "ألم" تسعة أقوال ، وقد استطرد فى بيان هذه الأقوال مما جعله يستشهد بحديث ضعيف من

رواية جابر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن هذه الحروف المقطعة من حساب الجمل . وقد جره ذلك الاستطراد الى بيان معانى "كلمات أبجد" ، وذكر فى ذلك أثرا موضوعا على ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وقد خرجت ذلك فى تحقيقى لهذا التفسير .

بينما فى تفسيره المطول ذكر خمسة أقوال فى معنى "ألم" بعبارة مختصرة ، القول الاول منها لم يذكره فى تفسيره المختصر .

واليك نص عبارته فى التفسيرين حتى يتضح لك ما تقدم .

قال فى تفسيره المختصر : سورة البقرة مدنية اتفاقا الا آية ، (واتقوا يوما ترجعون فيه) [٢٨١] نزلت يوم النحر بمنى فى حجة الوداع .

١ ـ (ألم) اسم من أسماء القرآن ، كالذكر ، والفرقان أو اسم للسورة أو اسم الله الاعظم ، أو اسم من أسماء الله أقسم به وجوابه ذلك الكتاب أو افتتاح للسورة .يفصل به ما قبلها ، لانه يتقدمها ولا يدخل فى أثنائها ، أو هى حروف قطعت من أسماء ، وأفعال ، الالف من أنا ، اللام من الله ، الميم من أعلم ، معناه "أنا الله أعلم" ، أو هى حروف لكل واحد منها معانى مختلفة ، الالف مفتاح الله ، أو آلاؤه ، واللام مفتاح لطيف ، والميم مجيد أو مجده ، والالف سنة واللام ثلاثون ، والميم أربعون سنة ، آجالا ذكرها ، أو هى حروف من حساب الجمل ، لما روى جابر قال : مر أبو ياسر بن أخطب بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ (ألم) ، فأتى أخاه حُيى بن أخطب فى نفر من اليهود ، فقال : سمعت محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتلو فيما أنزل عليه (ألم) ، قالوا : أنت سمعته قال : نعم ، فمشى حُيى فى أولئك النفر الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقالوا : يا محمد ، ألم يذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك (ألم)؟ قال : بلى ، فقال : أجاءك بها جبريل ـ عليه السلام ـ من عند الله ـ تعالى ـ قال : نعم ، قالوا : لقد بعث قبلك أنبياء ، ما نعلمه بين لنبى منهم مدة ملكه ، وأجل أمته غيرك ، فقال حيى لمن كان معه : الالف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه احدى

وسبعون سنة ، ثم قال : يا محمد هل كان مع هذا غيره قال : نعم ،قال: ماذا ، قال : (المص) قال : هذه أثقل وأطول ، الالف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه احدى وستون ومائة سنة ، وهل مع هذا غيره قال : نعم . فذكر (الر)فقال : هذه أثقل ، وأطول ، الالف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه احدى وسبعون ومئتا سنة ، ثم قال : لقد التبس علينا أمرك ، ما ندرى أقليلا أُعطيت أم كثيرا ؟ ثم قاموا عنه . فقال لهم أبو ياسر : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة ، قالوا : قد التبس علينا أمره . فيزعمون أن هذه الآيات نزلت فيهم (هو الذى أنزل عليك الكتاب) [ال عمران / ٧] ، أو اعلم الله تعالى العرب لما تحدوا بالقرآن أنه مؤتلف من حروف كلامهم ، ليكون عجزهم عن الاتيان بمثله أبلغ فى الحجة عليهم ، أو الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ أو افتتح به الكلام كما يفتتح بالا (١) .....

أبجد : كلمات أبجد حروف أسماء من أسماء الله [تعالى] "مأثور" ،أو هى أسماء الايام الستة التى خلق [الله ــ تعالى ــ] فيها الدنيا ، أو هى أسماء ملوك مدين قال :

ألا ياشعيب قد نطقت مقالة ... سبيت بها عمرا وحى بنى عمرو

ملوك بنى خطى وهواز منهم ... وسعفص أصل فى المكارم والفخر

هم صبحوا أهل الحجاز بغارة ... كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر

أو أول من وضع الكتاب العربى ستة أنفس " ابجد ، هوز ، حطى كلمن ، سعفص ، قرشت ، فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، وبقى ستة أحرف لم تدخل فى أسمائهم ، وهى : الظا ، والذال ،والشين ،والغين ، والثا ، والخا ، وهى الروادف التى تحسب بعد حساب الجمل ، قاله عروة بن الزبير .

---

(١) بعد هذا ثلاث كلمات تقريبا سقطت نتيجة قص ورقة الاصل ولم أجدها فى (ق ١/١٤ ب) .

ابن عباس : "أبجد "أتى آدم الطاعة ، وجد فى أكل الشجرة ، " هوز " نزل آدم فهوى من السماء الى الارض ، " حطى " فحطت عنه خطيئته ، " كلمن " فاكل من الشجرة ، ومن عليه بالتوبة " سعفص " فعصى آدم فأخرج من النعيم الى النكد " قرشت " فأقر بالذنب وسلم من العقوبة. أ هـ .

وقال فى تفسيره المطول : ﴿ سورة البقرة . بسم الله الرحمن الرحيم . (ألم) وسائر حروف الهجاء فى أوائل السور سر من أسرار الله لا يعلمه غيره . وقيل اسم من أسماء القرآن . وقيل مما يفتتح به القرآن . وقيل قسم ، وتحيير للكافر ليسمعوا ولا يلغوا وابتلاء لتصديق المؤمن وتكذيب الكافر﴾[1] أ هـ .

ففى هذين النصين يلاحظ ما يلى :ـ

أ ـ أنه فى تفسيره المختصر بين أن سورة البقرة مدنية باتفاق عدا قوله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه)[٢٨١] . بينما لم يذكر ذلك فى تفسيره المطول . وهكذا جرى فى جميع السور .

ب ـ أنه فى تفسيره المطول ذكر : "بسم الله الرحمن الرحيم " فى أول سورة البقرة . بينما فى تفسيره المختصر لم يذكرها .وهكذا جرى فى جميع السور عدا الفاتحة والكهف ومريم .

جـ ـ أنه فى تفسيره المختصر ذكر تسعة أقوال فى معنى (ألم) واستطرد فى ذلك ، بينما فى تفسيره المطول اقتصر على خمسة أقوال باختصار .

د ـ يلاحظ فى النصين أنه ذكر الأقوال بدون ترجيح كعادته فى التفسير ، فهو لا يرجح الا قليلا كما سبق بيانه فى مبحث الترجيح .

خامسا : يلاحظ عليه فى تفسيريه أنه لا يفسر جميع الآيات ، فقد يترك بعضها أو جزءا منها بدون تفسير لوضوحها . ولكن ما يتركه فى

---

(١) انظر : نسخة مكتبة دماد ابراهيم (ورقة /٢ ب)

تفسيره المختصر أكثر منه فى تفسيره المطول ، لذا صار هذا التفسير أطول من ذاك ، والا فهما مختصران .

سادسا : عنايته بالنحو والاعراب فى تفسيره المطول بارزة بينما لا نجد ذلك فى تفسيره المختصر اللهم الا اشارات قليلة . واليك تفسيره لهذه الآيات من أول سورة آل عمران ، حتى يتضح لك ما سبق .

(بسم الله الرحمن الرحيم . ألم [١] الله لا اله الا هو الحى القيوم [٢] نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل [٣] ..... الى قوله تعالى : (كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب [١١] .

قال العز فى تفسيره المختصر : " سورة آل عمران مدنية اتفاقا وهى مئتا آية .

٣ ـ (بالحق) بالصدق (مصدقا لما بين يديه) يخبر عما قبله خبر صدق دال على اعجازه ، أو يخبر بصدق الانبياء فيما أتوا به .

٧ ـ (محكمات) المحكم : الناسخ ، والمتشابه : المنسوخ ، أو المحكم : ما أحكم بيان حلا له وحرامه فلم يشتبه ، والمتشابه : ما اشتبهت معانيه ، أو المحكم : مالا يحتمل الا وجها واحدا والمتشابه : ما احتمل أوجها ، أو المحكم : ما لم يتكرر لفظه ، والمتشابه ما تكرر لفظه ، أو المحكم : ما فهمه العلماء ، والمتشابه مالا طريق لهم الى فهمه ، كقيام الساعة ، ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، وطلوع الشمس من مغربها وجعله محكما ومتشابها استدعاء للنظر من غير اتكال على الخبر . (أم الكتاب) آيات الفرائض والحدود ، أو فواتح السور التى يستخرج منها القرآن . (زيغ) ميل عن الحق ، أو شك . (ما تشابه منه) الاجل الذى أرادت اليهود [أن] تعرفه من حساب الجمل ، أو معرفة عواقب القرآن فى العلم بورود النسخ قبل وقته ، أو نزلت فى وفد نجران حاجوا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم فى المسيح عليه الصلاة والسلام فقالوا

للرسول : أليس هو كلمة الله ـ تعالى ـ وروحه ، فقال : بلى ، فقالوا : حسبنا . (الفتنة) الشرك ، أو اللبس ، أو الشبهة التى حاج بها وفد نجران . (وما يعلم تأويله) تأويل جميع المتشابه ، لأن فى الناس من يعلم تأويل بعضه ، أو يوم القيامة لما فيه من الوعد والوعيد . (الراسخون) الثابتون العاملون .

١١ ـ (كدأب آل فرعون) كعادتهم فى تكذيب الحق ، أو فى العقوبة على ذنوبهم " أ هـ .

وقال العز فى تفسيره المطول : " بسم الله الرحمن الرحيم . سورة آل عمران .

٢ ـ (الحى القيوم) صفة الله ، أو خبر محذوف أى هو الحى ، وكذلك (نزل) [٣] أى هو نزل (الكتاب) القرآن .

٤ ـ (الفرقان) النصر أو القرآن ، وانما كرر لأن الكتاب لبيان أنه مما يكتب ، والفرقان لبيان أنه يفرق من الحق والباطل . (عزيز) منيع لا يمتنع عنه أحد (ذو انتقام) سطوة وانتصار .

٧ ـ (منه) من الكتاب (محكمات هن) بمجموعهن (أم الكتاب) هى التى فيها الحدود والفرائض ، وضرب ذلك مثلا كما يقال أم القرى مكة وأم خرسان مرو أى أم لجميع الكتاب ، فوحد لفظ الام لاتحاد لفظ الكتاب (متشابهات) هو ما اشتبه على اليهود حين سمعوا (الم) فقالوا هذا بالجمل احد وسبعون فهو غاية أجل هذه الأمة فلما سمعوا (الر) وغيرها اشتبهت عليهم ، أو ما اشتبه على النصارى من قوله : (روح منه) وقيل المحكمات الناسخ ، أو مالم تشتبه معانيه ، أو ما ليس له تصريف ولا تحريف ، أو مالا يحتمل الا وجها وما لا يتكرر ألفاظه والمتشابه على أضداده ، وقيل المحكم ما فيه الفرائض والحدود أو ما فيه الحلال والحرام (فى قلوبهم زيغ) اليهود ، وقيل النصارى ، وقيل المنافقون وقيل الحرورية وهم الخوارج ومن تأول آية لا فى محلها (والزيغ) الميل عن

الحق وقيل هو الشك (الفتنة)الضلال، وقيل اللبس . مفهومه جـــواز الاتباع لا لابتغاء الفتنة (تأويله) قبل يوم القيامة ، وقيل عواقبـــه ، وقيل عمق معناه وكنه أصله كانه كره التعمق الذى يخرج عن حد التعليـل وفائدة التأويل ، والتأويل المرجـع (والراسخون) العلماء الذيـــن أتقنوا علمهم وحفظوه حفظا لا يدخلهم فيه شك ، وأصل ذلك من رســوخ الشىء وهو ثباته ودوامه ،وقيل (الراسخون) عطف على اسم اللـــه أى الثابتون المحققون العلم والاجتهاد حتى رسخ فى قلوبهم ، وعليه يحمل قول ابن عباس : أنا من الراسخين . وقول مجاهد : أنا ممن يعلـــم تأويله ، وقيل يؤمنون به ولا يعلمون تأويله . والراسخون مبتدأ بعـــد وقف (كل من عند ربنا) المحكم والمتشابه ثناء منه عز وجل عليهـــم بالايمان على التسليم واعتقاد الحقيقة بلاتكييف .

٨ ــ (لا تزغ) لا تمل (هديتنا) للعلم بالمحكم والتسليـــم للمتشابه (رحمة) بالتثبت ، وقيل تجاوزا ، وقيل لزوما على شرط السنة .

٩ ــ (ليوم) أى يوم القضاء وهو يوم القيامة .

١٠ ــ (من الله) أى من عذابه (وقود النار) حطبها .

١١ ــ (كدأب آل فرعون) عادتهم وسنتهم وهو خبر محـــذوف أى عادتهم كعادة فرعون" أ هـ .(١)

ففى هذين النصين يلاحظ ما يلى :

أ ــ فى تفسيره المطول تطرق الى تفسير ثمان آيات من الآيـــات السابقة ، بتفسير جميع الآية أو جزء منها . بينما فى تفسيره المختصـــر لم يفسر الا ثلاث آيات .

ب ــ فى تفسيره المختصر لم يتطرق الى الاعراب فى هذه الآيـات بينما فى تفسيره المطول تطرق الى الاعراب فى المواضع الاتية :

١ ــ" (الحى القيوم) صفة الله ، أو خبر محذوف ، أى هـــو الحى ، وكذلك (نزل) أى هو نزل (الكتاب) القرآن" .

---

(١) راجع : نسخة مكتبة دمادابراهيم ورقة/ ٢٦ ــ أ ، ب .

٢ ــ " وقيل : (الراسخون) عطف على اسم الله ، أى الثابتون المحققون العلم والاجتهاد حتى رسخ فى قلوبهم . . . . . .
. . . وقيل : يؤمنون به ولا يعلمون تأويله ، والراسخون مبتدأ بعد وقف " .

٣ ــ " (كدأب آل فرعون) عادتهم وسنتهم ، وهو خبر محذوف أى عادتهم كعادة فرعون " .

ومن أمثلة ذلك ــ أيضا ــ قوله تعالى : (ذِكْرُ رحمة ربك عبده زكريا) الآية / ٢ من سورة مريم .

قال العز فى تفسيره المطول : " (ذِكْرُ) خبر محذوف ، أى هذا ذِكْرُ ، وفيه تقديم ، أى ذِكْرُ ربك عبده برحمته ، معنى برحمته إجابته "(١)

ولم يذكر فى تفسيره المختصر هذه الآية .

سابعا : أنه فى تفسيره المطول يأتى بالمادة العلمية التى فى تفسيره المختصر ، ويضيف اليها شيئا من الايضاح والتفصيل ، كما أنه قد يحذف منها بعض الأقوال ، واليك مثال على ذلك :

قوله تعالى : (وهُدوا إلى الطيب من القول وهُدوا الى صراط الحميد [٢٤] إن الذين كفروا ويَصُدون عن سبيلِ الله والمسجدِ الحرامِ الذى جعلناه للناس سواءً العاكفُ فيه والبادِ ومن يُرد فيه بالحادٍ بظلمٍ نُذقه من عذاب أليمٍ) [٢٥] سورة الحج .

قال العز فى تفسيره المختصر :

٢٤ ــ (الطيب من القول) لا اله الا الله ، أو الايمان ، أو القرآن ، أو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (صراط الحميد) الاسلام أو الجنة .

---

(١) انظر : نسخة مكتبة قطر (١/١ ب)

٢٥ ــ (المسجد الحرام)المسجد نفسه (جعلناه للنـــاس) قبله ومنسكا للحج فحاضره والبادى سواء فى حكم المسجد ، أو فى حكـــم النسك ، أو أراد جميع الحرم فالحاضر والبادى سواء فى الأمن فيـــه وأن لا يقتلا به صيدا ولا يعضدا شجرا ، أو سواء فى دوره ومنازله فليـــس العاكف أولى بها من البادى(بالحاد) الالحاد : الميل عن الحـــق ، الباء زائدة ، قال الشاعر :

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفـــرج

(بظلم) بشرك ، أو باستحلال الحرام ، أو باستحلال الحرم تعمـــدا "ع" ، أو احتكار الطعام بمكة ، أو نزلت فى أبى سفيان وأصحابه لمـــا صدوا الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عام الحديبية "ع" (١) أ هـ .

وقال فى تفسيره المطول :

٢٤ ــ (وهدوا) هداهم الله فى الدنيا (الى الطيب) مـــن القول شهادة أن لا اله الا الله . (صراط الحميد)اضافة الشىء الـــى صفته كحب الحصيد ، وقيل هو الله المحمود بكل لسان وهو طريق الجنة ، وقيل الاسلام .

٢٥ ــ (ويصدون) أى عام الحديبية والواو مقحمة ، وقيل لأنـــه فعلهم دائما والحال مقارن الماضى فصح العطف كقوله (آمنوا وتطمئـــن) [الرعد / ٢٨] وقيل تقديره وهم يصدون . (والمسجد الحرام) هـــو الحرم ، وقيل مكة ، أو ما أحاطت به حدودها . (جعلناه) نصبنـــاه للناس وقف، والجملة مستأنفة ، ومن لم يقف جعل الجملة حالا ، ومن جعـــل الجعل بصيرا جعلها مفعولا ثانيا أى جعلناه مستويا فيه العاكف والبـــاد دليله قراءة سواء بالنصب ، والبادى المنتاب اليه من غيره . أى فـــى

---

(١) راجع : نسخة دار الكتب المصرية رقم (٣٢) ورقة(١١٦ ــ أ) .

الحرمة والتعظيم ، وقيل فى حرمة النسك ، وقيل فى المنزل حتى لا يباع ، أو فى الصلاة ، أو فى الأرض . (بالحاد) الباء زائدة بقول الله ـ عز وجل ـ ومن يرد الحادا ، وهو أن يميل[1] فى الحرم ودخلت الباء فى بالحاد كما فى (تنبت بالدهن) [المؤمنون / ٢٠] أو يرد صدا بالحاد . (بظلم) شرك ، أو استحلال حرام ، أو استحلال الحرم متعمدا ، وقيل احتكار طعام ، وقيل أى من يلجأ اليه بشرك يُقتل ، أو لا يُسقَ ولا يطعم حتى يخرج منه فيقتل فى عبد الله بن خطل قتل أنصاريا فقتل متعلقا بأستار الكعبة "[2] اهـ .

ففى هذين النصين يلاحظ ما يلى :

أ ـ فى تفسيره المختصر ذكر أربعة أقوال فى تفسير (الطيب من القول) ليس بينها اختلاف ، اذ هى من باب التفسير بالمثال ، فبعضهم مثل للقول الطيب بـ "لا اله الا الله" وبعضهم مثل له بـ "الايمان" ... الخ ، بينما فى تفسيره المطول اقتصر على القول الأول منها .

ب ـ فى تفسيره المختصر ذكر قولين فى تفسير (صراط الحميد) هما الاسلام ، أو الجنة . وقد ذكر نفس هذين القولين فى تفسيره المطول الا أنه أضاف الى ذلك فائدة نحوية فى معنى الاضافة فى (صراط الحميد) فذكر قولين :

أحدهما : أنها من اضافة الشىء الى صفته .

والقول الثانى : أنها من اضافة الشىء الى غيره ، فعلى هذا القول الحميد هو الله المحمود بكل لسان .

جـ ـ فى تفسيره المطول نقل . أربعة أقوال فى تفسير: (بظلم) هى "شرك، أو استحلال حرام . أو استحلال الحرم متعمدا وقيل احتكار الطعام" فهذه الأقوال موجودة فى تفسيره المختصر بالنص تقريبا .

---

(١) فى هامش النسخة "يقتل".
(٢) راجع : نسخة قطر ورقة (٢٤ ب)

وقد أضاف اليها فى تفسيره المطول زيادة تفصيل هى قوله : " وقيل من يلجأ اليه بشرك يقتل ، أولا يسق ولا يطعم حتى يخرج منه فيقتل ..... الخ "

د ـ فى بيانه لمعنى (بظلم) فى تفسيره المختصر ذكر أقوالا نسب قولين منها الى ابن عباس حيث رمز لذلك بـ " ع " وهى تعنى ابن عباس كما نبه على ذلك فى أول ورقة من تفسيره . بينما لم ينسب قولا من هذه الاقوال فى تفسيره المطول وقد لاحظت اثناء متابعتى لتفسيريه أن نسبته للاقوال فى تفسيره المطول أقل منها فى تفسيره المختصر .

هـ ـ فى تفسيريه قال : (بالحاد) الباء زائدة ، واستشهد على ذلك بالشعر فى تفسيره المختصر ، بينما لم يفعل ذلك فى تفسيره المطول وقد لاحظت أثناء المقارنة لمواضع متعددة من تفسيريه أن استشهاده بالشعر فى تفسيره المختصر اكثر منه فى تفسيره المطول .

و ـ فى تفسيره المطول تطرق الى النحو والاعراب فى قوله تعالى : (صراط الحميد) و (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) و (جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادِ) ، بينما فى تفسيره المختصر لم يفعل ذلك ، وهذا يؤكد ما سبق ذكره من أن عنايته بالنحو والاعراب فى تفسيره المطول أكثر منها فى تفسيره المختصر .

مثال آخر على إتيانه فى تفسيره المطول بالمادة العلمية التى فى تفسيره المختصر مع شئ من الايضاح والتفصيل .

وهذا المثال قوله تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين [٢٢١] تنزل على كل افاك أثيم [٢٢٢] يلقون السمع وأكثرهم كاذبون [٢٢٣] والشعراء يتبعهم الغاوون [٢٢٤] ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون [٢٢٥] وأنهم يقولون مالا يفعلون [٢٢٦] الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون [٢٢٧] سورة الشعراء .

قال العزفى تفسيره المختصر :

٢٢٤ ــ (والشعراء) يعنى الذين اذا غضبوا سبوا واذا قالوا كذبوا (يتبعهم الغاوون) الشياطين أو المشركون أو الشعـــراء ، أو الرواة "ع" .

٢٢٥ ــ (وادٍ يهيمون) فى كل فن من الكلام يأخذون "ع" ، أو فى كل لغو يخوضون ، أو يمدحون قوما بباطل ويذمون قوما بباطـــل ، والهائم المخالف فى القصد (١) ، أو المجاوز للحد .

٢٢٦ ــ (يقولون ما لا يفعلون) من كذب فى شعرهم بمـــدح أو ذم أو تشبيه أو تشبيب .

٢٢٧ ــ (الا الذين آمنوا) فانه لا يتبعهم الغاوون ولا يقولون ما لا يفعلون ، ولما نزلت (والشعراء) جاء عبد الله بن رواحة وكعـــب ابن مالك وبكيا عند الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقالا هلكنـــا يا رسول الله فنزلت (الا الذين آمنوا) فقرأها عليهم وقال أنتم هـــم (وذكروا الله) فى شعرهم ، أو فى كلامهم (وانتصروا) بردهم علـــى المشركين ما هجوا به المسلمين (منقلب) مصير يصيرون اليه من النـــار والعذاب ، والمنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود مـــن حال هو عليها الى حال كان فيها ". (٢)

وقال فى تفسيره المطول :

٢٢١ ــ (على من تنزل) بما تسترق من السماء .

٢٢٢ ــ (أفاك) كذاب ليوسوسه ، وقيل كاهن ، فى مسيلمـــة وطليحة .

---

(١) فى الاصل "العقد" ولعله خطأ من الناسخ ، والصواب ما أثبتـــه كما فى تفسيره المطول ،وتفسير الطبرسى (١٩/ ١٩٠)

(٢) انظر : نسخة دار الكتب المصرية (١٢٩ ــ أ ، ب) .

٢٢٣ ــ (يُلقون) أى تلقى الشياطين (السمع) أى السمـــوع الى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) فيما يخبرون يزيد الى الكلمة فيما يلقـــى اليه اكثر من مائة كذبة دليل على أن قليلا منهم كان مسترقا .

٢٢٤ ــ (الغاوون) أهل الهغى [1] والضلال لا أهل الرشـد والهدى . وهم الشياطين وقيل رواتهم ، وقيل السفلة والبطلـــــة ، وقيل المشركون يتبعون شعراءهم وقيل السفهاء .

٢٢٥ ــ (واد يهيمون) فن من الكذب يتحدثون أو فى كـــل لغو وباطل يخوضون ، وقيل يسبون ويمدحون باطلا ، والهائم الذاهـب على وجهه ، أو المخالف لقصده ، فى عبد الله بن الزبعرى وهبيـــرة ابن وهب ومسافع بن عبد مناف وأمية بن الصلت .

٢٢٦ ــ (يقولون ما لا يفعلون) فى ابن عودة الجمحى حيث قال :

ألا أبلغا عنى النبى محمداً بأنَّك حقٌ والمليك حميـــــدُ
ولكن اذا ذُكِّرتُ بدراً وأهلها تاوه منى أعظمُ وجلـــــودُ

وقيل ما يذكرونه من الكذب فى المدح والتفاخر والغـــــزل والشجاعة ، وأما الاستعارة فى التشبيهات فمأذون فيها وان تجـــاوزت الحد ، وقد أنشد كعب بن زهير رسول الله ــ صلى الله عليه وسلـــم ــ بانت سعاد ، وفيها من الاستعارات والتشبيهات حتى فى تشبيـــــه ريقها بالراح وقد كانت حرمت ولكن تحريمها لم يمنع عندهم طيبها بـــل تركوها مع الرغبة فيها والاستحسان لها وكان ذلك أعظم لإجورهم .

٢٢٧ ــ (آمنوا وعملوا الصالحات) من شعراء رسول اللـــه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كحسان وكعب بن مالك وكعب بن زهير . (وذكروا

---

(١) فى هامش النسخة "ح الغى" .

الله) فى شعرهم وكلامهم . (وانتصروا) ممن هجاهم من المشركين . (وسيعلم الذين ظلموا) بشركهم من أهل مكة . (منقلب) ينقلبون مرجع يرجعون اليه بعد مماتهم وهو جهنم ـ أعاذنا الله تعالى برحمته منها ـ وزحزحنا بفضله عنها "(١) اهـ .

فيلاحظ فى النصين أن المعلومات فيهما واحدة الا أنها فى النص الثانى مفصلة وموضحة أكثر مع اختلاف فى صياغة العبارة ، واتفاق فى طريقة العرض والاسلوب كما يلاحظ أن النص الثانى قد زاد على الاول بتفسير الثلاث الايات الاولى . وهذا يؤكد ما سبق تقريره من أن العز فى تفسيره المطول يتطرق لتفسير آيات لم يفسرها فى تفسيره المختصر .

خلاصة هذه المقارنة :

قد أجرى البحث المقارنة على نماذج من سور متعددة من تفسيرى العز ، هى سورة البقرة وآل عمران ومريم والحج والشعراء .

وقد تبين من هذه المقارنة أن التفسيرين يتفقان فى الاختصار والعناية بالتفسيرات اللغوية لمفردات الآية ، وايراد الأقوال الكثيرة التى قيلت فى معنى الآية كما أنهما يتركان بعض الآيات أو جزء منها بدون تفسير لوضوحه ، ويتفقان فى أكثر المادة العلمية وطريقة العرض والاسلوب ، فلا يشك القارىء لهما أنهما لشخص واحد .

ويختلفان فى أن تفسيره المختصر قد اشتمل على مقدمة ، وبيان لكل سورة هل هى مكية أو مدنية ؟ بينما لم يشتمل تفسيره المطول على ذلك ، وقد انفرد بالبسملة فى أول كل سورة ، بينما اقتصر فى تفسيره المختصر عليها فى أول سورة الفاتحة والكهف ومريم . وهو فى تفسيره المطول أكثر عناية بالنحو والاعراب ، كما أنه فى تفسيره المختصر أكثر استشهادا بالشعر ، وأجمع للاقوال والله أعلم .

---

(١) انظر : نسخة مكتبة قطر (٢/٥٧ ب ، ٥٨ ـ أ)

الخاتمـــة

القيمة العلمية لتفسير العز المختصر

إن اظهار القيمة العلمية لاى عمل هو جانب من أهم جوانب دراستـه ، وركن كبير من أركان البحث فيه ، ونتيجة هامة من نتائج هذه الدراســـة ، لذا كان من الضرورى أن ينتهى البحث عن منهج العز فى تفسيره ببيـــان قيمته العلمية بذكر ما امتاز به ، وما أخذ عليه .

والذى يتصدى لتقويم تفسير العز لا بد أن يكون على مستواه أو أعلى منه ، وأنا أستغفر الله فلست من هذا ولا ذاك . وانما أنا طالب علم عاش مع هـــذا التفسير مدة من الزمن ، فلا حت له ميزات وغيرها فأراد أن يقدمها اتمامـــا لمنهج البحث وقياما بواجب العلم واظهاره ، وخوفا من الوقوع فى اثم كتمانـــه الذى حذر منه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله : ما من رجل يحفـــظ علما فيكتمه الا أتى به يوم القيامة ملجما بلجام من النار ."(١)

أعاذنى الله واياكم من النار ، فأقول وبالله التوفيق :

أ ــ ما امتاز بـــه :

١ ــ يمتاز بأنه يوجه بعض القراءات المخالفة للغة المشهورة المستعملة ، كما أنه قد يعقب بالرد على بعض المطاعن الموجة لبعض القراءات ، وقد سبـــق توضيح ذلك بالامثلة فى مبحث القراءة .

٢ ــ يمتاز باختصاره لبعض الأسباب التى أطال فيها الماوردى ، فيعبر عنها بعبارة موجزة تتضمن ما ذكره الماوردى ، أو يقتصر منها على ما يناســـب الآية .

وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة فى مبحث أسباب النزول .

---

(١) أخرجه ابن ماجة (١/ ٩٦ ، مقدمة / ٢٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه بهذا اللفظ ، وأخرجه الترمذى (٥/ ٢٩ ، علم/ ٣) والامام أحمد فـى المسند (٢/ ٢٦٣ حلبى) كلاهما عن أبى هريرة بلفظ : " من سئل عـــن علم ثم كتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار " وحسنه الترمذى ".

٣ ـ يمتاز بأنه يستوعب أقوال السلف والخلف التى قيلت فى تفسير الآية غالبا ، ولكنه لا يناقشها ، ولا ينبه على الراجح الا قليلا .

وقد مضى توضيح ذلك بالأمثلة فى مبحث الترجيح والتوجيه .

٤ ـ يمتاز بأنه يعنى بالتفسيرات اللغوية ، فيذكر أصول الكلمات التى اشتقت منها ، ويربط بينها وبين المعنى المراد من الكلمة فى الآية ، كما أنه يذكر الفروق بين الكلمات المتقاربة فى اللفظ أو المعنى ويشير الى بعض الوجوه النحوية ويوضح ذلك كله بالامثلة الدقيقة التى تجعل المعنى مُحسا ، ويستشهد على ذلك بالشعر .

وقد أكثر الماوردى من الشواهد الشعرية فى تفسيره ، ولكن العز اقتصر على القليل منها .

وقد مضى توضيح ذلك بالأمثلة فى مبحث اللغة والنحو .

٥ ـ يمتاز بأنه يعنى بآيات الأحكام ، ويفسرها ، ويذكر أقوال العلماء فى بيان معناها ، ويذكر الأحكام الفقهية التى تدل عليها ، ولا يستطرد فى التفاصيل والفروع الفقهية التى لا تؤخذ من الآيات ، لأن محلها كتب الفقه ، وذِكرُها فى كتب التفسير يصرف القارئ عن تدبر معنى الآية ، وما فيها من عظة وعبرة .

وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة فى مبحث الأحكام الفقهية .

٦ ـ يمتاز بأنه قد يعقب بالرد على بعض الأخبار الاسرائيلية ، وأنه لا يكثر منها كبعض المفسرين المكثرين ، واذا ذكر شيئا منها فيختصره ، ويقتصر منه على ما يوضح معنى الآية .

وقد مضى التمثيل على ذلك فى مبحث الاسرائيليات .

٧ ـ يمتاز بأنه ينبه على المكى والمدنى من كل سورة قبل أن يبدأ فى تفسيرها .

٨ ـ يمتاز بأنه نزه تفسيره من أحاديث فضائل السور التى وضعها نوح ابن أبى مريم وغيره حسبة لله تعالى . وقد تورط فيها بعض المفسرين كالثعلبى

والواحدى والزمخشرى والنسفى والبيضاوى وأبى السعود .

ب ـ ما يؤخذ عليه :

(١) ـ قلة عنايته بالقراءة ، فهو يذكر لفظها ومعناها ولا يبين أنها قراءة ، ولا ينسبها الى من قرأ بها ، الا فى حالات قليلة ، كما أنه قد يكتفى بذكر تأويل القراءة دون الاشارة اليها ، ويذكر قراءات شاذة ، ولا ينبه على ذلك ، ويذكر بعض المطاعن الموجه لبعض القراءات ، ولا يعقب عليها بالرد ، وقد سبق توضيح ذلك بالأمثلة فى مبحث القراءة . والماوردى أكثر عناية منه بالقراءة فهو يذكرها ويوجه معناها وينسبها الى من قرأ بها غالبا .

(٢) ـ أنه لا يخرج الاحاديث التى يذكرها ، وهذا يجعل من لا خبرة له بذلك حائرا لا يعرف الحديث الصحيح من الضعيف ، ومعرفة ذلك لازمة لانه لا يقبل الاحتجاج بالحديث ولا الاستدلال به حتى يعرف مُخرجه من الأئمة الأعلام ودرجته من الصحة والضعف .

كما أنه لا يذكر اسم الصحابى الذى رواه غالبا .

وقد قمت بذكر راوى الحديث من الصحابة والتابعين ، وعزوه الى من أخرجه من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، والاشارة الى موضعه من هذه الكتب ، وتضعيف المحدثين له ان كان ضعيفا .

كما أنه يذكر أحاديث وأسباب نزول ضعيفة ، ولا ينبه على ضعفها .

ومن أمثلة ذلك ما يلى :

المثال الأول :

ما ذكره فى سبب نزول قوله تعالى : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) الآية / ١١٥ من سورة البقرة .

قال : " .... فى قوم من الصحابة خفيت عليهم القبلة فصلوا الى جهات مختلفة ، ثم أخبروا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنزلت " أ . هـ .

فهذا السبب رواه عامر بن ربيعة ، وقد أخرجه عنه الترمذى وغيـــره ، وضعفوه (١) .

المثال الثانى :

ما ذكره فى تفسير قوله تعالى : (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) الاية / ١٢٤ من سورة البقرة .

قال : " .... قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : ألا أخبركم لِـــمَ سمى الله ـ تعالى ـ ابراهيم خليله (الذى وفى) [النجم / ٣٧] ؟ لأنـــه كان يقول كلما أصبح وأمسى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحـــون) [الروم / ١٧ ، ١٨] الى قوله : (تظهرون) . أو قول الرسول صلى اللـــه عليه وسلم : أتدرون ما (وفى) ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : وفى عمل يومه أربع ركعات فى النهار " أ .هـ.

فالحديثان رواهما الطبرى وضعفهما (٢) .

المثال الثالث :

ما ذكره فى سبب نزول قوله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد اللـــه وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة) الآية / ٧٧ من سورة آل عمران .

قال : " ... فى الاشعث نازع خصما فى أرض فقام ليحلف فنزلـــت ، فنكل الاشعث واعترف بالحق " أ .هـ .

فهذا السبب رواه الطبرى (٣) عن ابن جريج مرسلا ، ورغم ارساله فهـــو

---

(١) راجع : تفاصيل ذلك فى التعليق على الآية فى تحقيق تفسير العز.
(٢) راجع : تفسيره (٣/ ١٥ ، ١٦) طبع المعارف والتعليق على الاية فـــى تحقيق تفسير العز .
(٣) راجع : تفسيره (٦/ ٥٣١) طبع المعارف .

مخالف للرواية الصحيحة التى رواها الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه .

وكان الاولى بالعز أن يذكر الرواية الصحيحة .

راجع تفاصيل ذلك فى التعليق على هذه الآية فى تفسير العز .

المثال الرابع :

ما ذكره فى سبب نزول قوله تعالى : (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) الآية / ٥٥ من سورة المائدة .

قال : (وهم راكعون) نزلت فى على ـ رضى الله تعالى عنه ـ تصدق وهو راكع " اهـ .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وحديث على الطويل فى تصدقه بخاتمه فى الصلاة فانه موضوع باتفاق أهل العلم " . (١)

(٣) ـ أنه يذكر حوادث مدنية أسبابا لنزول آيات مكية وقد مضى توضيح ذلك بالامثلة فى مبحث أسباب النزول عند الكلام على قوله تعالى : (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) الآية / ٨٨ من سورة الحجر .

وقوله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) الآية / ٢٨ من سورة النحل .

كما أنه يعبر بقوله : نزلت الآية فى كذا ويريد به معنى الآية ، وهذا الاستعمال مخالف لاصطلاح المفسرين المتأخرين ، لأنه يعنى عندهم أن هناك حادثة نزلت الآية بسببها مع أن ما يذكره العز ليس حادثة وانما ايضاح معنى ، وكان الاولى به أن يستعمل فى ذلك : " عنى بالآية كذا " فانه أدق فى تحديد المراد .

---

(١) راجع : مقدمته فى أصول التفسير ص ٣٣ وراجع تفاصيل تخريج الحديث فى التعليق على الاية فى تحقيق تفسير العز .

وقد سبق توضيح ذلك بالامثلة فى مبحث أسباب النزول عند الكلام على قوله تعالى : (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون) الآية / ١١ من سورة البقرة .

وقوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) الآية / ١١٤ من سورة البقرة ، وقوله تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) الاية / ٢٥ من سورة الانفال .

وقوله تعالى : (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الآية / ١٢٦ من سورة النحل .

٤ـ انه يذكر أخبارا اسرائيلية فيها ما يخالف ما عندنا ، ولا يعقب عليها بالرد قالها ، كما أنه يذكر أخبارا اسرائيلية غير معقولة ، فهى من باب الخرافة والاساطير ، وهو لا يكثر من ذلك . وكان الاولى به أن يعقب بالرد على هذه الاخبار ، فيضيف بذلك الى تفسير الماوردى اضافة نافعة مفيدة ، أو بنزه مختصره من هذه الأخبار التى لا فائدة فيها بل بعضها له أثر سيء فى التفسير . راجع تفاصيل ذلك والأمثلة عليه فى مبحث الاسرائيليات .

٥ـ انه لم تبرز شخصيته فى تفسيره كمفسر يتناول الكثير من الأقوال بالنقد والرد ، وتارة بالترجيح والتوجيه والتعقيب فترجيحاته وتعقيباته قليلة راجع تفاصيل ذلك والامثلة عليه فى مبحث الترجيح والتوجيه .

كما أنه لم يعقب على الأقوال الاعتزالية التى أوردها الماوردى فى تفسيره ، بل نقلها كما هى ، ووقف منها موقفا سلبيا ، وحذف نسبة كثير منها الى قائله مما جعل الامر ملتبسا .

كما أنه حذف نسبة كثير من الاقوال التى نسبها الماوردى الى قائليها . وكان الاولى به أن ينسبها ، لأن نسبة القول الى قائلة تحقيق له وتوثيق .

٦ـ يلاحظ عليه أنه أورد حديثا ظاهره التعارض مع تفسيره للآية ولم يجب عليه . وذلك عند تفسير قوله تعالى : (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) الاية / ٨٠ من سورة التوبة .

فقال : " (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) آيسه من الغفران لهم . (سبعين مرة) ليس بحد لوجود المغفرة بما بعدها ، والعرب تبالغ بالسبع والسبعين ، لأن التعديل في نصف العقد ، وهو خمسة فاذا زيد عليه واحد كان لادنى المبالغة ، وان زيد عليه اثنان كان لأقصى المبالغة ، وقيل للأسد سبع ، لأن قوته تضاعفت سبع مرات ، قاله علي بن عيسى ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : سوف استغفر لهم أكثر من سبعين فنزلت (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) الآية [المنافقون / ٦] فكف "أهـ.

فقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "سوف استغفر لهم أكثر من سبعين " يتعارض مع معنى الآية ، لأن المراد بها المبالغة في عدم المغفرة لهم حتى ولو استغفر لهم سبعين مرة أو أكثر.

وهذا الحديث قد رواه الطبري (١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقد روى نحوه البخاري (٢) ومسلم (٣) والطبري عن ابن عمر عن عبد الله بن عبد الله بن أبي في قصة وفاة ابن أبي وصلاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه حيث قال : "انما خيرني الله فقال : (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة) وسأزيده على السبعين ..." الحديث .

وقد طعن بعض العلماء في هذا الحديث فقال أبو بكر الباقلاني في "التقريب" . هذا الحديث من أخبار الاحاد التي لا يعلم ثبوتها (٤) ، لأنه يتعارض مع معنى الآية .

والصواب أن هذا الحديث صحيح فقد أخرجه الشيخان وغيرهما . ولكن الذي رواه عن ابن عمر قد اقتصر على جزء من الحديث فجاء معارضا للآية ، ولو أضفنا اليه الجزء المكمل من رواية أخرى للبخاري ومسلم وغيرهما لزال ذلك التعارض .

---

(١) راجع : تفسيره (١٤/ ٣٩٦ ، ٣٩٧) طبع المعارف .
(٢) راجع : فتح الباري (٨/ ٣٣٣ تفسير) .
(٣) راجع : صحيحه (٤/ ٢١٤١ صفات المنافقين / ٣) .
(٤) راجع : فتح الباري (٨/ ٣٣٨) .

وهذه الرواية عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فى قصة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم على ابن أبى جاء فى آخرها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لو أعلم أنى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها " فهذه الرواية مكملة للرواية الاولى ، والاحاديث يكمل بعضها بعضا ويبينه ويقيده . راجع تفاصيل ذلك وتخريج هذه الاحاديث فى التعليق على هذه الآية فى تحقيق تفسير العز .

(٧) ـ أنه يذكر معنى الكلمة من الآية ، ولا يذكر هذه الكلمة ، وفى هذا لبس على القارئ . مثال ذلك :

المثال الأول :

قال العز : " ووجد موسى فى اليم بين الماء والشجر فسمى لذلك موسى ، مو : هو الماء ، وسا : هو الشجر " أهـ .

وهذا تفسير لاسم " موسى " عليه السلام من قوله تعالى : (واذ واعدنا موسى أربعين ليلة) الآية / ٥١ من سورة البقرة فكان الاولى به أن يذكر هذه الآية حتى يتضح مراده .

المثال الثانى :

قال العز : " نغفرها بسترها عليكم فلا نفضحكم ، من الغفر وهو الستر ، ومنه بيضة الحديد : مغفر " أهـ .

فهذا التفسير لقوله تعالى : (نغفر لكم خطاياكم) الآية / ٥٨ من سورة البقرة . فكان الاولى به أن يذكر هذا اللفظ من الاية حتى يتضح ما يعنيه من تفسيره .

المثال الثالث :

قال العز : " السلم : الذى استسلم لامر الله وخضع له " أهـ .

فهذا تفسير لقوله تعالى : (واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) الاية / ١٢٨ من سورة البقرة . فكان الاولى به أن يذكر اللفظ الذى فسره من الاية .

هذا ما ظهر لى من ميزات تفسير العز وغيرها . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خاتم الرسل وآله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا .

فهرس موضوعات القسم الاول من الرسالـــة

الموضـــــوع	الصفحـة
مقدمة الرسالة	٣ — ١٥
الباب الأول : دراسة حياة العز	١٧ — ١٧١
الفصل الأول : عصـــره	١٨ — ٤٤
المبحث الأول : الحالة السياسية فى عصره	١٩ — ٢٦
الدولة الأيوبية	١٩ — ٢٢
دولة المماليك	٢٣ — ٢٦
المبحث الثانى : الحالة الاجتماعية والاقتصادية فى عصره.	٢٧ — ٣٧
أولا : الحاكم وأعوانـه	٢٧ — ٣١
ثانيا : العلماء والفقهاء	٣١ — ٣٤
ثالثا : العامـــــة	٣٤ — ٣٦
رابعا : أهل الذمـــة	٣٦
المبحث الثالث : الحالة العلمية فى عصره	٣٨ — ٤٤
الفصل الثانى : نسبه ومولده وطلبه للعلم وأعماله	٤٥ — ٥٤
المبحث الأول : نسبه ومولـــده	٤٦ — ٤٩
المبحث الثانى : نشأته وطلبه للعلم	٥٠ — ٥٤
المبحث الثالث : أعماله ومواقفه	٥٥ — ٧١
أعماله فى دمشق	٥٥ — ٦٤
أولا : التدريس	٥٥
ثانيا : الافتـــاء	٥٦ — ٥٩
ثالثا : القضاء والرسالة الى الخليفة العباسى .	٥٩
رابعا : الخطابة	٦١
تحالف الصالح اسماعيل مع الصليبيين وانكار العزعليه	٦١ — ٦٤
أعماله فى مصر	٦٤ — ٧١
أولا : الخطابة والقضاء	٦٤ — ٦٦
بيعه لامراء المماليك	٦٦

الموضـــوع	الصفحـــة
حكمه على استاذ دار الملك	٦٧
ثانيا : التدريس والافتاء	٦٩ — ٧١
المبحث الرابع : وفاته وعمره	٧٢
الفصل الثالث : اتجاهاته الفكرية	٧٤ — ١٠١
المبحث الأول : اتجاهاته الفكرية فى التفسير وعلومه ..	٧٦ — ٧٩
المبحث الثانى : اتجاهاته الفكرية فى الحديث	٨٠
المبحث الثالث : اتجاهاته الفكرية فى العقيدة	٨٢ — ٨٥
المبحث الرابع : اتجاهاته الفكرية فى الفقه وأصوله ..	٨٦ — ٩٢
المبحث الخامس : اتجاهاته الفكرية فى التصوف	٩٣ — ١٠١
الفصل الرابع : التعريف بشيوخه وتلاميذه	١٠٢ — ١١٦
المبحث الأول : شيوخه وأثرهم فيه	١٠٣ — ١٠٩
المبحث الثانى : تلاميذه وأثره فيهم	١١٠ — ١١٦
الفصل الخامس : مؤلفاته وما نسب اليه	١١٧ — ١٧١
المبحث الأول : مؤلفاته	١١٨
مؤلفاته اجمالا	١١٨ — ١٢٠
مؤلفاته تفصيلا	١٢٠ — ١٦٦
أولا : التفسير وعلومه	١٢٠ — ١٣٣
ثانيا : الحديـــث	١٣٣
ثالثا : العقيـــدة	١٣٥ — ١٣٨
رابعا : الفقه وأصوله	١٣٨ — ١٥٨
خامسا : الفتـــاوى	١٥٨
سادسا : التصـــوف	١٥٩ — ١٦٣
سابعا : السيـــرة	١٦٣ — ١٦٥
ثامنـا : علوم أخرى	١٦٥
المبحث الثانى : كتب نُسبت اليه	١٦٧ — ١٧١

الموضـــوع	الصفحـة
الباب الثانى : دراسة تفسير العز	١٧٢ — ٢٨٤
التمهيد : التعريف بتفسير الماوردى والعز	١٧٣ — ١٧٥
الفصل الأول : مصادر تفسير الماوردى وتأثر المفسرين به ..	١٧٦ — ٢٠٤
المبحث الأول : مصادره	١٧٧
أولا : مصادره فى القراءات	١٧٧
ثانيا : مصادره فى التفسير بالمأثور ...	١٧٨ — ١٨٥
ثالثا : مصادره اللغوية والنحوية	١٨٥ — ١٨٩
رابعا : مصادره الفقهية	١٨٩
خامسا : مصادر أخـــرى	١٩٠
المبحث الثانى : اتهام الماوردى بالاعتزال وموقـف العز منه	١٩٢ — ١٩٩
المبحث الثالث : تأثر المفسرين بتفسير الماوردى .	٢٠٠ — ٢٠٤
الفصل الثانى : منهج العز فى تفسيره المختصر	٢٠٥ — ٢٦٢
المبحث الأول : القـراءة	٢٠٦ — ٢١٣
المبحث الثانى : تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة ..	٢١٤ — ٢١٩
المبحث الثالث : أسباب النزول	٢٢٠ — ٢٢٧
المبحث الرابع : اللغة والنحـو	٢٢٨ — ٢٣٦
المبحث الخامس : الاحكام الفقهية	٢٣٧ — ٢٤٢
المبحث السادس : الاسرائيليات	٢٤٣ — ٢٥١
المبحث السابع : الترجيح والتوجيه	٢٥٢ — ٢٦٢
الفصل الثالث : مقارنة بين تفسيرى العز	٢٦٣ — ٢٧٦
الخاتمة : القيمة العلمية لتفسير العز المختصر	٢٧٧ — ٢٨٤
الفهـــرس	٢٨٥ — ٢٨٧